محمود كامل

رواية

أوفر دوز

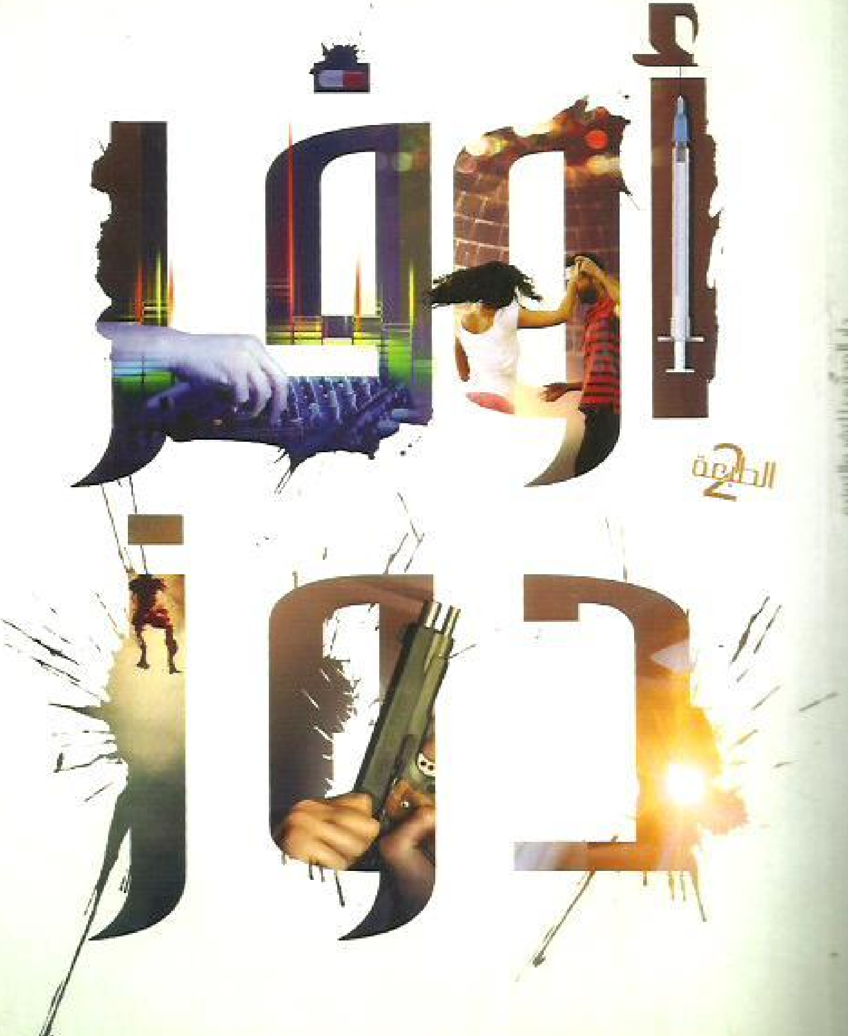

الطبعة 2

أوڤردوز

أوڤردوز
محمود كامل

تصميم الغلاف:
كريم آدم

المراجعة اللغوية:
أحمد عبد المجيد

إخراج فني
أحمد متاريك

الطبعة الثانية يناير ٢٠١٥م

رقم الإيداع: 2014/9633
ISBN: 978-977-6378-93-3

المصري للنشر والتوزيع

المدير العام: يوسف ناصف

عمارات العرائس
المعادي الجديدة - القاهرة
+2 01064378376
+2 01146335098
info@elmasrypublishing.com
www.elmasrypublishing.com

© جميع الحقوق محفوظة للناشر وأي اقتباس أو إعادة طبع أو نشر في أى صورة كانت ورقية أو اليكترونية أو في وسيلة سمعية أو بصرية دون موافقة كتابية، يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.

أوفَرْدُوز

محمود كامل

رواية

دار المصري للنشر والتوزيع

كيف
وصلنا إلى
هنا؟

1

فادي

أحب عملي. هذه ليست مزحة، إنها الحقيقة. الكثيرون يقولون هذه الجملة؛ لكن إن كان هناك من يقصدها مائة بالمائة فهو أنا. عندما أقف خلف جهاز الأسطوانات وأتلاعب بالقرص الدوار أشعر بأنني أتحكم في كل من حولي. تنتابني طاقة رهيبة لا يمكن وصفها بالكلمات. النظر إلى الجمهور وهو يرقص بجنون مع اختياراتي للأغاني يعطيني دفعة قوية تصل بي إلى حد الثمالة دون أن أحتاج إلى شرب الخمر أو تعاطي المخدرات. يكفيني إدمان الموسيقى. كيف يمكن أن تكره مهنة كهذه؟ أتعرف كيف ضايقك أصحابك دائمًا عند ركوبهم لسيارتك لرغبتهم في تغيير الموسيقى التي استمعت إليها، محاولين فرض ذوقهم من الأغاني العربية السخيفة أو الفن الشعبي الرخيص؟ في مهنتي هذه لا يحق لأحد أن يختار الموسيقى سواي. أنا صاحب القرارات، أنا المتحكم في الأجواء والإيقاع. إذن فأنا أحصل على الأموال لأتراقص على نغماتي المفضلة مع النساء المثيرات والشباب المحبين للاحتفال. إنها أفضل مهنة في العالم! أدرس حركة أجسادهم وأشعر بذبذباتهم في ساحة الرقص وعلى أساسها أختار «التراك Track» القادمة. هنا تكمن صعوبة هذه المهنة. قد يعرف الكثيرون الجانب التقني لدمج الأغاني، لكن قلّ من يمتلك الإحساس

والوعي اللازمين لإبقاء الراقصين في حركة دائمة دون توقف أو لحظة ملل واحدة. هذا هو دوري. أنا قائد الرقص. أنا المايسترو. أنا «دي جيه فيلو».

«إيه التراك الأي كلام دي يا فيلو؟ عاوز ترزيع يا أخي! عاوز أطير!» صاح صديقنا عمرو. ليس صديقي بالمعنى الدقيق؛ لكن الحياة تُجبر بعض الأشخاص على التواجد معًا في نفس المكان لعدة ظروف.

«قلتلك كتير يا عمرو مينفعش أدخل سخن على طول. لازم واحدة واحدة عشان الناس تدخل في المود. متفصلنيش من أولها» معلومات عمرو عن الموسيقى لا تتعدى بعض دقات المطرقة في رأسه وجسده لمساعدته على الوصول إلى ذروة اللا وعي مع حبوب «الإكستاسي». إنه مستعد للقيام بأي شيء للوصول إلى مبتغاه. قد يقتلني إن لم يصل للتأثير الدماغي المطلوب. وسأكون صريحًا؛ قوته العضلية تفوقني بمراحل.

«عاوز أتخبط يا فيلو! الحباية هتبدأ تشتغل».

«حد قالك تاخدها دلوقتي؟ حاضر يا عمرو. اديني عشر دقايق وهظبطك» هذا ثمن أن توافق على إحياء حفل عيد ميلاد إحدى صديقاتك في فيلا مهجورة بمدينة الشروق. ثقافتهم الموسيقية تساوي ثقافتي الطبية؛ معدومة!

«طب ما تجيبني ألعب مكانك يا فيلو شوية!» حاول إزاحتي عن الطريق. «لأ يا عمرو! مبحبش حد يلمس حاجتي! هو انت لو في أي كلوب في إيبيزا أو أمستردام بتختار الموسيقى اللي شغالة ولا بترقص وأنت ساكت؟»

«أنت هتعملي فيها دايفيد جيتا؟!» جهله الموسيقي يثير اشمئزازي.

«قلتلك يا عمرو إني مبلعبش هاوس أصلاً. بقولك إيه. روح ارقص انت مع نور وأنا هعملك اللي انت عاوزه».

«ده عيد ميلادها بقى يا فيلو! مش عاوزك تبوظه».

«يا عمرو أنا دي جيه فيلو! عارف يعني إيه؟! بعد ما سبت «ياسو تيراس» مستواه وقع! لما «وايت» كان عاوز حد يعليه طلبوني بالاسم. مش هعرف أخلص حفلة زي دي؟! متجننيش!» ابتسم في حرج وغمز لي بعينه ثم استدار وعاد ليكمل الحفل.

لم ألتفت لإشاراته من الحين للآخر وهو يلتهم شفتيّ نور ويداعب مؤخرتها. هكذا هي الأجواء دائمًا. خمر، حبوب «الإكستاسي»، نساء والكثير من الموسيقى. الموسيقى هي حياتي، والنساء هن عشقي. فلا أشتكي أبدًا. تكمن المشكلة في قلة عدد النساء المتاحة للمداعبة. أنظر حولي فأجد أصدقاءً لي. تقول القاعدة ألا تقترب من فتاة تعدك مقربًا إليها. رغم عدم وضوح مفهوم التقارب لمعظم الحاضرين لكنني لا أشتهي إحداهن بما يكفي لإثارة المشاكل. الاستثناء الوحيد هي خلود. لا أظنها ستأتي. كم أعشقها!

* * *

عمرو

أعترف بأنني لا أفقه شيئًا في الموسيقى وأتظاهر بالفهم معظم الوقت؛ لكن هذا لا يمنع أن فيلو شخص متحذلق ويعطي لنفسه أكبر من حجمها. أي شخص يمكن أن يقوم بدوره بكل سهولة. أرتاد الحفلات في جميع أنحاء العالم؛ أسبانيا وهولندا وفرنسا، وغيرها. عندي خبرة كافية في ساحات الرقص لأعرف ما ينبغي القيام به. كل هذا لا يهم. نحن هنا الليلة لأجل نور. لم يكن من السهل استدراجها إلى هذا المكان لنفاجئها بهدية عيد ميلادها المختلفة. فكرتُ كثيرًا في أفضل طريقة لأسعدها بها. وجدتُ أن آتي إليها بأجواء النوادي الليلية بشكل مخصوص ومنعزل تمامًا عن الحضر. كثرة تساؤلاتها عن وجهتنا أثارت استفزازي في البداية لكنني تماسكت؛ فهو في النهاية عيد ميلادها وسأكون أنانيًا لو تركت عصبيتي تُفسد عليها يومًا كهذا. بجانب أنني أجهز لها مفاجأة من العيار الثقيل ويجب إبقاؤها في مزاج جيد. نصحتني إيناس بأنها الليلة المناسبة لطرح السؤال الذي تنتظره بالتأكيد منذ زمن. لن ترفض حتمًا. أين ستجد رجلاً بمواصفاتي؟ أعمل بمجال الموارد البشرية في أقوى الشركات الفرنسية للأسمنت والخرسانة، أتحدث ثلاث لغات بطلاقة، ثري، مثقف، رياضي وأصغرها بـ... ستة أعوام. أنا حلم أي امرأة نظريًا وعمليًا. رغم كل هذا

اخترتها هي. إنها لا تحبني فحسب، بل تقدسني. تشعر المرأة بالإطراء دائمًا عندما تجد رجلاً مثلي يهتم بها. عندما التقيت بها للمرة الأول لم تُظهر إعجابها بي؛ على العكس، أعطتني وجهًا سخيفًا للغاية. لكن رجلاً في مثل ذكائي يمكنه أن يعرف كيف يصل إليها والأوتار التي ينبغي أن يلعب عليها للظفر بها. لماذا أبذل مجهودًا لأجل امرأة تكبرني بستة أعوام؟ نور تختلف عن أي امرأة عرفتها من قبل. يبرع النساء في الاعتناء بمظاهرهن وإبراز المفاتن، التظاهر بالقوة وعدم الاهتمام، الدلال والتمنع، بينما يفتقرن إلى شيء هام للغاية؛ الواقعية. كلهن زائفات. كلهن يحاولن إظهار ما ليس بداخلهن. كلهن يتبعن أنظمة غذائية وغيرها من وسائل تغيير المظاهر لإخفاء ما بداخلهن. هذا أجمل ما في نور؛ أنها امرأة حقيقية. هل أنا مستعد لمقايضة جمال عارضات أزياء لأجل امرأة متوسطة الجمال مثل نور؟ نعم.. إلى حين إشعار آخر. أقصد أنني أريدها فعلاً، وهذا ما أعرفه الآن. هذا أمر يراه البعض عيبًا ويراه آخرون ميزة؛ أنا أعيش لأجل اللحظة. هذه نقطة خلافي الدائمة مع نور. تنظر دائمًا للأمام وتبحث عما يعكر الصفو. لا مجال للخلاف الليلة. إنها ليلة تاريخية للمرح. سنرقص إلى أن تُشرق الشمس! ضممتها إلى صدري ونحن نتراقص على أنغام فيلو. لم يبدأ بعد في إثارة الأجواء. نور تبدو في مزاج رومانسي الآن فربما أتركه بعض الوقت قبل أن أجبره على تشغيل الأسطوانة التي جهزتها لأجل الليلة. دفعتها إلى حمام السباحة بقوة لأسمع قهقهتها مع صوت ارتطامها بالماء. قفزتُ خلفها فرشتني بالمياه. لست طفلاً بالخامسة، أنا رجل عملي وأسير خلف مطالب جسدي. جذبتها من شعرها مازحًا وتبادلنا القبلات. «إيه يا شباب! اتأخرت عليكوا؟» ميّزت صوت خلود في أرجاء الفيلا.

«إيه الجديد يا خوخة؟! مانتي على طول متأخرة. كفاية إنك جيتي أصلاً» أجابتها نور في مرح، «يلا البسي المايوه وانزلي على طول. ازيك يا حسام؟!» أشار إلينا عشيقها حسام مبتسمًا في هدوء.

«المزة وصلت! تعالي عشان عاوزك في كلمة سر» داعبتُ خلود. شعرتُ بقبضة نور تخترق معدتي.

«بطّل تبصبص يا عمرو!» قالت في ضيق.

«إيه يا نور؟! بهزر معاها. دي خوخة!» صحتُ في غضب.

«أنت عارف إني مش بحب كده!» أجابتني في حنق. تمالكتُ أعصابي وأخذت نفسًا عميقًا.

مشكلة أخرى أواجهها مع نور؛ غيرتها الجنونية. لا تقتنع أبدًا أنني محاط بالفتيات من كل اتجاه وأعتاد التعامل معهن بكل تحرر. يجب أن أتمالك أعصابي الآن. لست أنانيًا لأفسد عليها ليلتها. يجب أن يتصرف أحدنا بعقلانية الليلة.

* * *

خلود

جلست على مقعد الاسترخاء وجلس حسام خلفي. ارتديت ثوب السباحة أسفل الملابس كي لا أضطر للدخول إلى الفيلا ومشاهدة أي مناظر لا أرغب برؤيتها. بمعنى أصح كي لا يسترق أحد النظر وأنا أغير ملابسي اتباعًا لرغبة حسام. كأن ثوب السباحة ذو القطعتين يخفي جسدي! سأجاريه كي تمر الليلة على خير دون إثارة المشاكل. فيلو يتخذ موقعه خلف عدة الموسيقى. أشار إليّ من بعيد فابتسمتُ له. ألقيتُ نظرة جانبية على حسام لأجده يستشيط غضبًا. معه حق. معاكسات فيلو تستمر بشكل مبالغ فيه ولا مجال لإيقافها دون استخدام القوة العضلية. ولأن حسام بطل العالم في المصارعة، فهو يميل بشكل كبير إلى تكسير العظام بدلاً من استخدام اللسان أو أي جانب من جوانب العقل. ليس بطل العالم في المصارعة بالتأكيد، لكن يصعب تمييزه عنه من فرط ضخامته. لهذا انجذبت إليه في البداية. أنا فتاة سطحية إلى حد كبير وأهتم بالمظهر. أيجب عليّ أن أرتبط بفتى قبيح ومترهل الجسد لأبدو عاقلة ومتزنة؟ لا أظن. لم أدرك وقتها أن الضخامة الجسدية تتناسب عكسيًا مع القوة العقلية. لم أرَ حسام يومًا يحل مشكلة بشكل ودي أو عقلاني. يسارع باستخدام قبضة يده. أتخيل لو أنه رئيس الجمهورية.. قرار الحرب سيكون أسهل إليه من

حلاقة ذقنه. يود لو يحطم فك فيلو الآن دون أن يفكر مرتين. في الواقع يود لو يغادر هذا الحفل ولا يعود ثانيةً. لن أدعي أنه ليس لديه أسبابه. فهؤلاء الشباب يندمجون في المرح إلى حد تعاطي المخدرات. مشهد مثير للاشمئزاز! لطالما رأيتُ عمرو وجوزيف يتبادلان أكياس الهيروين كأنها زجاجات مياه غازية. أستمتع بالشرب كثيرًا لكن هناك حدود للفساد. هناك شعرة بين قضاء وقت ممتع، وبين الإدمان والحاجة لتدخل طبي. أكّد عليّ حسام مائة مرة أننا سنغادر قبل فقرة المخدرات وأقسمت له مرارًا أنني لا أعترض. لا أحب صحبتهم لهذه الدرجة بأي حال.

خلعتُ ملابسي ورأيتُ نظرات فيلو تخترق جسدي من عشرات الأمتار. لا ألومه. فأي شاب في مكانه ومجال عمله اعتاد متابعة أجساد الناس بشكل عام، والنساء بشكل خاص. أتمنى ألا يتعرض للأذى الليلة. حسام يبذل مجهودًا كبيرًا لحمايتي حتى إن لم أحتج ذلك. حتمًا أحتاج لتدخله أوقاتًا كثيرة؛ على رأسها يوم التقيت به. حسام ضابط شرطة، ويستغل أي فرصة لإشهار مسدسه حتى إن داعبني طفل صغير. قابلته أول مرة في حفل ليلة رأس العام بالجونة. لو تابعنا خط سيره لشعرنا أن كل الظروف التي مررت بها ليلتها هي مدبرة حتمًا. لم يعترف بعد لكنني واثقة من ذلك. طبيعته أن يفرض نفسه على من حوله، ولا أستبعد أن ينجح شخص في مثل تفكيره بالتعرف عليّ والتقرب إليّ مهما كان الثمن. وإلا كيف نفسر ظاهرة التحرش السافر والمفاجئ التي تعرضت لها في «كلوب ٨٨» بعد دخولي إليه بخمس دقائق فقط؟ لا ألوم عادةً أي شاب لانجرافه في تلك الأجواء خاصةً مع ما أرتديه من ملابس. لكن ماذا سيُجبر شابًا على محاولة الاعتداء عليّ رغم أن بإمكانه التودد إليّ بسهولة؟ لست مهووسة بنظريات المؤامرة، لكن سرعة

استجابة حسام ليلتها وتدخله البطولي لإنقاذي بدا غير مقنع. كانت أول مرة أرى بها مسدسًا ناريًا؛ قطعًا ليست الأخيرة، أبدًا. هل أنا سيئة الظن؟ خرجتُ بعدها لأجد الإطارات الأربعة لسيارتي في سبات عميق. من أول شخص يظهر لنجدتي؟ حسام. لازلت سيئة الظن؟ لا مشكلة. بعد أن بدّل إطارات سيارتي الأربعة، دون وجود أي تفسير منطقي لتوافر أربعة إطارات احتياطية لديه في الجوار، تركني أرحل ثانيةً. بعدها بدقائق استوقفني كمين شرطة. بحثتُ في حقيبتي عن رخصة القيادة فلم أجد الحافظة. من ظهر لنجدتي قبل أن يصحبني الضابط إلى قسم الشرطة؟ إجابة صحيحة. بمعجزة ما وجد حافظتي في الشارع. اتسعت ابتسامتي ليلتها لتملأ وجهي كله والشك يتطاير من عينيّ.

«هو أنا أخباري بتيجي في التليفزيون على طول كده؟»

«دي ضريبة الشهرة يا..» تظاهر بعدم معرفته اسمي. خدعة رخيصة.

أعترف بأنه ليس أذكى من رأيت في حياتي. الإصرار هو سلاحه الثاني، بعد مسدسه. لا أنكر أنني انجذبت في البداية لقوته العضلية، شجاعته وخفة دمه. معه عرفت كيف أطلق العنان لنفسي دون أن أخشى التعرض لأي خطر أو مساءلة قانونية. كيف يؤذيني أحد بينما يحميني هذا الوحش الكاسر؟ لم أدر عندها وجود جوانب سيئة للارتباط به.

«مش عاوزك تسلمي على فيلو خالص. ملكيش دعوة بيه» همس في أذني وهو يدلّك رقبتي.

«بلاش مشاكل. احنا مش هنقعد كتير» أجبته في حسم. لا أريد الظهور في صفحة حوادث اليوم التالي.

نزلتُ حمام السباحة لأنضم إلى نور وعمرو. تبعني حسام في هدوء دون أي إشارة للاستمتاع بما حوله. نظرتُ إليه في ضيق واضح.

«افرد وشك بقى يا حسام!»

«حاضر.. حاضر» أجابني في برود. أحيانًا أكره وجوده معي في نفس المكان. دائمًا ما يسبب لي الحرج أمام أصدقائي. سألني الكثيرون صراحةً كيف أستمر في علاقتي معه. صراحةً، لا ألوم أيًا منهم.

«أمال الباقي فين؟» سألتُ عمرو.

«معرفش يا خوخة. تلاقيهم بيلعبوا جوه» أجابني بابتسامة عدم اهتمام. هكذا هو عمرو، طالما يستمتع بوقته لن يهتم بوقوع جريمة قتل أمامه.

ترك فيلو موقعه وأتى بأنفاس لاهثة إلى طرف حمام السباحة.

«فيه دي جيه محترم يسيب مكانه؟» سألته محاولةً امتصاص التوتر.

«حد قالك قبل كده إن الأزرق يجنن عليكي؟» لا أصدق هذا الرجل. كأنه يبحث عن المشاكل. انتابني القلق بينما ضمني حسام إليه في قوة. نعم. سأظهر في صفحة حوادث الغد.

* * *

جوزيف

بدأت مراحل الاكتئاب المتأخرة في الظهور. حاولت تهدئتها مرارًا بمعاونة إيناس لكنها لا تتوقف عن العويل. في رأيي، مي من أكثر الشخصيات المثيرة للمشاكل على مر التاريخ. لا تأتي معنا في مكان دون أن تنجح بشكل ما في قلب مزاج الطاولة من المرح إلى ما هو أسوأ. للأسف لا يمكن أن ألومها وحدها هذه المرة. حذرتهم أنه لا ينبغي إعطاؤها أي مذهبات للعقل. الكثير من الخمر مع حبوب «الإكستاسي» يسبب نتائج عكسية، خاصةً لامرأة تجرّب كلاهما للمرة الأولى. على عكس ما يظنه الكثيرون، حبوب «الإكستاسي» لا تعني السعادة بشكل مباشر، إنها تُضاعف من المشاعر الكامنة بداخلك وتُعليّ من قوة حواسك تجاه ما حولك؛ إن كنت سعيدًا وتريد قضاء وقت ممتع ستصل إلى ذروة المتعة، وإن كنت مكتئبًا سيتضاعف شعور الاكتئاب عندك حتى يقضي عليك. نظرًا للتوتر الشديد الذي انتاب مي منذ مجيئها إلى الفيلا وقلقها من أن يعرف زوجها أي شيء مما تفعل، توقعتُ أن تنقلب الأمور رأسًا على عقب. عمرو هو من شجعها على الاندماج في الملذات. أحيانًا أشعر أنه شيطان يعيش بيننا في صورة إنسان. في النهاية، هو حبيب نور ولهذا نتعايش معًا. لا أملك شيئًا ضده، فأنا لا أشغل بالي بالتفاصيل التافهة.

بجانب أن مي هي من توسلت إلينا كالأطفال لندعها تُجرب معنا إحساس «الطيران في الفضاء» كما أسمته. ها هي تحلق في سماء النكد، ونحن معها.

«الله يرحمك يا بابا» استمرت في وصلة الكآبة، «كان دايمًا ياخدني في حضنه وأنا صغيرة ويقولي مش هسيبك أبدًا يا حبيبتي. وفي العيد كان ياخدني يفسحني لوحدنا».

«طب مانتي جاية هنا تتفسحي برضه يا مي. انتي جاية تنبسطي» أجبتها في حيرة. لست جليس أطفال ناجح، ولا أدري ما أقول في موقف كهذا.

«سيبنا دلوقتي يا جو. أنا هحاول معاها» ابتسمتْ لي إيناس في قلق.

«هتعملي معاها إيه، انتي مش شايفة المنظر؟ مش هسيبك معاها».

استمر البكاء والنحيب. أخذناها إلى إحدى غرف النوم لنريحها على الفراش. لم يساعدها ذلك على الاسترخاء. على العكس تذكرت زوجها وأطفالها وبدأت فقرة أخرى من الكآبة.

«أنا عاوزة أشوف بناتي. عاوزة أطمن عليهم».

«الساعة ١٢ بالليل يا مي. اهدي يا حبيبتي» ربّتت إيناس على رأسها في حنان.

«حد يكلم خالد دلوقتي ويطمن عليه وعلى البنات. يشوفهم كويسين ولا لأ. أكيد زعلان منّي عشان سبته لوحده».

«أنا لسه قافل مع خالد من شوية وقالي إنه مش زعلان. ما هو لو كان

زعلان يا بت مكانش سابك» لطمتها على وجهها على سبيل المرح، فربما تستفيق لكن دون فائدة. استمر البكاء.

«كلمه دلوقتي تاني».

«حاضر يا مي» غمزت لي إيناس وسحبتني من يدي إلى خارج الغرفة.

لماذا؟ لماذا أصرت على التجربة؟ لماذا وافقنا؟ كان المرح هو الهدف الرئيسي من هذه الليلة. نحن نبتعد عن الهدف بأميال لدرجة أنني لم أعد أراه. عدنا مرة أخرى للغرفة لمحاولة إقناعها بأن كل شيء على ما يرام. أشرتُ لإيناس بأن تستدعي البقية وعلى رأسهم عمرو. إنه خبيرنا الاستراتيجي في مثل هذه المعارك.

«ثواني يا مي وهنرجعلك تاني» حاولتُ أن أطمئنها.

«متسيبونيش. رايحين فين؟ أنا بابا عمره ما سابني أبدًا».

«ازاي بقى يا مي. مش مات وسابك؟» ألقيت بالمزحة الثقيلة وخرجت مع إيناس التي لكمتني في كتفي ثم ضحكنا كالأطفال.

كيف وصلنا إلى هنا؟ لماذا أقضي الليلة محاولاً تهدئة امرأة بائسة في علاقتها الزوجية وتعاني اكتئابًا حادًا في حياتها؟ فتش عن المرأة! وسط جمع كهذا ستجد حتمًا امرأة هي المسئولة عن لم الشمل. كل الخيوط ستقود في النهاية إلى إيناس. الحدث هو عيد ميلاد نور صديقة إيناس، عمرو هو عشيق نور، فيلو هو صديق عمرو، مي هي صديقة إيناس، خلود صديقة إيناس هي الأخرى، حسام هو عشيق خلود، وأخيرًا أنا صديق إيناس. من الجاني؟ أهي إيناس؟ لا أظن. لطالما التقينا جميعًا واستمتعنا بوقتنا دون مشاكل؛ مي هي الجاني. هي من تحاول الانضمام إلى مجموعة

من الناس لا يشبهونها أبدًا، وتحاول التعايش مع أسلوب حياتهم الذي لا يناسبها على الإطلاق. لا يضايقني محاولتها الاستمتاع بوقتها، لكن تصرفاتها الطفولية دائمًا ما تفسد أمسياتنا. ظروف معيشتها، خاصةً أنها متزوجة، يحرمها من التواجد معنا كثيرًا، فلماذا تحاول إشعارنا بالذنب دائمًا عندما نخرج بدونها أو نمرح في غيابها؟ طريقتها هذه تنفر الناس من حولها. دائمًا ما تشكو لي إيناس من تصرفاتها، ثم تصل في النهاية إلى نفس الاستنتاج؛ أن رصيد مي لديها أكبر من أن تتشاجر معها لأجل بعض التصرفات الطفولية. قد يظن البعض أن امرأة في ظروف مي ستأتي إلى حفل كهذا لتتناسى مشاكلها الزوجية وتعاستها؛ إنه ظن خاطئ. لم تأتِ لتنسى تعاستها، بل لتجعل كل من حولها يشاركها نفس التعاسة؛ كما يقولون التعاسة تحب الصحبة. أعشق روح المشاركة لكن في ظروف أفضل من هذه.

قطعنا على عمرو حصة الجماع العلنية في حمام السباحة واقتدناه هو ونور على مضض ليتولى علاج الموقف. عملاً بمبدأ المشاركة انضم إلينا خلود وحسام في المسيرة. تركنا فيلو مندمجًا مع الموسيقى دون أن ينتبه لتكهرب الأجواء. استمرار الموسيقى ضروري وبالتالي لا داعي لإزعاج دي جيه الليلة. دخلنا الغرفة على مي.

* * *

مي

أنا فاشلة. تركت بناتي الليلة لأبيهم كي أمرح وحدي. ماذا سيحدث لهن؟ ماذا سيفعل خالد لو عرف ما أفعل؟ ماذا سيحدث لو رآني في هذه الظروف؟ أنا أم سيئة! أنا زوجة حقيرة وكاذبة! أنا فاشلة! أستحق الموت. أنا نحيلة. أنا قبيحة. أنا بلا عمل. أنا بلا هوية. رأسي ساخنة. أشعر بأنني سأنفجر. لماذا أنا وحدي؟ أين أنت يا أبي؟ لا، لا يمكن أن يراني هكذا. أنا قبيحة. بناتي؟! ماذا جرى لهن؟ هل هن بخير؟ يجب أن أتصل بخالد! يجب أن أصل إليه! أريد أن أعود إلى البيت! سيعاقبني ربي على ما أفعل. لماذا أنا وحدي؟ أنا فاشلة. هناك أصوات حولي. انفتح الباب فجأة. ها هم من فعلوا بي هذا! هم المسئولون عم أنا فيه.

«مالها يا جو! دانا مظبطها ع الآخر».

«مش شايف منظرها يا عمرو؟»

ما هذه الضوضاء؟ لماذا يتحدثون بصوت عالٍ؟ أشعر برغبة في القيء. لا أقوى على التوازن. رأسي تدور. من حولي؟

«عاوزة أكلم خالد! عاوزة أطمن على البنات» صرختُ في وجوه الجميع. «ممكن أفهم انتي بتعيطي ليه دلوقتي؟ انتي نكدية يا بت؟!»

«بالراحة عليها يا عمرو شوية!»

«إيه قلة المزاج دي يا جو! يا عبيطة حد ياخد الحباية دي ويبقى زعلان؟»

«أنا عاوزة أروح! عاوزة أرجع للبنات!» صرختُ في عناد.

«محدش هيروحك يا مي! شوفي بقى مين هيروحك! إيه شغل العيال ده!»

«يعني أنا جايبك يا عمرو عشان تعمل كده؟»

«بقولك إيه يا جو! أنا ما صدقت الحباية ابتدت تشتغل! مش ناقصين وجع دماغ».

«لازم أروح! أنا عاوزة أروح! أنا مش حاسة بدماغي! مش حاسة بجسمي!» بدأت أدبدب بقدمي على الفراش.

«ما هو يا عبيطة ده مفعول الحباية! كده انتي مبسوطة! انتي مبسووووطاااااة! فهمتي يا غبية؟!» جذبني من شعري بقوة فشعرتُ بارتجاج في رأسي.

«بس يا عمرو. اطلع برّه خلاص. أنا هتصرف».

«سيبني يا حسام! انت ماسكني كده ليه!»

«خلاص يا عمرو. أنا هتصرف!»

«اطلعوا كلكوا براااااااا» صرخت بملء ما فيّ، «أنا عاوزاه هو بس!»

«هو مين؟!

* * *

جوزيف

يا للروعة! أتيت بمساعدة خارجية لأكتشف أنه لا مساعد لك إلا نفسك. عمرو لا يفكر سوى في سعادته الشخصية ومفعول الحبة الذي سينتهي، نور تابعة لعمرو بشكل تام، لو أراد القضاء علينا جميعًا الآن فستدعمه دون تفكير. قلة شعورها بالأمان يدفعها للانصياع لكل ما يطلبه. تخشى دائمًا إثارة غضبه. لو أردنا الصراحة، لا أحد منا سيستفيد إن دخل عمرو في إحدى نوبات الغضب. حسام لن يحل مشكلة لا تتطلب تدخلاً عضليًا، وخلود آخر من يحب مي. لا أعلم السبب لكن تعاملاتهما معًا شبه منعدمة. هذا يعني أنني وإيناس الشخصان الوحيدان المناسبان لتولي هذه المعضلة. لماذا بذلت مجهودًا منذ البداية لاستدعاء الآخرين إذن؟ عملاً بمبدأ المشاركة. بجانب أنه على عمرو أن يرى نتيجة تشجيعه الدائم لها على طريق الانحراف. ها أنا أحصد الثمن.

«دي بتخرف يا جماعة. اطلعوا برّه وسيبونا» أشرتُ لهم بيدي، وظلت إيناس بجواري.

«يلا يا نور. انهارده عيد ميلادك يا حبيبتي» نادى عمرو بإصبعه لتتبعه نور في مشهد كوميدي. بينما حمل حسام حبيبته خلود إلى الخارج. لا يبدو القلق على أي منهم.

اقتربت إيناس لتحتوي مي بين ذراعيها وتقبل رأسها.

«أنا الغلطانة. مكانش المفروض أسيبها تاخد حاجة» حمل صوتها نبرة ذنب واضحة.

«غلطانة ليه؟ احنا ليه بنعاملها كأنها صغيرة؟»

«اطلعي برّه!» دفعتها مي بقوة، فنظرت إليّ في دهشة، «أنا عاوزاه هو بس. اطلعي برة وسيبينا لوحدنا».

«هو مين ده؟ جو؟» سألتها إيناس في حيرة.

«أيوة. سيبينا لوحدنا» نظرت إيناس إليّ ثانية فهززت كتفي في حيرة مماثلة.

«متبصليش كده. معرفش هي عاوزة إيه» ضحكتُ في توتر.

«يا سلام! أمال هي عاوزاك ليه؟» تفحصتني في شك.

«معرفش يا إيناس».

اقتنعت إيناس أخيرًا بضرورة رحيلها كي تمر الليلة على خير. تركتني بمفردي فريسة لها، لكن تركت الباب مفتوحًا جزئيًا. سأحاول أن أتبع معها أسلوب الحنان الذي يحبه النساء، والذي تحبه هي بشكل خاص. ضممتها إليّ وقبّلتُ رأسها. بدأت تهدأ قليلاً. يا له من تقدم!

«بحبك يا جو» قالتها في هدوء شديد.

«وأنا كمان بحبك» قبّلتُ رأسها مرة أخرى لأؤكد ما أقول.

«بجد بتحبني؟» اعتدلت فجأة وجلست أمامي مباشرةً. انتابني التوتر.

«آه.. كلنا بنحبك. أنا بحبك. إيناس بتحبك. حتى عمرو رغم قسوته لكن برضه بيحبك» حاولت تهدئة الوضع، لكن.. كيف له أن يهدأ؟ لطالما طاردني سوء الحظ!

«بحبك يا جو».

قفزت لتلصق شفتيها بشفتيّ وبدأت تقبلني بحرارة. حاولت أن أدفعها.. ربما لم أحاول جيدًا. فأنا في النهاية رجل. ثوانٍ وتذكرت ما حولي. نهضتُ من مكاني لأبعدها عني. نظرتْ إليّ في غضب شديد. لم أدرِ ما أفعل. اقتربت ثانيةً متحسسة جسدي وعادت تلتهم شفتيّ. تبًّا لضعف مقاومتي. استجبتُ لها لثوانٍ أخرى. تذكرتُ أن الباب غير مغلق فعدتُ إلى رشدي. أبعدتها عني فراحت تصرخ كالمجانين. نظرت خلفي لأجد فيلو عند الباب. استدرت إليها ثم.. فيلو؟!

* * *

فادي

ها قد وصلت خلود. كم هي رائعة الجمال! لماذا تسمح لنفسها بمصاحبة شاب كحسام؟ بم يمتاز شاب مثله عني؟ أنا أكثر منه وسامة، ذكاءً، موهبة، مرحًا ومرونة. ضابط شرطة؟ يمكنني حمايتها جيدًا دون أن أحتاج إلى سلاح مثله. أيثيرها سلاحه؟ بعض الفتيات يفضلن أشياء غريبة. أهو ضخم الجثة؟ جسده غير متناسق أصلاً. بجانب أن من يسير عاريًا هكذا ليس سوى شاب يشعر بالنقص ويحاول تعويضه بالضخامة الجسدية، أراهنكم أنه لا يستطيع البقاء ولو ثوانٍ معها في الفراش. لوّحت لها بيدي فابتسمت. لماذا لا تنجذب إليّ؟ أنا دي جيه! كيف لا يثيرها هذا؟ كل الفتيات يُحببنني. يعشقن الموسيقى ومن يتولى دفة الموسيقى! لماذا لا تنجذب إليّ؟ ألأنها مع ذلك التافه؟ لا يستحقها. لن يستطيع الاعتناء بها. بكل ضخامته وقوته هذه لن يستطيع أن يحميها عندما يتطلب الأمر. لقد صنعتُ «تراك» خصيصًا لأجلها. سأشغلها بعد دقيقتين. هل ستنتبه إليها؟ بالتأكيد لن تفعل! من منهم يفهم في الموسيقى؟ لا أحد. ربما أذهب لأخبرها بنفسي. إنها تخلع ملابسها. يا إلهي! ثوب السباحة هذا! لا أتمالك نفسي. إنها تتمايل مع حسام في حمام السباحة! الوغد المحظوظ. سأضع الأسطوانة الخاصة بها الآن. مجموعة من التراكات الموجهة إليها

مسجلة الواحدة تلو الأخرى كي أجد الوقت لأرقص معها. بالتأكيد سأفعل. وضعتُ الأسطوانة ثم ذهبت إليهم. لا أتمالك أعصابي. إنها مثيرة للغاية! شعرها المبتل ينسدل على وجهها كأجمل عارضة أزياء.

«فيه دي جيه محترم يسيب مكانه؟» ابتسامتها مثيرة. حتى مزحاتها مثيرة.

«حد قالك قبل كده إن الأزرق يجنن عليكي؟» خرجت مني الجملة دون قصد.

«لا والله! الأزرق في وشك هيجنن برضه! انت شايفني بقرنين زيكوا ولا إيه!» قال حسام في انفعال مكتوم. يحاول البقاء هادئًا كي لا يُغضبها. من يجرؤ على إغضاب هذا الملاك؟

«جرى إيه يا حسام؟ انت هتخبط فينا ولا إيه؟» قال عمرو ضاحكًا.

«بقولك إيه يا فيلو! ما تروح تكمل شغلك. متسيبش المزيكا تقف» قال حسام في نبرة استفزازية! الأحمق! وكأنه يفهم شيئًا عن تقنية الدي جيه!

«أولاً، ده مش شغلي. أنا جاي انهارده عشان نور. مش انت اللي هتقولي أعمل إيه» كم مرة تعرضت للضرب بسبب لساني؟ أكثر مما أتذكر.

«ميرسي يا روحي» أرسلت لي نور قبلة في الهواء.

«على إيه يا حبيبتي! ثانيًا وده الأهم، مش انت اللي هتعدل عليا. أنا عارف كويس بعمل إيه» استطردت في عناد. بدأت نظرات الشر تظهر عليه.

«طب يلا يا حبيبي شوف وراك إيه» دفعني في قوة فغصتُ في المياه. خرجت لأجد ابتسامته المستفزة.

«أقولك ورايا إيه. الأغنية دي عشانك يا خوخة. أنا اللي عملتها بنفسي».

«لأ دانت مش هتجيبها البر!» تحركت يده في تلقائية بحثًا عن سلاحه فلم يجده بالطبع. حاول أن يركض نحوي. أعاقته المياه عن الوصول بسرعة. أحمق!

«إيه يا حسام، احنا جايين نتخانق؟! إيه قلة المزاج دي!» وقف عمرو بيننا.

«ولا نتخانق ولا حاجة. اسمعيها كويس يا خوخة. أنا طالع!»

أحيانًا يعد الانسحاب ذكاءً. لا يجب أن أتعرض لعلقة ساخنة. أثرتُ غضبه وانتباهها وعدتُ سليمًا. وقفت في المنصة أتراقص مع بداية التراك التالية مع خط البيس الساخن والخفقات العالية، تمامًا كما أشعر عندما أراها. أغمضت عينيّ وبدأت أنسجم عند الفاصل مع اللحن الهادئ؛ أتخيلها تخرج من المياه في هدوء، تتساقط قطرات الماء من شعرها وتسير بجسدها الناعم الممشوق، ثوب السباحة المبتل يثيرني.. و فجأة! تتصاعد التراك بقوة للتعبير عن الدماء التي تصاعدت إلى رأسي من فرط الشوق والنهم! أتمنى لو كانت بين ذراعيّ الآن! يعود خط البيس القوي مع أصوات الكهرباء العالية والخفقات المدمرة لطبلات الأذن! إنها الطاقة التي تملأني وأريد أن أفرغها بها بكل قوة! أريدها أن تشعر بكل ما بداخلي من طاقة وتصرخ من السعادة! أشعر بسخونة في جسدي! فتحتُ عينيّ لأرى تأثير التراك عليها. ما هذا؟ استفقت فجأة لأرى مشهدًا لم أرَ مثله

في تاريخ عملي كدي جيه. ساحة رقص خالية؟!! أين ذهب الناس؟ دي جيه فيلو يقف دون جمهور؟! غير معقول؟ كم فاتني من الوقت؟ ست، سبع دقائق؟ أهي كافية لفناء البشرية؟ لأنه لا يوجد تفسير آخر! لا يمكن أن يمل أحد من موسيقاي. أعرف أي موسيقى ألعب وكيف أبقي الناس على أطراف أصابعهم طوال فترة وقوفي في كابينة القائد. توجهت مسرعًا إلى داخل الفيلا لأجدهم في طريق العودة.

«رحتوا فين؟» سألت عمرو.

«دي حاجة بنت كلب يا عم! مي دي فصيلة قوي!» قال عمرو في نبرته المشهورة عند انقلاب مزاجه.

«بت رهيبة يا فيلو. مش ممكن. أنانية قوي. مبتفكرش غير في نفسها وبس. لازم تنكد عليا في عيد ميلادي» قالت نور. احتضنها عمرو.

«لأ يا نور مش هيحصل. تعالي. عاوزين ترزيع بقى يا فيلوووووو» صاح في نشوة مفتعلة، وألقى بنور في حمام السباحة وقفز خلفها.

تجاهلته ودخلت الفيلا لأستكشف بنفسي ما يحدث. لم أرَ مي قبل اليوم، لكنني ظننتها امرأة لطيفة وخفيفة الدم. بدت منبهرة بكل ما نفعل وبكل الألفاظ التي نتبادلها. فهمت منهم أنها أول مرة تقضي يومًا كهذا وليلة كهذه. قالت إنها أول مرة ترتدي ثوب سباحة فاضحًا أمام أحد أو تسبح مع أحد غير زوجها. عندما رأيتها للوهلة الأولى صباح اليوم بنظارة الشمس تخيلت أنها ضليعة، لكن بمجرد أن خلعتها رأيتُ وجهًا بريئًا كالأطفال. إنها لا تنتمي لهذا المكان فعلاً. أرادت تجربة كل شيء. الرقص، الارتماء في أحضان الرجال، العبث في المياه، الاستمتاع بنظراتنا لها وهي شبه عارية، شرب الخمر، حبوب الإكستاسي؛ كل شيء يمكن

تجربته. حاولت إقناعها بأنه ليس من الضروري تجربة كل شيء، فأنا نفسي لا أشرب أو أتناول المخدرات؛ لكن كيف تُقنع امرأة مكبوتة بهذا؟ كيف تمنعها من ممارسة كل الملذات؟ كأنك تطلب من طفل صغير ألا يتناول الحلوى عند غياب والدته.

بحثتُ في غرف الفيلا عنهم فلم أجد أحدًا. هناك أحد ما في الحمام. طرقتُ الباب. أتاني صوت إيناس من خلف الباب. أين البقية إذن؟ المزيد من البحث حتى وصلت. الباب مفتوح جزئيًا. نظرت من خلف الباب. يا للهول! ماذا يفعل هذا الوغد؟ كيف يستغلها بهذه الطريقة؟ دفعت الباب بقوة فانتفض جوزيف وأبعدها عنه.

* * *

لا ينبغي للموسيقى أن تتوقف

خلود

لا أشفق عليها. إنها حقيرة. لماذا أشفق على امرأة لعوب؟ لا يكفيها زوجها. لا يكفيها رجل واحد. تحاول دائمًا أن تلعب دور الفتاة في المحنة لكي تجذب الرجال نحوها. تتظاهر دائمًا أنها خرقاء أو لا تُحسن التصرف كي يحاول الجميع مساعدتها وتلفت الأنظار. أعرف هذه النوعية جيدًا. إنه النوع الذي يحاول سرقة الأضواء في عيد ميلاد صديقته! النوع الذي يريد أن يجتمع الكل حوله ولا يفكر في أحد سواه. التظاهر بالرقة وقلة الحيلة ينجح مع كل الرجال، وعلى رأسهم الأحمق حسام. رغبة الرجل في فرض سيطرته وقوته تجعله يتعلق بأي شيء. لا أهتم حتى إن فقدت وعيها أو لقت حتفها. لم يجبرها أحد على الانغماس فيما لا تستطيع تحمل عواقبه. كيف تترك بناتها الثلاثة من الأساس لقضاء الوقت مع رجال غرباء؟ نحن مجموعة من الناضجين، وهي تختلف عنا في أمر واحد؛ أنها متزوجة! لا يحق لها أن تفعل ما نفعل. لم يترك أي منا مسئولياته أو واجباته ليأتي إلى هنا. لا أتحمل أي ضغط أكثر من ذلك. يكفيني توتر علاقتي مع حسام ومحاولاتي البائسة للخروج من هذه الليلة دون أي خسائر.

«ساكت ليه؟» سألتُ حسام في شك، «قلقان عليها قوي؟»

«هقلق عليها ليه؟ لأ طبعًا يا خوخة!»

حاول تقبيلي فدفعته محدقة في وجهه. «متأكد؟»

«آه طبعًا» أجابني في ثقة واهنة. تبًّا له!

كم مرة حاولت الانفصال عنه دون جدوى؟ مرات كثيرة جدًّا. كل مرة وجد بها طريقة لنعود إلى بعضنا مرة أخرى. أحيانًا أشعر أنه قدري الذي لا مفر منه. أتذكر آخر مرة تصاعدت الأمور بيننا وقررت الانفصال عنه. في البداية تظاهر باستسلامه الشديد للأمر الواقع. ظل يتصرف بشكل طفولي أمام أصدقائي متظاهرًا أنه سعيد لانفصالنا وأنه أخيرًا سيستعيد حريته، وأنه لا توجد امرأة نظيفة تستحق العناء، وكل العبارات المبتذلة التي يمكن التفكير بها. ماذا حدث بعدها؟ كان مشهدًا من أحد أفلام الرعب. كنت جالسة مع إيناس، عمرو، نور وجوزيف بمقهانا المعتاد في التجمع الخامس. حاولوا يومها إقناعي أنه يحبني ويتعذب لغيابي، لكن مزاجي لم يسمح بالاستماع لسخافاتهم. كل خمس دقائق تفقدت إيناس هاتفها المحمول ونظرت إليّ بشكل مثير للشك. بعد استجوابها اعترفت أنها تتحدث إلى حسام وأنه يسأل عني. مرت نصف ساعة وحدث الهجوم. دخل حسام المقهى في عنف، ومسدسه بارز من جيبه. اقترب مني وتظاهر بالتعقل.

«تعالي معايا. عاوزين نتكلم».

«مفيش حاجة نتكلم فيها يا حسام. اللي بينّا خلص» تجنبت النظر إليه.

«بقولك تعالي نتكلم!» بدأ صوته يعلو في المكان ملفتًا الأنظار. يعلم جيدًا كم أخشى على مظهري.

«عشان خاطري أنا يا خوخة اتكلمي معاه. ده بيحبك والله» قالت

إيناس.

«محدش له دعوة. امشي يا حسام من فضلك. مش عاوزة فضايح» حاولت الحفاظ على هدوئي.

«أنا هوريكي الفضايح يا خلود!» أخرج مسدسه وجذبني من ذراعي في عنف مثيرًا البلبلة في المكان.

«بطّل هبل يا حسام. مفيش حاجة بتيجي بالطريقة دي» تحدث جوزيف كعادته بصوت العقل، بينما توترت إيناس وحاولت الاقتراب منه.

«هتيجي معايا يعني هتيجي!» جذبني من شعري بقوة فصرخ رواد المقهى.

«يا أستاذ حسام مينفعش كده. حضرتك عامل رعب للناس» قالها المدير الذي جاء مسرعًا لمحاولة إنقاذ الموقف، لم يجرؤ على طرده بالطبع.

«ماشي يا خلود. أنا همشي. بس لو عاوزة تشوفي موبايلك وعربيتك تاني، يبقى لازم تتكلمي معايا» هرع للطاولة ففهمنا ما يرمي إليه.

امتدت يد جوزيف محاولاً إنقاذ حقيبتي لكن سبقه إليها حسام واستدار راحلاً. حاول عمرو أن يستوقفه لكنه دفعه في عنف شديد وخرج دون التفوه بكلمة. أصبح هاتفي فريسة له، وتفقد محادثاتي الكتابية مع كل أصدقائنا ليرى العبارات الفظيعة التي تبادلتها معهم عنه، وكيف تعاطف معي الجميع ووقفوا ضده. في الأيام التالية تعرض كل أصدقائي لمضايقات واحتكاكات هم في غنى عنها بسببه. أصابه اليأس بعد أيام، ووقف تحت بيتي يبكي كالأطفال متوسلاً إليّ أن أعود

إليه. هذا الوحش الكاسر يحبني لدرجة الجنون، لدرجة العنف. لن يتردد في أن يقتلني لأكون له وحده. أشفقت عليه. شعور الوحدة وأن كل من حولك قد هجروك هو أسوأ ما يمكن أن يحدث للإنسان. وافقت أن أعود إليه، ربما للمرة الأخيرة. إن أخطأ ثانيةً فلن أتردد في الإلقاء به في سلة المهملات. لن أتحمل أي تصرف طفولي منه ثانيةً. لن أتحمل سلوكياته القذرة. إن أراد الاحتفاظ بي فيجب أن يستحق ما هو أكثر من شفقتي تجاهه. يجب أن يستحق احترامي! أعترف أنني أفتقده قليلاً كلما افترقنا. هذا ما يدفعني دائمًا للعودة إليه في النهاية. محاولاته المستميتة دائمًا ما تنجح في التأثير عليّ؛ لكنها المرة الأخيرة. إنه يلعب في الوقت الضائع.

«مشوفكش بقى بتتكلم معاها خالص انهاردة».

«حاضر يا خوخة. أنا بموت فيكي انتي» أجابني مبتسمًا. أحب ابتسامته عندما تكون صافية.

«أيوة كده افرد وشك. خلينا ننبسط» تبادلنا القبلات مع أنغام الموسيقى. سأعترف بشيء. أعجبتني إيماءة فيلو بإهدائه الأغنية لي. لا يمكن أن تلوم فتاة على تأثرها بلفتة رومانسية. ربما على حسام أن يتعلم الحس المرهف.

* * *

فادي

ظللت محدقًا لفترة محاولاً استيعاب المشهد. لا أظن ما رأيت يحتاج لشرح. هذا الوغد يستغل امرأة في حالة ضعف ليشبع رغباته الجسدية الرخيصة. تقدمت ودفعته في صدره بقوة.

«انت معندكش دم؟! مفيش أي مسئولية كده خالص؟!»

«انت فاهم غلط يا فيلو. أنا مقربتلهاش. هي دايخة شوية وأنا بحاول أفوقها».

«بتحاول تفوقها ازاي يعني؟! تغتصبها؟»

«فيلو. الليلة دي مش ناقصاك خالص. انت مش فاهم حاجة».

«لأ فاهم كويس يا جو. فاهم إنك وسخ وبتستغل واحدة مش واعية! دي كمان متجوزة وعندها بنات!»

علت أصواتنا فجاءت إيناس مسرعة إلى الغرفة.

«فيه إيه؟»

«فيه إن الأستاذ كان بيبوسها. مفيش إحساس بالمسئولية. المفروض تاخد بالك منها، مش تستغلها بالمنظر الوسخ ده».

«هو فيه إيه بالظبط؟! إيه اللي جابكوا هنا؟» صاحت مي وكأنها استفاقت فجأة.

«مفيش حاجة يا مي. تعالي معايا» حاولت اصطحابها معي للخارج لكنها رفضت.

«أنت واخدني على فين؟! مش عاوزة حد فيكوا! عاوزاه هو بس!»

«جو! أنا مش فاهمة حاجة» صاحت إيناس.

«مي تعبانة وأنا بحاول أفوقها. مفيش حاجة. تلاقيها افتكرتني جوزها. دي زي أختي الصغيرة».

«أختك الصغيرة بتتحرش بيها كده؟!» نظرتُ إليه في استهجان.

«انت مش هتتظبط إلا لما تتهزأ. مش كده؟» أجابني في هدوء. لطالما حسدته على برود أعصابه.

«تعالى يا فيلو. تعالى» سحبتني إيناس من يدي فخضعت لها.

«أنا هوديها أغسلّها وشها» هتف جوزيف من خلفنا.

قادتني للخارج ووقفنا بعيدًا.

«احنا هنسيبهم لوحدهم تاني؟» سألتها في دهشة.

«بالراحة بس. فهمني إيه اللي حصل».

«أفهمك إيه يا إيناس؟ لو سمحتي قوليله مالوش دعوة بيها».

«جو مش ممكن يعمل اللي بتقول عليه. ولو هو بيقول إنه معملش حاجة أنا مصدقاه» أجابت في ثقة.

«يعني أنا كداب؟!» ماذا أتى بي إلى هنا الليلة؟ كيف يبررون لأنفسهم هذا الهراء؟

«مقلتش كده. بس أنا عارفة جو كويس. أكيد فيه حاجة إحنا مش فاهمينها. ممكن تكون هي اللي رمت نفسها عليه» لا أفهم سر انحيازها الشديد.

«وده مبرر إنه يزيط؟!»

«أنا هفهم منه كل حاجة. اهدا انت وبلاش تتكلم في الموضوع كتير».

«ممكن مانسيبهمش مع بعض على الأقل؟!» أشعر كأنني أتوسل إليها الآن.

«حاضر».

* * *

مي

لم هذه الفوضى؟ ما كل هذه الضوضاء؟ كل ما أردت هو بعض الخصوصية معه. أريد البقاء في حضنه فحسب وأغمض عينيّ إلى الأبد. كم هو جميل! كم هو حنون! أعشق كل ما فيه؛ خفة ظله، صوته، ابتسامته، شاربه، أصابعه الناعمة وشفتيه العذبتين. أريد أن أنهل منهما إلى الأبد. لماذا لا يريدون أن يتركونا وحدنا؟ ما هذه السخافة؟ لم أطلب سوى الانفراد به لدقائق، وحتى ذلك لا أستطيع الحصول عليه. قال إنه يحبني. لماذا توقف عن تقبيلي إذن؟ استمر الصراخ قليلاً، بعدها أصبحنا وحدنا من جديد. ها قد تركونا أخيرًا. اقترب منّي وحملني بذراعيه القويتين. ضحكتُ في سعادة وهو يحملني إلى الحمام. هذا الخبيث! لا يريد أن تنقطع خلوتنا. أغلق الباب ووضعني في حوض الاستحمام. انتظرت أن أشعر به فوق جسدي لأتفاجأ بشلال قوي من المياه يغمرني. انتفضتُ وجلست منتصبة أبحث عن مخرج.

«إيه ده؟! انت بتعمل إيه؟»

«بفوّقك يا حبيبتي» ها هو يعترف لي بحبه ثانيةً. المياه المثلجة أرسلت رعشة قوية في أوصالي.

«هموت م البرد. اقفل يا جو. اقفل!» توقفت المياه وحملني ثانيةً.

«استني أجيبلك فوطة» أمسكت بيده. فنظر إليّ ثانيةً وحك أنفه.

«مش عاوزة فوطة. أنا عاوزاك انت» قفزت لألف ساقيّ حول وسطه فاستجاب جسده لي بكل سلاسة. ما هذا الانسجام الجسدي الرائع. إنه يحبني كما أحبه.

خالد لا يقبلني هكذا. لا يلمسني هكذا. لا يحملني هكذا. أريده هو. أحبه هو. أريد أن تستمر تلك القبلة إلى أن أشبع منها، ولا أظنني سأفعل. لا أريد أن يقطع عليّ أحد هذه اللحظة. انفتح الباب فجأة وظهر أحدهم. إنها إيناس! لماذا تأتي الآن؟ لماذا لا تتركنا وحدنا؟ ماذا تريد منا؟

«وأنا اللي عمالة أدافع عنك يا جو!»

«استني يا إيناس» تركني أرتعد من البرودة وهرع خلفها. إنه يحبني، أليس كذلك؟ لماذا تركني؟

شعرت بشخص آخر يحملني إلى الخارج.

* * *

عمرو

ما هذه الموسيقى المملة؟ أريد شيئًا قويًا. أريد ما يقذف بي إلى عالم آخر. لن أدع ليلتنا تمر هكذا. لماذا لم يعد فيلو بعد؟ أكره الأمر عندما تتصرف مي بهذه الطريقة! لم أعرف أنها ستنهار بهذا الشكل. أصررت على دفعها للشرب وإعطائها حبوب الإكستاسي كي تدخل في مزاج أفضل ولا تفسد علينا ليلتنا. ماذا كانت النتيجة؟ زاد هذا من اكتئابها. لم أتوقع كيف ستتصرف في ليلة كهذه. كانت مسلية في البداية وظلت تلعب وتمرح معنا، إلى أن بدأت تتوتر وتتحدث بشكل سلبي.

«أنا حاسة إن اليوم مش هيعدي على خير انهارده» استمرت بترديد هذه الجملة.

«ليه يا فصيلة؟ احنا جايين ننبسط أهو. تعالي بس أمّا أوريكي حاجة» حملتها بين ذراعي وألقيت بها في الماء، وقفزت خلفها. رحت أدغدغها لتضحك في جنون.

«يا نهار أسود! دانا مفيش حد لمسني قبل كده غير خالد! أنا حاسة انه هيطب علينا في أي لحظة» حتى مزاحها كان ينذر بوقوع كارثة. ذكرتني بنور عندما تفرك بحثًا عن المشاكل أو تريد اختلاق شجار.

رأيت وقتها أن الحل هو إخراجها من هذا المزاج السيء بطرق غير شرعية. أظنني أخطأت؛ لكنني لن أدفع الثمن. أنا هنا لأجل نور. لا أتحمل عندما تعبس هكذا. إنها في مزاج سيء للغاية. أحيانًا أشعر أنه لا يهم ما أفعل، ستجد نور سببًا لتحزن لأجله. يجن جنوني عندما أبذل كل ما بجهدي لإسعادها وتظل عابسة. ماذا بيدي أكثر من هذا لأسعدها؟ سأخرجها من هذه الحالة فورًا.

«تعالي جنبي يا نور وأنا بلعب. هشغلّك الأسطوانة اللي أنا محضرهالك».

«طب مش هنستنى أمّا الباقيين ييجوا؟» سألتني في حيرة.

«نستنى مين! احنا هنا عشانك يا مزة!» بدا عليها شبح ابتسامة. يكفيني هذا حاليًا.

ذهبنا إلى جهاز الأسطوانات وضغطت على زر فتوقفت الموسيقى تمامًا. تبًّا! ماذا فعلت؟! نظرت إليها مبتسمًا في حرج. هتفت خلود من بعيد.

«عملت إيه يا منيل؟!»

«مفيش يا خوخة! الظاهر البتاع ده بايظ» حاولت إبعاد الشبهات عني.

«طب استنى أمّا فيلو ييجي يشوفه. اليوم ماله قفل كده!»

ما هذا الصمت؟ إنه سيء جدًّا! لا! ليس هذا ما أريد! أريد الموسيقى! لا ينبغي للموسيقى أن تتوقف! لماذا لازلت أفكر؟ أريد أن أكف عن التفكير! أريد أن أشعر بدقات الموسيقى في جسدي ورأسي! لم أتناول كل

هذه الحبوب دون جدوى. سأذهب لإحضار المزيد. توجهت مسرعًا إلى غرفتنا في الفيلا لأبحث عن مخزوني. وجدت جو وإيناس يتحدثان معًا.

«انتوا واقفين هنا وسايبينا برّه؟! أمال فيلو فين؟»

«مانعرفش يا عمرو. شوفه كده» أجابت إيناس دون أن تنظر إليّ.

«أنا مش بكلمك؟! ما تبصيلي» استفزتني فصحتُ بها.

«عمروا» لكزني جو في غضب. قلما أراه هكذا، «اظبط! فيه إيه؟!»

«تعالى عاوزك في مصلحة» غمزتُ له، فأغمض عينيه في تفكير عميق.

«دلوقتي؟» سألني في تردد.

«هو ده وقته» ابتسمتُ له، فابتسم بدوره.

«على رأيك. لازم نلحق نظبط اليوم» وافقني ضاحكًا، فاستوقفته إيناس.

«هتعملوا إيه؟»

«ولا حاجة يا إيناس. مشوار كده».

«جو! بلاش!» قالت في قلق.

«بلاش إيه يا إيناس؟ حد قال حاجة؟» تبادل معي نظرة ضاحكة.

«جو! أنا مش عبيطة! بقولك بلاش. قلنا لازم نبقى عقلانيين شوية».

«انتي بتقولي إيه يا إيناس. مش فاهم حاجة» استمر جو بتضليلها، «متشغليش بالك. اطمني انتي على مي وأنا هحصلك».

«حبيبي يا جو!» احتضنته في سعادة! الآن تكتمل الليلة!

«هو مفيش مزيكا ليه؟! المزيكا وقفت ليه؟ انتوا بتهرجوا يا جدعان؟ لا لا لا. مينفعش خالص اللي بيحصل ده. فيلو فين؟ حد يشوف فيلو» بدأ جو يتوتر. هذا ما يحدث عندما تتوقف الموسيقى ونحن تحت تأثير المخدر. لا نستطيع التحرك أبدًا أو التنفس.

«تعالى نشوف فيلو فين!» وافقته دون الاعتراف أنني المتسبب في هذا العطل.

وجدنا فيلو يخرج من إحدى الغرف المظلمة ويغلق الباب خلفه.

«بتعمل إيه؟» سألته في دهشة.

«سبتها ترتاح شوية. ابتدت تنام» تنفس الصعداء.

«انت شاغل بالك بيها كده ليه. هي أمك؟» ضربته في مرح.

«لأ. دي أخت جو» نظر إلى جو في كراهية.

«هتفصلنا انت كمان؟! ما تشوف المزيكا وقفت ليه!» اقتدته إلى الباب.

«هي المزيكا وقفت ليه أصلاً؟» سأل في دهشة وكأنه انتبه للتو.

«ماعرفش. بتسألني أنا؟» تظاهرت بالحيرة ناظرًا إلى جو.

«انت بتستهبل يا عمرو؟! انت لعبت في حاجة.. مش كده؟!» بدأ يفقد أعصابه. يبالغ في الحرص على معداته وكأنه أحد جنود السلاح البري.

«مانت سايب الحاجة وقاعد بتلف وتدور. عاوزنا نقعد من غير موسيقى؟!» أجبته في سخافة.

«قلتلك مية مرة يا عمرو ما تلمسش حاجتي! انت أصلاً مالكش فيها

ولا بتفهم فيها! بتلعب في حاجتي ليه! المزيكا كانت شغالة ومافيهاش حاجة. أنا عارف بعمل إيه! أنا دي جيه فيلو! مش انت اللي هتعلمني!»

«فكك بقى من البق الرخيص بتاعك ده عشان يومك يعدي» اعتصرت فكه بأصابعي فدفعني جو.

«انت شايف نفسك علينا ليه يا عم فيلو. اهدا كده بس وروح شوف بتعمل إيه» أشار له جو بالرحيل.

«إيه قلة المزاج دي! إيه ابن الكلب ده!» صحت في غضب.

«تعالى بس يا عمرو. تعالى» توجهنا إلى المخبأ.

* * *

جوزيف

«وأنا اللي عمالة أدافع عنك يا جو!» صاحت إيناس في غضب وخرجت من الحمام.

«استني يا إيناس» ألقيت بمي على الأرض وركضت خلفها.

كيف وقعت في هذا الموقف؟ أتفهم أن امرأة في موقف مي ستكون مشوشة ولا تدري ما تفعل. السؤال هو؛ لماذا اختارتني أنا؟ لكل شيء سبب. لماذا طلبت أن يرحل الجميع عداي؟ هل قالت صراحةً أنها تحبني؟ أظنها فعلت. هل يعني ذلك شيئًا؟ لا أدري. لست واثقًا. من واقع خبرتي، يكشف الإنسان أسراره الدفينة عندما يكون في هذه الحالة. كيف تحبني؟ لا أتذكر أننا وصلنا لأي مرحلة من التقارب تسمح بالإعجاب حتى. ربما هي واهمة. حزنها في بيتها واكتئابها دفعها للتعلق بأول شخص تراه أمامها؛ لكن هذا لا يفسر أن تطلبني بالاسم. ربما لأنني الوحيد غير المرتبط؟ ما هذا الذي أقول؟ امرأة في حالتها لن تفكر بهذه العقلانية؛ ستستجيب لرغباتها البدائية بغض النظر عن الظروف المحيطة. إن أرادت عمرو لطاردته دون أن تفكر مرتين في نور. إنها لا تفكر، بل تتصرف طبقًا لغريزتها المخيفة. إنها تلك الحالة المؤسفة من اللاوعي، والتي نتعمد دائمًا إنكار ما حدث فيها. أعرف هذا الشعور

جيدًا. لحقت بإيناس عند الباب.

«هي اللي رمت نفسها عليا».

«ماشوفتكش بتحاول تمنعها» أجابت دون تفكير. إنها محقة.

«انتي ماشوفتيش عملت إيه. صدقيني حاولت. هي اللي أصرت. كنت لسه بابعدها عني لقيتك دخلتي علينا. أنا راجل برضه يا إيناس. مش هتحاسبيني عشان اتأثرت بيها لجزء من الثانية».

«طب ولما كنتوا في الأوضة؟»

«أنا مش فاهم حاجة. قعدت تقولّي بحبك. وحاولت تتهجم عليا. وأنا برضه منعتها. هي البت شفايفها حلوة بصراحة» ضحكتُ رغمًا عني فاستدارت في غيظ، «بهزر معاكي يا إيناس. مانتي عارفة إن عمري ما هعمل كده. مانتي عارفة اللي جوايا».

«أنا مالي باللي جواك. أنا خايفة عليها هي» هزت كتفيها في عناد فاحتضنتها من الخلف وقبلت رأسها.

«لأ مش ناقصة فضايح انهارده خالص» التفتت لتواجهني، «بعدين فيه حاجة عاوزة أقولهالك» بدا الحرج عليها. ستخبرني بأمر مؤسف. هذا أكيد.

«انتوا واقفين هنا وسايبينا برة. أمال فيلو فين؟» قطع عمرو حديثنا.

«مانعرفش يا عمرو. شوفه كده» أجابته إيناس. بم ستخبرني؟ ما هذا التشويق؟

دائمًا ما تتعقد الأمور بشكل لا نرغب فيه أبدًا. البعض يقول إن الحياة

أقصر من ألا نعيشها مع من نحب. نظريًا، وجهة النظر هذه سليمة تمامًا. لكن هل الأمر بهذه السهولة؟ كيف تحاول أن تحافظ على ما يخالف قوانين الطبيعة؟ كيف تجد الحلول لأمر يرفضه مجتمعك رفضًا تامًا، بل ويرفضه الدين؟ الحياة قصيرة؛ ربما أقصر من اللازم. كل هذا التفكير أثار توتري. ربما سأنصاع لرغبة عمرو الآن رغم تحذيرات إيناس. لا أستطيع التفكير جيدًا. أحتاج إلى ما يهدئ أعصابي. أشعر بتقلب في معدتي وبرودة في عروقي. أحتاج إلى ما يدفئني. بدأت شفتاي ترتجفان. ما هذا الهدوء القاتل؟!

«هو مفيش مزيكا ليه؟! المزيكا وقفت ليه؟ انتوا بتهرجوا يا جدعان؟ لا لا لا مينفعش خالص اللي بيحصل ده. فيلو فين؟ حد يشوف فيلو».

«تعالى نشوف فيلو فين!» أيدني عمرو.

يشعر بسعادة طاغية ولذلك سيوافقني على أي شيء. لو طلبت عينيه سيعطيهما لي طواعيةً الآن. لماذا أسير معه؟ هذا ليس صحيًا. لماذا أهدم كل ما بنيت؟ تبًّا للضعف الكامن بداخلي. لماذا أضعف؟ بذلت مجهودًا كبيرًا لأحافظ على نظافة دمائي من هذا السم الأبيض. لطالما حذروني من مثل هذه التجمعات لأنها تشجع على العودة إلى الإدمان. تعهدت إيناس بأن تحميني قدر الإمكان؛ لكن كيف تحميني من نفسي؟ لا أستطيع التماسك الآن. أشعر برغبة عاتية. ها هو فيلو أخيرًا! ستعود الموسيقى إلى العمل. هذا ما نبغيه. كلنا قلقين على مي؛ لكن ما سر انفعال فيلو الشديد؟ يبالغ دائمًا في انفعالاته. اعتاد الحركة العنيفة والأصوات العالية مما يثير مشاعره عند أتفه الأسباب. كيف نتصرف الآن؟ هل ما حدث لمي مجرد تأثير سيء لمزيج مدمر من الخمر والحبوب؟ ما الخبر السيء الذي

ستخبرني به إيناس؟ لا داعي لهذا التوتر! وصلنا إلى مخبأ الهيروين السري.

«انت ليه أصريت تخبيه يا جو؟ احنا لوحدنا في الفيلا» سأل عمرو ضاحكًا.

«لازم الواحد يبقى حريص يا عمور. مانت عارف».

في الواقع، هو لا يعرف شيئًا. لا يعرف أنه لا يمكنني المخاطرة بكشف أمري. لا يعرف أنه يدمرني عندما يجذبني ثانيةً لطريق التعاطي. لا يعرف أنه يخاطر بإرسالي إلى السجن بقية عمري إن اكتشف أحدهم كمية الهيروين التي نحتفظ بها كأننا تجار للفساد في أحد شوارع بروكلين الخلفية. الحقيقة المخزية التي أعيش بها كل يوم. لكن ماذا يضيره هو؟ إنه يبحث عن المتعة فحسب. عم أبحث أنا؟ عن الهروب من الواقع.

* * *

فادي

دخلت إلى الحمام لأجد مي مستلقية على الأرض. إذن فقد ألقى بجثتها بعد الانتهاء من جريمته! سلوك متوقع تمامًا. لو كان يمتلك ذرة احترام واحدة للذات ما استغل ضعفها منذ البداية. أي إنسان يسمح لنفسه أن يعتدي على امرأة عاجزة غائبة عن الوعي سوى عبد رخيص للملذات؟ كلهم كذلك. عندما طلب مني عمرو إحياء حفل عيد ميلاد لم أوافق في البداية. علاقتي بعمرو لا تتعدى سهراتنا المزعجة في النوادي الليلية وربما بعض دعوات العشاء. بعدما أخبرني أنه لأجل نور بدأت أشاور عقلي. بمجرد أن عرفت بحضور خلود حسمت أمري. كيف أضيع فرصة لرؤيتها؟ هذا ما سيطر على تفكيري. كلما يقع شجار بينها و بين حسام يملأني الأمل بأن ينفصلا؛ لكن سرعان ما يعودان لبعضهما. يثير هذا جنوني! مي ترتجف من البرد. تركها بثوب السباحة؟ يا له من وغد! لسبب ما أشعر أنها مسئولة مني. أشعر بالتزام نحوها، أن عليّ أن أعتني بها وأخرجها من هذا المكان وهي سليمة. حاولت مساعدتها على النهوض فلم تستجب. حملتها بين ذراعيّ وبحثت عن غرفة خالية لأتركها بها. دخلت ووضعتها على الفراش وغطيتها جيدًا كي تدفأ. نظرتُ إلى وجهها البريء ورحت أملس على شعرها.

طفلة صغيرة نائمة. قبلت رأسها وقمتُ لأغادر الغرفة.

«جو! رايح فين وسايبني يا جو» نادتني بصوت واهن.

«جو مش موجود يا مي» أجبتها في انفعال. إذن فهي تريده فعلاً؟

«انت مين؟»

«أنا فيلو» جلست بجوارها على الفراش.

«فيلو.. انت طيب قوي يا فيلو» قالت مبتسمة في شرود.

طيب؟ لماذا أشعر بإهانة شديدة من سماع هذه الكلمة؟ منذ متى أصبحت هذه الكلمة تعيب من يتم وصفه بها؟ انت طيب أصبحت تعني «أنت مسكين»، أو «أنت ساذج»، أو «أنت لا تنتمي لهذا العالم». ومن يقولها لي؟ أقلنا خبرة وتعرضًا للمواقف. إنها إهانة مضاعفة إذن. ماذا تعرف هي عني أو عن حياتي؟ أبسط مشاكلها هي الملل في حياتها الزوجية. لهذا تبحث عما يشغل حياتها أو يسليها.

«انتي اللي طيبة» أجبتها في هدوء.

«لأ بجد يا فيلو. انت نضيف قوي من جوه».

«انتي محتاجة تنامي» وقفت ثانيةً لأتركها وحدها.

«أنا عاوزة جو».

«انتي مش عايزة حد. دماغك متلخبطة شوية. استني أمّا تفوقي».

«بقولك عاوزاااااه» صاحت فجأة، ثم انتظمت أنفاسها. ها قد عادت للنوم.

ماذا فعل بها ذلك الأحمق؟ كيف تعلقت به هكذا؟ اكتئابها قادها لحالة الضعف هذه، ونجح هو في السيطرة على مشاعرها. سأنتظر حتى تفيق ثم أعيدها إلى بيتها. أغلقت الباب خلفي وخرجت. ها هو ذا، ومعه عمرو. لا أطيق التحدث لأي منهما. عمرو يشتكيني من توقف الموسيقى. كيف لم أنتبه لذلك؟ لا بد أن هذا الأحمق ارتكب خطأ ما.

«قلتلك مية مرة يا عمرو متلمسش حاجتي! انت أصلاً مالكش فيها ولا بتفهم فيها! بتلعب في حاجتي ليه! المزيكا كانت شغالة ومفيهاش حاجة. أنا عارف بعمل إيه! أنا دي جيه فيلو! مش انت اللي هتعلمني!» انفجرت به.

«فكك بقى من البق الرخيص بتاعك ده عشان يومك يعدي» لماذا يلجأ الجميع لاستخدام أيديهم في أي نقاش؟ اصطحبه جوزيف بعيدًا وغابا عن الأنظار.

خرجت إلى حديقة الفيلا ثانيةً حيث وجدت نور تقف غاضبة. بحثت بعيني عن خلود. إنها تنام في حضن ذلك التافه. ما هذه الليلة المملة؟ لم تمر عليّ ليلة بهذا الملل من قبل. من المسئول عن هذا؟ ركضت مسرعًا لأعيد تشغيل المزيكا. أحاول إعادة جو الاحتفال ثانيةً. بدأت دقات الموسيقى ترج المكان. اندمج حسام وخلود في الرقص. وضعت نور يديها في خصرها. تركت مكاني وذهبت إليها.

«مالك يا نور؟» سألتها وأنا أعرف الإجابة.

«مش شايف يا فيلو سايبني لوحدي ازاي. هو راح فين؟»

«طب تعالي نرقص احنا لحد ما يرجع».

أعجبتها الفكرة وأخذنا نتراقص مع الموسيقى. إنها تحب عمرو بجنون. لا تستطيع العيش ولو لخمس دقائق دون وجوده بجوارها. تغار عليه من نفسها، بل ومن الرجال أيضًا. تريده لنفسها فقط، ولا تريد أن يغيب عن نظرها ولو للحظة.

«على فكرة عمرو هو اللي عامل كل الليلة دي عشانك» لا أطيقه الآن، لكنها الحقيقة.

«عارفة» أجابت في ضيق.

«متزعليش منه. تلاقيه بيجيب حاجة وراجع على طول. ده بيحبك قوي».

«أنا بحبه أكتر يا فيلو والله. عمري ما تخيلت في حياتي إني هنبسط كده» ها أنا أساعدك أيها الوغد.

«ناويين على إيه؟» سألتها باهتمام.

«عمرو إنسان جميل. مبطلبش منه حاجة إلا ويعملهالي، ولما بيقعد يتكلم مع الناس بحسه فاهم قوي، وناجح في شغله، وكمان بار بأمه جدًّا، لازم يزورها على طول ويشوف هي عاوزة إيه».

«انتي هتقوليلي، ده كان لسة عندها امبارح» عمرو يحب والدته أكثر من أي شيء في الوجود. أكثر من نور شخصيًا.

«تفتكر ممكن نتجوز فعلاً؟ فرق السن بينا كبير شوية» قالت في خجل شديد. «فرق سن إيه يا عبيطة؟ دانتي شكلك ميكملش ٢٠ سنة. الناس تفتكرك بنته أصلاً» ضحكت وعانقتها لأبث فيها الثقة.

«لأ متقولش كده على عمرو. ده زي القمر» قرصتني في أذني.

لا تدع أحدًا يتحدث عنه بسوء حتى ولو على سبيل المزاح. أخشى عليها منه. تاريخ عمرو غير مشرف مع النساء أبدًا. احتمالية أن يجرحها عالية جدًّا. أتمنى ألا أشهد هذه اللحظة. امرأة مثل نور ستنكسر تمامًا إن تعرضت للأذى منه. ها قد ظهرت إيناس ثانيةً. اقتربت مني وهمست في أذني.

«أنا دخلتلها واتكلمت معاها» اصطحبتها بعيدًا لئلا تسمعنا نور.

«قالتلك إيه؟»

«هي كانت بتخرف شوية. بس واضح قوي إن هي اللي بتموت فيه. انت مسمعتش قالت إيه!»

«انتي عاوزة واحدة في الحالة دي تفكر ازاي يا إيناس؟ انتي مصدقة نفسك؟!»

«إيه التقوى والورع اللي نزلوا عليك دول يا فيلو؟! انت بتمثل عليا أنا؟ دانت مفيش بنت بترقص حواليك في «الكلوب» إلا لما بتحسس على كل حتة في جسمها، ونصهم بتروّح بيهم البيت».

«فيه فرق أمّا تبقى واحدة بتعمل حاجة بمزاجها، وإني أستغل واحدة مش واعية» أجبتها في إصرار.

«انت قلت حاجة لحد؟» سألتني في قلق.

«لأ ملهاش لازمة الفضايح. أنا مستنيها تصحى عشان أرجعها بيتها».

«ترجعها فين حضرتك؟ مش شايف الساعة كام؟ هتقول إيه لجوزها؟»

«هقوله أي حاجة. هقوله إنها تعبت» انتابتني الحيرة عندما فهمت ما تشير إليه.

«ده هيقتلك على الباب يا فيلو. ما تركز شوية. انت فاكره عارف هي فين أصلاً؟ المفروض إنها عندي في البيت» ضحكت في استنكار.

«وانتي بقى اللي بتساعديها ع الانحراف انتي وعمرو والأستاذ جو؟»

«فيلو. أنا مقدرة إنك متضايق عشانها. والله أنا كمان متضايقة. بس بطّل طريقتك دي. أنا عارفة إنك أحسن من كده» تركتني وذهبت لتسترخي على أرض الحديقة.

* * *

مي

أين أنا؟

أشعر بأنني مريضة. أشعر كأنني في فراش إحدى المستشفيات. الحرارة تشع من رأسي. عيناي تؤلماني. اعتدلت في الفراش ونظرت حولي. ماذا أفعل؟ أشعر باختناق شديد. فتحت باب الغرفة. الضوضاء في كل مكان. أسمع أصوات الضحكات والموسيقى الصاخبة. لا أطيق هذه الأجواء. لا أتحمل رائحة الدخان. لا أتحمل هذا المكان الضيق. خرجت إلى الهواء الطلق. فتحت الباب الحديدي الكبير. بدأت أتجول في الشوارع المظلمة. أحب الهدوء. كم يريحني! ماذا أرتدي؟ قميص رجالي طويل وبأسفله ثوب سباحة! الشوارع خالية تمامًا. قد يخطفني أحدهم أو يقتلني دون أدنى أثر. لماذا أنا في الشارع في هذا التوقيت من الليل؟ سأسترجع الأحداث ثانيةً. أخبرتني إيناس بأنهم سيحتفلون بعيد ميلاد نور. عندما سألتها عن طبيعة الاحتفال ابتسمت وقالت لي بهدوء:

«لا يا مي. ده مش الجو بتاعك خالص».

«مين اللي قالك كده؟!» سألتها في غيظ. لماذا تستثنيني من الخطط دون أن تأخذ رأيي؟!

«عشان أنا عارفاكي كويس يا حبيبتي. ده كله رقص وشرب ودعارة وهنبات كلنا في فيلا واحدة. حتى لو انتي حاسة انك هتنبسطي خالد عمره ما هيسيبك».

كانت محقة. أحيانًا أشعر أنها تعرفني أكثر من نفسي. معظم الوقت أدعها تأخذ القرارات المناسبة لي لأنني قليلة الحيلة؛ لكن هذه المرة كان الوضع مختلفًا. سيطر العناد عليّ بشكل كبير. أردت أن أثبت لنفسي قبلها أنني قادرة تمامًا على التأقلم في هذه الأجواء بل والوصول لأقصى درجات السعادة. بعد إصرار شديد من جانبي وافقت على اصطحابي معها. أخبرنا خالد أننا سنحتفل بعيد ميلاد نور مع التلاعب ببعض التفاصيل.

«هتبقى سهرة بنات في بعض وهنجيب أكل من برّه ونتفرج على فيلم. انت عارف إن نور وحدانية وملهاش غيرنا يا خالد» قالت إيناس في ثقة.

«لازم بيات يعني؟ ما أعدي أخدها بالليل وخلاص» قال في شك.

«حرام نسيبها تنام لوحدها يا خالد. عندي فكرة، ممكن تيجي تقضي السهرة معانا» قالت في خبث.

«لأ آجي فين. بس مين هياخد باله من البنات؟!»

«إيه يا خالد؟ خليك لطيف كده. مش لازم كل حاجة هي اللي تعملها» قبل أن تنهي جملتها كان قد وافق بالفعل. أي شخص سيخضع لرغبة إيناس قبل أن تنطلق بإلقاء محاضرة عن حقوق المرأة والمساواة.

مرت إيناس لاصطحابي صباح اليوم التالي ووعدت خالد بأن تعيدني إليه بأفضل حال. قلقتُ على الأطفال لكن عنادي منعني من التفكير

بهن. لم أكن لأدع شيئًا يقف بيني وبين الانضمام إليهم في هذه السهرة. كثيرًا ما أحقد على إيناس وما تحظى به من اهتمام ممن حولها. تعرف كيف تجذب الناس إليها بينما يتعامل معي الجميع على أني شقيقتهم الصغرى. في الظروف العادية لا يُفترض أن يضايقني ذلك؛ لكن لسبب ما أردت أن أشعر باهتمام من حولي من الرجال. أعلم كم هو تفكير سيء لكنه سيطر عليّ بشكل كبير. إيناس امرأة جميلة ومثيرة، بينما أنا صغيرة الحجم لا ألفت الأنظار. المشكلة لا تكمن في الشكل فحسب، بل في حضورها الجماهيري. كل ما تقوله يراه من حولها شيقًا بينما كلامي يتم أخذه على سبيل المزاح. اليوم كان الوضع مختلفًا. قررت أنني سأكشف عن جانب لم يره أحد بي من قبل. أحضرت معي بعض ملابس عش الزوجية وثوب السباحة الفاضح، وكل العطور والكريمات اللازمة لإثارة أكثر الرجال برودًا. خرجت وأنا على يقين أنني سألفت الأنظار. أخبرتني إيناس أننا نحاول تقليل عدد السيارات المستخدمة وبالتالي سنمر على جوزيف أيضًا. عندها سرى التوتر في جسدي وبدأ قلبي يخفق شيئًا فشيئًا. لم أخبر إيناس بشكل مباشر عن طبيعة مشاعري تجاهه، لكن أسئلتي فضحتني.

«هو جوزيف جاي لوحده؟» سألتها في توتر.

«لأ. هييجي معانا. اشمعنى؟» ضحكت في لا مبالاة.

«قصدي إن عمري ما شفت صاحبته قبل كده».

«عشان مفيش أصلاً» قالت في هدوء دون أن تفارق عيناها الطريق.

«يا سلام؟! راجل زيه كده مفيش واحدة في حياته؟» أدركت حماقة ما تفوهت به بعدما نظرت إليّ فجأة.

«هو عاجبك ولا إيه؟» رمتني بنبرة اتهام.

«عاجبني؟ لأ خالص. هيعجبني ليه؟ أنا بسأل بس».

«عمومًا متنسيش إن اسمه جوزيف!» أجابتني ضاحكة ووقفت تحت مبنى بيته.

بعدها بدقائق ظهر عند مدخل العمارة. إن كانت هناك شكوك حول إعجابي به فقد تأكدت لحظتها. كم هو جميل! كم يبدو وجهه الأسمر رائعًا مع انعكاس أشعة الشمس على نظارته كأنه نجم سينمائي. كم هو أنيق! دخل إلى السيارة وركب في الأريكة الخلفية لتخترق رائحة عطره أنفي. سرت قشعريرة في جسدي. مال إلى الأمام ليُقبّل إيناس. اكتشفت بعدها أن هذه طريقتهما في السلام. مال عليّ أنا أيضًا فتماسكت بصعوبة كي لا أنقض عليه. قبّلني على خدي.

«ازيك يا بايظة» هتف في مرح.

«بايظة.. بايظة ازاي يعني؟» سألته في ارتباك.

«مش جيتي انهارده وقررتي تبقي واحدة مننا؟ يبقى لازم نبوظك. مش كده يا إيناس؟»

* * *

خلود

لو استمر الوضع هكذا ربما أنام في مكاني. أغمضتُ عينيّ وحاولت الاسترخاء مع الاستمتاع بالهواء والموسيقى. حاول حسام مداعبتي قليلاً لكنني لست في مزاج يسمح بذلك. بدأت أشعر بألم بسيط في رقبتي فتأوهت.

«أخدتي الدوا؟» سألني في قلق.

«آه. ماتقلقش. مفيش حاجة».

لهذا لم أرغب في البداية أن أخبره بشيء. في الواقع، أردتُ الانفصال عنه تمامًا بمجرد أن اكتشفت مرضي. لا أحب أن يشفق عليّ أحد أو يعطيني اهتمامًا أكثر من اللازم لمجرد معرفته أنني مريضة. سبقني أخي في الإصابة بنوبات الصرع نظرًا لزيادة الشحنات الكهربائية في مخه، ولذلك عرفت أنها مسألة وقت قبل أن يحدث لي الأمر نفسه. لم أصل بعد لهذه المرحلة لكن البدايات واحدة؛ آلام رهيبة في الرأس والعنق والظهر، مع عدم القدرة على تحريك رأسي تمامًا. ذهبت لزيارة الطبيب بدون حسام تلك الليلة ليخبرني بالنبأ الذي توقعته. نصحني بمحاولة التحكم في الأمر لأنه لا يمكن علاجه؛ بالإمكان فقط منعه من الوصول للمراحل

المتأخرة والتي تُصيب بنوبات الصرع. الخاطر وحده أرعبني، فكم رأيت أخي يتألم أمام عينيّ! أصر حسام على مقابلتي في اليوم التالي. هذه إحدى المشاكل الأخرى التي تواجهني معه. بكل رجولته التي يحاول إظهارها ينسى شيئًا هامًا؛ أنه الرجل في هذه العلاقة. ينزعج كثيرًا عندما تمر ساعة دون أن أتصل به لأطمئن على أخباره. يتصرف كفتاة مدللة تبحث عن الحب والحنان من صديقها مرهف الحس. لا أنسى أبدًا ذلك اليوم.

«ازيك يا خلود؟» عندما يناديني باسمي أعرف أنه غاضب مني. تصرفات طفولية.

«حسام. خير؟ فيه حاجة؟»

«مش واخدة بالك من حاجة؟» لم أفهم ما يقصد، ولم أكن في مزاج يسمح لي بالتخمين.

«ممكن تقول ونخلص؟!»

«مش كان المفروض تكلميني امبارح بالليل قبل ما تنامي؟» سألني في انفعال.

«آه. معلش نسيت يا حسام. كنت مشغولة شوية» أدرت وجهي كي لا يبدو عليّ الاشمئزاز.

«انتي مش بتبصيلي ليه وأنا بكلمك؟!» ضرب بقبضته على الطاولة. ربما كسر كأسًا أو اثنين.

«انت لازم تفرج الناس علينا دايمًا؟ قلتلك كنت مشغولة يا حسام. ما هو مش معقولة لازم أكلمك كل خمس دقايق. ده بقى واجب عليا! إيه القرف ده!»

«قرف يا خلود؟! اشمعنى بتكلمي أصحابك على طول وبتعرفي تخرجي معاهم؟ داحنا مابقيناش ننزل ولا مرة لوحدنا! أي حاجة أصحابك! أنا بقيت بالنسبة لك إيه بالظبط؟!»

«لأ مش ناقصاك دلوقتي خالص» تركته وقمت لأرحل، فقام خلفي مسرعًا وكاد يعتصرني بيده.

لا أعرف كيف أو لماذا حدث ذلك؛ أظلمت الدنيا أمامي. استيقظت بعدها لأجد نفسي في فراش بيتي. فتحت عينيّ بصعوبة لأرى القلق يملأه. نهضت من مكاني فأعادني ثانيةً. لم أقوَ على الحركة كثيرًا فلم أعانده.

«انت بتعمل إيه هنا؟»

«كنتي عاوزاني أسيبك في الشارع؟» أي طريقة ليظهر بها شهامته!

«لأ طبعًا. طب خلاص ممكن تمشي» أغمضت عينيّ لأجبره على الرحيل.

«أنا آسف يا خوخة. ماتزعليش مني».

«يا سلام؟» باغتني اعتذاره. نادرًا ما يعتذر بهذه السرعة. ننفصل أولاً لمدة أسبوع ثم يأتي باكيًا، لكن أن يعتذر أثناء المعركة كان سلوكًا جديدًا بالنسبة لي.

«ماتزعليش منّي. أنا مقدر إنك بتبقي مشغولة. انتي بس بتوحشيني» رأيت دموعًا في عينيه.

«انت مكبر الموضوع كده ليه. الفكرة يا حسام إني أمّا أحس إني لازم

أكلمك، الموضوع بيقلب التزام بايخ. احنا مع بعض ومش محتاجة أثبتلك كل خمس دقايق إني مهتمة بيك وبكلمك..» وضع إصبعه على فمي.

«فاهم.. أنا آسف» قال بصوت متقطع.

«فاهم إيه؟ أنا لسه قلت حاجة؟»

«مش محتاجة تقوليلي حاجة. أنا آسف» أغضبتني مبالغته فبدأت أفهم ما حدث.

«مين اللي قالك؟!» هتفت به في غضب.

«قالي إيه؟» تظاهر بعدم الفهم مما زاد من انفعالي.

«أنا مش عبيطة يا حسام. لأ بقولك إيه، أنا مش عيانة بالسرطان وطالعة في التليفزيون عاوزة تبرعات! أنا مش عاوزاك تشفق عليا! أنا زي الفل!» نهضت في عنف فحاول الإمساك بي، دفعته وقمت من الفراش، «اطلع برّه يا حسام. كده كده مش هتعرف تعملّي حاجة. وانت ذنبك إيه تبقى مع واحدة عيانة؟! شوف أي واحدة تانية تنفعك!»

«إيه لازمة الكلام ده يا خوخة؟»

أنا مانفعكش. متقلقش يا سيدي، مش هعتبرك ندل لو سبتني. أنا هعفيك من الحرج. ملكش دعوة بيا. أنا مش عاوزاك. مش عاوزة أي حد معايا في الفترة دي. عاوزة أكون لوحدي. ماشي؟»

رحل يومها باكيًا كفتاة صغيرة. سلوكيات حسام خطيرة جدًّا. لا تشبه فقط سلوكيات الأطفال، بل تشبه سلوكيات النساء. إذن حسام بمقاييس هذا العالم هو طفلة صغيرة. لم أكن مستعدة لتحمل

عبء التعامل معه أثناء تلك الفترة من حياتي. أردت بالفعل أن أبقى لوحدي. هل لرغباتي أي حيثية في هذه الحياة؟ بالطبع لا وجد حسام طريقة جديدة ليفرض عليّ عودتنا لبعضنا ثانيةً. ينتظر أسبوعًا أو اثنين ثم يتسلل عائدًا إلى حياتي. أصر على أن يسافر معي أنا وأصدقائي إلى العين السخنة لحمايتي. قبل وصولنا إلى القاهرة ثانيةً كنا قد عدنا حبيبين بشكل رسمي. لا أعرف كيف. إنها موهبة يمتلكها في الحصول على ما يريد دائمًا. ظل يتعامل معي بحرص شديد لفترة، رغم أنني اشترطت عليه التعامل معي بشكل طبيعي كي لا أشعر بأي تغيير، لكنه بقلة حيلته لم يعرف كيف يتصرف. ما الصعوبة في طلبي؟ لا أريد التحدث في الأمر كي لا أشعر بوجوده. كل تصرفاته توحي بوجوده وتذكرني به دائمًا. في نفس الوقت عندما يخرج عن شعوره يتعامل معي بعنف شديد متناسيًا ظروفي. إن عاتبته على ذلك يذكرني بكلامي أنني أردته ألا يتعامل معي على أنني مريضة. يا لسخرية القدر! كلنا نأخذ من الكلام ما يعجبنا فحسب. توقفت الموسيقى فجأة. ما هذه السخافة؟ نظرت لأجد عمرو يقف حائرًا.

«عملت إيه يا منيل؟!» هتفتُ في إحباط.

«مفيش يا خوخة! الظاهر البتاع ده بايظ».

«طب استنى أمّا فيلو ييجي يشوفه. اليوم ماله قفل كده؟» هذه نتيجة العبث فيما لا يفهم. سيجن جنون فيلو إن اكتشف أن عمرو هو الفاعل.

خرجت من حمام السباحة وجلست على مقعد الاسترخاء ثانيةً لأتجنب التحدث إلى حسام. قام وأتى بجواري. أحيانًا أشعر أنني أسير مع ابنتي، أو مع كلب حراسة. لا يبتعد عني مسافة مترين. أرى فيلو

يحوم في المكان. إنه ينتظر أي فرصة للاحتكاك بي حتمًا. صراحةً، في الظروف العادية لا أجد مانعًا في التعرف على فتى مثل فيلو إن لم يكن بهذا الغرور. أي فتاة ستعجب باهتمام شاب آخر بها بهذه الطريقة؛ أن يجاملها على مظهرها، يرسل لها الأغاني، بل ويشتري لها هدية في عيد ميلادها. لو عرف حسام هذه التفاصيل سيقتله على الفور. لست رخيصة لأقبل هدية من شخص أعرف نواياه جيدًا ولذلك لم أشجعه على شيء. بجانب أن حسام يبذل ما في وسعه لإسعادي أيضًا، فلن أكون ظالمة. أفكاري مشوشة. لم آتِ هنا لأفكر. يُفترض أننا هنا لنستمتع ببعض الوقت ثم نرحل.

«انتي بتكدبي ليه؟ باين قوي إنك ما أخدتيهوش» أكره هذا السلوك. لماذا لا يدعني في حالي؟

«باين ازاي يا حسام؟ مكتوب على وشي ماخدتهوش؟! هو أي كلام وخلاص؟ بقولك أخدته. أوف!»

كأي إنسان بائس يريد تخفيف التوتر بحثت عن زجاجات الخمر. لا أملك الخبرة الكافية لمعرفة الأنواع التي أشرب، أسعى دائمًا خلف الأنواع ذات الطعم الجيد. تطوع حسام بتحضير كأس لأجلي فتجرعته دفعة واحدة. لماذا لا أتناول الدواء بانتظام؟ لأنه يقضي على مظاهر الحياة بي تمامًا. كأن صخرة ثقيلة توضع على صدري تمنعني من الحركة. أتنفس بصعوبة وأفقد الرغبة في الأكل أو الشرب وأقضي ساعات طويلة نائمة. أي دواء هذا الذي يحرمني من الحياة؟ أتناوله فقط عندما أشعر بالإعياء الشديد؛ لكنني بخير اليوم. لماذا أتناول ما يثير رغبتي في القيء؟ أنا بخير. كم كأسًا شربت الآن؟ واحدًا، اثنين؟ بدأت رأسي تخف قليلاً. إنه شعور

جيد. أشعر بأنني خفيفة للغاية. يمكنني القيام بأي شيء. يمكن أن أحلق في السماء. لن يوقفني شيء.

«يا جدعان. أنا هطلع النخلة دي. واللي يعرف يسبقني هو الكسبان».

«اهدي يا خلود. مش وقت تهييس» تبًّا لك يا حسام. ابتعد عني.

«أوبااااا. إيه اللي بيحصل ده. مين اللي عاوز يتسابق» نظرت خلفي لأجد عمرو يهتف في حماسة.

«هتسابقني يا عمرو؟» ضحكت في جنون.

«يلا بينا. أنا هطلع على النخلة التانية» قفز كالقرد مما أثار حماستي فقفزت أنا الأخرى وبدأنا نتسلق.

خلال ثوانٍ وصل عمرو إلى أعلى النخلة. بدأت أفقد توازني. كدت أسقط فحاولت التماسك. احتك جسدي بالجذع فتألمت. شعرت بالعجز وضحكت كالمجنونة.

«مش عارفة أطلع. هاهاها. مش عارفة أنزل».

* * *

عمرو

عادت الموسيقى للعمل وها نحن على الطريق الصحيح. أخرجنا مخزون الهيروين ووضعناه على الطاولة. كنا قد وزعناه على أكياس صغيرة كي يسهل نقله وتخزينه. أفرغنا كيسين منهما. بدا على جو التردد.

«إيه يا جو؟ رجعت في كلامك؟» أغمض عينيه كعادته عندما يفكر.

«مش الفكرة. انت مش حاسس إنه بدري؟»

«تاني يا جو؟! بقولك إيه الليلة أصلاً بتبوظ مننا. لازم نلحق قبل ما البركة تروح» حاولت تشجيعه، فابتسم.

«ماشي يا سيدي. هنشد كده حاف؟»

«دي تفوتني برضه يا إكسلانس؟ لازم نشد بشياكة. جايب معايا شاليمو».

«آه يا بايظ» قهقه ضاحكًا، فناولته واحدة.

سحبت نفسًا قويًا فشعرت به في دماغي مباشرةً. هززت رأسي بقوة لأنفض شعور الحكة الغريب. نظرت إلى جو فوجدته يتفحصني بفضول.

«هي إيناس مالها شاغلة نفسها بيك كده؟»

«سيبك منها. هي تحب تكبر المواضيع» ابتسم في توتر.

لم ألتفت إليه واستمررت بسحب المسحوق الأبيض اللذيذ الذي أثار الانتعاش في كل جسدي. أشعر بجرعة غير طبيعية من النشاط. رأسي وجسدي يزدادان سخونة. نظرت بطرف عيني لأجد جو قد بدأ هو الآخر. الآن يبدأ الاحتفال. الآن يبدأ حفل عيد الميلاد.

«يلا بينا نرجع بقى؟» سألني جو في قلق.

«إيه يا عم مالك. داحنا مسحنا زورنا بس» ضحكتُ في نشوة.

«طب نروح ناكل ونشرب لنا كاسين وسيجارتين»

«ماشي كلامك يا إكس».

خرجنا من الغرفة وتوجهنا ثانيةً إلى قلب الحدث بالحديقة. رأيت نور تقف حائرة، إيناس نائمة على الأرض. فيلو في موقعه المعتاد. خلود تبدو في مزاج مختلف. كم أعشقها وهي في هذا المزاج المسلي.

«هتسابقني يا عمرو».

«يلا بينا. أنا هطلع على النخلة التانية» جسدي كتلة من النشاط. طبيعتي الرياضية ساعدتني على تسلق النخلة في ثوانٍ معدودة.

«مش عارفة أطلع. هاهاها. مش عارفة أنزل».

ضحكنا قليلاً على الموقف. بعد ثوانٍ بدأت يدها تفلت شيئًا فشيئًا. لم يعد الموقف مضحكًا. لو سقطت قد تنكسر رقبتها، فالمسافة عالية. بدأت النزول من على النخلة بينما ركض حسام محاولاً اللحاق بها.

«أنا هقع يا جماعة خلاص. هاهاهاها».

«يا بنت المجنونة».

سقطت خلود من على النخلة ليستلقيها فيلو بين يديه ويقع بها أرضًا. صفقنا له جميعًا وضحكنا، وصفرت له نور في إعجاب.

«يا فيلو يا جامد» هتفتُ ضاحكًا.

«أنا وقعت!» ضحكت خلود. وقف حسام أمام فيلو ودفعه بقوة.

«أنت مجنون يابني؟» صاح فيلو.

«قلتلك ملكش دعوة بيها. بأي حق تلمسها؟»

«كنت عاوزني أسيبها تموت يعني؟!»

«تموت؟! هتعملّي فيها بطل؟!»

قفز فيلو بكتفه في معدة حسام كما يفعل لاعبو المصارعة اليونانية فأفقده توازنه وسقطا أرضًا. هرعت أنا وجو لننقذ ما يمكن إنقاذه بينما ظلت خلود تضحك في بلاهة. ظل فيلو يضرب بقبضته على وجه حسام لكن سرعان ما تغلبت القوة العضلية على عنصر المفاجأة. دفعه حسام فطار بعيدًا. نهض حسام وألقاه بإحدى زجاجات الخمر لكنها لم تصبه.

«انت مش فالح في حاجة خالص؟! لا عارف تاخد بالك من نفسك ولا البنت اللي معاك. دانت حتى مش عارف تنشن كويس. انت فاشل!» استمر فيلو باستفزازه وكأنه مشهد من فيلم «رد قلبي».

«طيب أنا هوريك يا بن الكلب» فهمت على الفور ما يسعى إليه حسام.

ركضت خلفه وطوقته بذراعيّ من الخلف صائحًا فيه بأن يهدأ. حاول أن يفلت منّي فضغطتُ عليه بقوة. استمر فيلو باستفزازه. نجح في الإفلات مني وتوجه إلى حيث ترك أشياءه. فجأة انتبهت لشيء هام. لماذا أشترك معهم في هذه التمثيلية الرخيصة؟ فليذهبوا إلى الجحيم من أوسع أبوابه.

«يلا يا فيلو. خليه يخلّص عليك» تركته وذهبت إلى نور، «يلا بينا احنا ننبسط».

«انت هتفضل ندل طول عمرك يا عمرو؟» صاح فيلو فلم أعره اهتمامًا. «انت هتسيبهم كده بجد يا عمرو؟! دول هيخلصوا على بعض» صرخت نور في رعب.

«أنا مال أمي! هيفوّقوني ولاد الكلب دول».

«اهدا بس يا حسام بلاش جنان» سمعت إيناس تتوسل إليه.

«اوعي كده!»

«عارف ياض يا بن الكلب انت لو ضربت طلقة واحدة من البتاع ده!» دوى صوت جو عاليًا.

التفتُّ لأجد جو يقف أمامه بكل ثقة دون أن يستخدم يديه حتى لمنعه، وإيناس مستلقية أرضًا. اتقِ شر الحليم إذا غضب. نادرًا ما نرى جو يصرخ أو يخرج عن شعوره. لذلك نشعر بالرهبة جميعًا إن وصل لهذه المرحلة. نعتبر جو أعقلنا وأكثرنا حكمة. لا يستخدم سوى عقله لحل المشاكل، لذلك فهو النقيض التام لحسام. إن وصل لهذه المرحلة من الغضب فهذا يعني أنه قد امتلأ عن آخره ولا يطيق كلمة أخرى.

«وسّع من قدامي يا جو بدل ما أزعلك».

«تزعل مين يا (---)! انت فاكرني عيل خرع زيك ماشي بالمسدس عشان أحمي بيه نفسي! عارف يا كلب انت لو مديت ايدك عليها تاني أو على غيرها، أو حتى فكرت تعلّي صوتك على حد، هيبقى آخر يوم في عمرك. هتقعد هنا باحترامك اتفضل. هتقعد تقرفنا وتبوظ الليلة يبقى تاخد المزة بتاعتك وتروح تحب فيها في أي داهية تانية!»

ظل حسام محدقًا به وهو يجزّ على أسنانه بينما لم يحرك جو ساكنًا. نهضت إيناس واستندت عليه. لم تفارق عيناه عينيّ حسام. تقيأت خلود مفرغة ما بمعدتها. هرع إليها حسام. كان ذلك نذيرًا بالهدنة المؤقتة. ذهبنا جميعًا لنطمئن على إيناس.

«ماحصلش حاجة يا جماعة. فيه إيه؟!» ابتسمت محاولة إعادة البهجة إلينا. نجحت في ذلك بسهولة، فكلنا نريد أن ننقذ هذه الليلة.

«جو» قال فيلو في خجل.

«مش عاوزك تقول حاجة» أومأ جو برأسه متفهمًا.

«مين قالّك أصلاً إني كنت هقولّك حاجة؟!» صاح فيلو في عناد.

«ياض يا بايظ انت! انت ولا تفرق معايا. إنما محدش يلمس إيناس وأسيبه» احتضن إيناس وقبّلها على خدها. «اتفضل شوفلنا أم المزيكا اللي مش عارفة تكيّفنا دي. ومش بعدّل على أم شغلك. يلا بطني واجعاني مش عاوز بيض على بالليل».

ضحك فيلو رغمًا عنه وتوجه ليتحفنا بموسيقاه. أتمنى ألا يعكر شيء آخر صفو هذه الليلة.

* * *

الآن
تبدأ السهرة
دون.. لحظة!

جوزيف

أشعر بتجمد في عروق رأسي! تمامًا كإحساس تناول كأس مثلج! لكن أفضل بكثير! افتقدتُ هذا الشعور طويلاً! يا للهول! متى كانت آخر مرة شعرت بهذا؟ سحبت نفسًا آخر لأشعر بانتشاء في جسدي كله. مرت ثوانٍ ثم بدأ الاسترخاء يدب في أطرافي. تمامًا كالشعور الذي يتلو نشوة الجماع. بعد الوصول للذروة أشعر بالإنهاك الشديد. ها قد فعلتها. ما حاولت تجنبه طوال الحفل، قد حدث أخيرًا. لماذا فعلتها؟ لماذا لم أتماسك؟ لماذا لم أستمع لتحذيرات إيناس؟ أنا بالكاد أحاول عيش حياتي وإنقاذها من الانهيار. قتل إدماني الكثير، وكنت قد بدأت أبني ما هدمته ثانيةً. لماذا فعلتها؟! عمرو يقهقه بجواري في سعادة طاغية. لا يهدأ قبل أن يصل لذروة الفساد، ويُفسد من حوله معه. لماذا ضغط عليّ؟ ولماذا خضعت لهذا الضغط؟ هذا ما حذروني منه مرارًا؟ سهولة العودة لهذا الطريق مهما طال الزمن! المؤسف أنني أعشق هذا الشعور! استمتاعي هذا يزيد من شعوري القاتل بالذنب. لا أريد أن أبكي الآن. لست ضعيفًا. بل أنا ضعيف! كلما حاولت العودة للحياة جذبت نفسي ثانيةً للقاع. أنا مشروع رجل فاشل. لا، لا! لا ينبغي عليّ الانجراف في الشعور بالأسف على النفس! إنه يضاعف من احتمالية التعاطي ثانيةً!

أتذكر هذه التحذيرات جيدًا.

«يلا بينا نرجع بقى؟» سألته على أمل ألا يدفعني للاستمرار.

«إيه يا عم مالك. داحنا مسحنا زورنا بس» بدأ يقهقه ثانيةً.

لطالما ساعدتني إيناس على مقاومة الرغبة عندما تسيطر عليّ. إنها امرأة قوية، وأحتاج لمثلها بجواري دائمًا. تجد دائمًا أسبابًا لتحبني حتى عندما أفشل في العثور على هذه الأسباب. لماذا تحب مدمنًا يدمر حياته بيديه؟ لماذا تقف بجوار شخص مثلي مهما أثار إحباطها وخيّب أملها؟ لا أدري. عائلتي نفسها لم تكن بهذا الثبات. تزوجت شقيقتي في العام الماضي وتعيش مع زوجها في الولايات المتحدة منذ ذلك الوقت. حثني أبي كثيرًا على الهجرة لكنني رفضت. لم يفهم أبدًا سر تمسكي بهذا المكان.

«انت ليه مش عاوز تيجي معانا نيويورك؟ احنا مبقالناش مكان في البلد دي يا جو. البلد دي خلاص بتنهار».

«أنا شغلي هنا، وأصحابي هنا، وكل حياتي هنا. عاوزني فجأة أهرب وأسيب كل حاجة، وأبدأ من الصفر؟» لم يقنعه كلامي.

«أكيد برّه هيبقى علاجك أسهل بكتير من هنا. ماتضحكش على نفسك يا جو. احنا مالناش حاجة هنا».

«معلش يا بابا. اديني فرصة أفكر. سافروا انتوا».

آخر ما أردت في حياتي هو التفكير في أمر كهذا. لست من النوع الذي يتردد في اتخاذ قراراته؛ لكننا لا نتحدث عن قرار تغيير سيارة أو وظيفة. إنه قرار تغيير وجوه، أماكن وأسلوب حياة. هذا يعني التخلي عمن أحب، والتضحية بكل ما اعتدت عليه في حياتي. على الجانب الآخر،

لو فكرت جيدًا لا يربطني بهذه البلد سوى شخص واحد فقط؛ إيناس. لا أملك شيئًا ضد أحد، لكنني لا أملك شيئًا لصالح أحد أيضًا. البلاد غير مستقرة ولن يتغير هذا قريبًا. الحياة بالخارج أسهل بكثير، وسأجد بيتًا ووظيفة بانتظاري. لماذا أتخاذل عن اتخاذ القرار إذن؟ لا أظنني سأتحمل الرحيل. كيف أتركها؟ ما هذه الكآبة؟ هذه نتيجة الجرعة التي حصلتُ عليها الآن! الشعور بالذنب يقتلني! كل الأفكار السلبية تتدفق إلى رأسي! أصبحت أفوق مي كآبة. لا يحدث هذا لعمرو أبدًا. الحالة الدماغية بالنسبة له هي غاية، لا وسيلة. ها هو يتسلق النخلة بكل نشاط مع خلود. أصبحت رأسه أكثر صلابة من أن تتأثر بمثل هذه الأشياء البسيطة. ما تعاطاه الآن هو فاتح للشهية. أين إيناس؟ أحتاج إليها الآن! هي وحدها من ستخرجني من هذه الحالة! هي من ستخبرني أن كل شيء سيكون على ما يرام. هي من ستعيدني للحياة. ما هذا؟! حسام يمارس هوايته في البلطجة. لا أحد يؤذي إيناس أثناء وجودي!

«عارف ياض يابن الكلب انت لو ضربت طلقة واحدة من البتاع ده!» وقفت أمامه لأحيل بينه وبين الآخرين.

«وسّع من قدامي يا جو بدل ما أزعلك».

انفجرت فيه غاضبًا لأضعه في مكانه. لا مانع لديّ من أن يحاول لعب دور شجيع السيما ويبحث عن الإثارة والحركة، لكن دون أن يعرض أيًا منا للأذى. نادرًا ما ألتفت للتفاهات أو التفاصيل الصغيرة، إلى أن يأتي هذا على حسابي أو على حساب من أحب. يريد أن يعيش مشهدًا من أفلام الحركة والغموض؟ بعيدًا عنا! يريد أن يرفع صوته؟! دون أن يزعج أيًا منا! أحيانًا أشعر أنني محاط بمجموعة من الأطفال.

نهضت إيناس، فاحتضنتها وقبلتها، وحذرتهم صراحةً من التعرض إليها. عاد فيلو ليغيّر إيقاع الموسيقى. اصطحبتني إيناس إلى مكان خالٍ بالحديقة واستلقينا على الأرض ناظرين للسماء. أغمضت عينيّ مستمتعًا بالموسيقى مع الهواء المنعش. ربما الحياة ليست سيئة على كل حال. ربما هناك طريقة للخروج الآمن.

«شايف السما يا جو» فتحتُ عينيّ. رأيتها تُشير إلى أعلى. نظرتُ وكلي ثقة أنني لن أرى ما تراه.

«آه شايف طبعًا» لطالما عرفت كيف ترى الجمال والإبداع في السماء، أو في أي شيء، بينما بالنسبة لي، لا أراها تزداد زرقة ولا ألحظ زيادة عدد النجوم. السماء هي السماء.

«شايف إيه؟» سألتني في هدوء. لن أنجح في خداعها.

«هكون شايف إيه يا إيناس؟ مانتي عارفة» ضحكتُ في استسلام. يبدو أنها تناولت الكثير من حبوب الإكستاسي.

«سهل قوي إنك تشوف الحاجة الحلوة حلوة يا جو، عشان هي أصلاً حلوة. عارف الصعب إيه؟ إنك تشوف في الحاجة الحلوة دي، حاجة حلوة مش باينة من برّه. فاهم حاجة؟» لم أفهم شيئًا بالطبع.

«آه طبعًا فاهم يا إيناس» أغمضت عينيّ ثانيةً محاولاً الاسترخاء. لا أعرف كيف أعترف لها بما فعلت.

«عارف إيه الصعب كمان؟ إنك في وسط الحاجات الوحشة والسلبية، تعرف تلاقي حاجة حلوة. ازاي تلاقي الحلو وسط الوحش وتطلعه. دي حاجة صعبة قوي يا جو، ومحتاجة مجهود» المدهش أنني بدأت تقريبًا

أفهم ما ترمي إليه. إنها تؤنبني بطريقة غير مباشرة.

«ولما تبقى الحاجة وحشة قوي، ومافيهاش حاجة حلوة؟» ستجد إجابة ما حتمًا.

«بيبقى فيها حاجة حلوة برضه. بس انت اللي مش بتدور كويس. محتاج مجهود أكبر. إنما لو مش عاوز تلاقي حاجة حلوة، مش هتلاقي. ومش أنا أو غيري هنساعدك تلاقيها» نهضت فجأة معلنة غضبها بشكل رسمي.

«إيناس. انتي عارفة الطريقة دي بتجيب نتيجة عكسية» توسلت إليها.

«وانت مافكرتش فيا خالص لما عملت كده؟ مفكرتش قد إيه صعب عليا أشوفك بتعمل الحاجة دي رغم كل اللي بحاول أعمله عشانك؟!»

«وانتي سبتيني ليه؟ مانتي عارفة يا إيناس!»

«لأ يا جو. لأ مش هعرف أجري وراك طول الوقت. متطلبش مني فوق طاقتي وتحملّني اللي مقدرش عليه. انت ليه بتتصرف بأنانية كده؟ انت مش بتأذي نفسك بس يا جو، انت بتقتلني. وأنا دلوقتي بقى.. زعلانة!» قاومت دموعها ورحلت مبتعدة.

«إيناس!» هتفتُ خلفها. لم أمتلك القوة الكافية للنهوض.

* * *

خلود

أشعر بألم شديد في ذراعيّ، ساقيّ. جسدي كله تقريبًا يئن. لماذا يتشاجر الجميع هذه الليلة؟! الكثير من العنف، القليل من المسئولية؛ هذه سمة السهرة. يسيطر عليّ صداع شديد. أشعر بالدوار. حركة مؤلمة في الأمعاء. أشعر بالغثيان! لم أستطع التماسك وتقيأت على الأرض. أسرع حسام بإسنادي بينما ظلت الموسيقى الصاخبة في الخلفية هي سيد الموقف. سكت الجميع عن الكلام. حملني حسام وذهب بي إلى الداخل. أراحني على الفراش. أتنفس بصعوبة.

«افتح الشباك يا حسام. عاوزة هوا» خرج صوتي خافتًا.

«هجيبلك حاجة تشربيها».

أصبحت وحدي في الغرفة. في هذه اللحظات يُعد حسام مفيدًا. يمكنني الاسترخاء وأنا أعرف جيدًا أنه سيعتني بي. لا أهرب من هذه الحقيقة. كما ذكرت من قبل وجوده معي يتيح لي الانطلاق إلى حد كبير دون التفكير في العواقب. المشكلة تكمن في المقارنة بين الفوائد والأضرار. هل حسام في حالته الجيدة يعوضني عن حسام في حالته السيئة؟ هذه هي المقارنة الصعبة. لماذا أعود إليه في كل مرة؟ هناك سبب وجيه حتمًا. لو

لم أحتج إليه ما أجبرت نفسي على العودة. هل يترك لي الفرصة أصلاً لأفكر في رغبتي بالعودة أم لا؟ إنه يظل يضغط ويضغط إلى أن أنكسر ولا أجد مفرًا. هل أخدع نفسي أم أنها الحقيقة؟ هل أحتاجه فعلاً أم أشفق عليه؟ بالتأكيد لا أبقى معه لأنه يحميني عندما تخف رأسي أو أطلق لنفسي العنان! ربما في مكان ما بداخلي أحتاج لوجوده بجواري بشكل آخر. وجوده هام في حياتي؛ لكن هل هو ضروري؟ أتمنى لو تركني مرة أفتقده حتى أعرف إن كنت أحتاجه أم لا أتذكر عندما سافرت إلى دبي بدونه. كان معي في كل لحظة على الهاتف. لم يترك لي المجال لأتنفس. ظل يتصل بي ويطاردني ويطمئن عليّ. غضب كثيرًا عندما كنت أسهر للصباح وأمرح مع أصدقائي مدّعيًا أنه يخاف عليّ من الأذى، رغم أنني لم أتعرض لأي أذى. إنه يغار فقط أنني أستمتع بوقتي بدونه. يغار من أصدقائي وتشكيلهم لجزء كبير من حياتي. الحياة المثالية لحسام هي أن أكون وحدي ولا أملك غيره لأستند عليه. لست هكذا، ولن أكون هكذا أبدًا. لطالما كنت مستقلة وسأظل كذلك. لا أحتاج لمن يجالسني طوال الوقت.

لماذا أعود إليه في كل مرة؟ لأنني لست من النوع الذي يبيع بسهولة. أُعطي الكثير من الفرص قبل أتخذ القرار هجر أحدهم. أغضب بسرعة وأتخذ قرارات لحظية لكن قصيرة المدى. قد أهجر أحدهم لأيام لكن سرعان ما تعيدنا الأيام لأنني طيبة القلب. يحتاج الشخص لمجهود كبير كي يستحق سخطي التام؛ لكن إن وصل لهذه المرحلة، فيا ويله! ستصبح حياته سوداء تمامًا! لن يسمع منّي كلمة طيبة بعدها أبدًا. أكره الندم. ليس كل قرار يمكن التراجع فيه إن ثبت خطؤه، وبالتالي لا أتسرع باتخاذ القرارات. أتذكر تلك المرة التي نجح فيها حسام في الصمود بعد شجارنا ولم يستمر في مطاردتي.

التقيت بإيناس وأنا مضطربة المشاعر.

«انتي حاسة إيه؟» سألتني في هدوء. قليلاً ما تفرض وجهة نظرها. رغم فلسفتها الدائمة لكنها تشعر بمتعة في ترك الأمور تأخذ مجراها دون تدخل منها.

«عارفة أمّا تبقي متعودة على رد فعل من حد معين، وفجأة تلاقيه مش بيعمله. بيبقى إحساس غريب قوي. أول مرة مايحاولش يجري ورايا ويكلمني».

«ودي حاجة تخليكي.. مبسوطة؟» سألتني مبتسمة في خبث.

«مش عارفة. بس تخيلي، لما صحيت انهارده ومالقيتش ٢٠٠ مكالمة منه. حسيت إن فيه حاجة ناقصاني. تفتكري أنا غلطانة المرة دي؟ تفتكري أكلمه؟»

«انتي عاوزة تكلميه؟» اتسعت ابتسامتها أكثر.

«مش عارفة. أكلمه؟» شعوري بالتردد يومها أكد لي أنني أحمل مشاعر ما تجاهه، لأنه إن لم يكن ذا حيثية بالنسبة لي ولو واحد بالمائة، ما كان خطر ببالي أو فكرت في أمره.

لم أتفاجأ بعدها أن قرار صموده عن مطاردتي لم يكن فكرته، بل فكرة إيناس. نادرًا ما يفكر بهذا الذكاء. بمجرد أن اكتشفت المخطط الشرير كنت قد عدتُ إليه بالفعل. لم أغضب يومها لأنني شعرت أن هذا أثبت لي ما لم أكن أعرفه بالفعل؛ حسام مهم في حياتي إلى حد كبير. سأسأل ثانيةً؛ هل هو ضروري؟ هل مميزاته تُغطي عيوبه؟ لأن عيوبه ليست بالبسيطة أبدًا. لا أظن امرأة غيري ستغفر له ما فعل. كثرة التفكير تُعييني. لحظة!

لماذا أشعر بهذا الإعياء. لِمَ تسيطر عليّ هذه الرغبة في النوم؟ لماذا لا أقوى على الحركة؟ تبًّا! هل فعلها حسام؟

«اشربي يا خوخة. هتبقي أحسن!»

«أشرب إيه بالظبط؟» لم أقدر على الصياح به.

«ده عصير» قال في حنان.

«حسام. انت حطيتلي الدوا في الكاس اللي اديتهوني. مش كده؟» فاجأته بسؤالي، وبالتأكيد لم يعرف كيف يكذب.

«دوا إيه؟ أنا معرفش الدوا اللي بتاخديه أصلاً».

«هتضحك عليا أنا؟ لولا اني مش قادرة أزعق كنت قمت أسبّلك. انت كده ضربتلي الليلة خالص. حد ياخد دوا بكاس فودكا يا متخلف» حاولت توبيخه بأقصى ما أمتلك من قوة.

«أعمل إيه يا خوخة! مانا خايف عليكي» صاح وقد بدأ يتوتر كعادته.

«انت عامل زي الدب اللي قتل صاحبه. هو كان دب ولا إيه.. ربنا يهدّك» حاولت أن أضربه لكن لم أفلح.

رأسي تدور. شعرتُ به يحملني ثانيةً. أنزلني في حمام السباحة ليحاول إفاقتي قليلاً. المياه الباردة أراحت جسدي شيئًا فشيئًا. نزلت برأسي تحت الماء ثم خرجت ثانيةً.

«هي مالها يا حسام؟» سمعت صوت عمرو. كما لو أنه يهتم!

«داخت شوية».

«طب تعالي كده معايا يا خوخة» شعرت به يسندني إلى خارج المياه.

«واخدها على فين؟» سأله حسام.

«هخطفها يا حسام! ما تهدا كده يا إكس وبلاش قلة مزاج. فك ماتبوظلناش الليلة» عاد بي إلى الداخل بينما قاوم حسام حتمًا رغبة ملّحة في اللحاق بنا.

* * *

فادي

منذ طفولتي حلمت بمشهد بطولة كهذا. سموني تافهًا لكنها الحقيقة! منذ المشهد الأخير في فيلم تايتانيك وأنا أحلم بأن أنقذ البطلة من الموت المحقق. نعم، أنا مرهف الحس وأتميز بالخيال الواسع. هذا لا يعيبني. عندما تسلقت خلود النخلة دق ناقوس الخطر بداخلي. علمتُ أن شيئًا ما سيحدث. هذا هو الفارق بيني وبين حسام الأحمق؛ أعرف كيف أعتني بها. تركت مكاني واقتربت منها تحسبًا لأي ظرف طارئ؛ وقد كان. من عرف متى يتحرك؟ فيلو! من كان الرجل المناسب في المكان المناسب؟ فيلو! من أنقذها من تكسير عظامها؟ فيلو! من أنقذ الليلة من أن تتحول إلى ليلة كارثية؟ فيلو! تبادلوا صيحات المرح والتصفيق فابتسمتُ في سعادة طاغية. لا بد أن حسام يشعر بالغباء والخجل الشديدين الآن. لم يستطع حمايتها كما يتباهى دائمًا.

«كنت عاوزني أسيبها تموت يعني؟!» صرخت به غاضبًا. يريد التقليل من شأن ما قمت به لأنه لم يستطع القيام به بنفسه. لا يهمه أن تتعرض للأذى بقدر ما يهمه أن يكون هو البطل.

«تموت؟! هتعملّي فيها بطل؟!» نعم، أنا بطل رغم أنفك! قفزت فجأة في معدته لنطير معًا.

نعم، أنا بطل حقيقي أيها الوغد! لست بطلاً من ورق! لست من يدبر الجريمة بنفسه ليصنع دور البطل. نعم، أعرف جيدًا ما فعلت تلك الليلة لتتعرف عليها في رأس السنة. أعرف لأنني من أحيا ذلك الحفل في «كلوب ٨٨». لا تفوتني صغيرة أو كبيرة مادمت أتولى دفة الموسيقى في أي مكان أتواجد به. لم تكن المرة الأولى التي أرى فيها خلود. كانت مصادفة أن أراها في ذلك الحفل، لكنها لفتت انتباهي أكثر من مرة في حفلات سابقة. صداقات خلود متعددة وترتاد مثل هذه الأماكن كثيرًا. منذ دخلت المكان تابعتها بأنظاري. لاحظتُ وجود حسام منذ البداية أيضًا. إنه رجل ضخم ويسهل تمييزه وسط الجموع. منذ رآها هو الآخر جن جنونه، بثوبها الوردي المثير لدرجة البكاء وحذائها ذي الكعب العالي. طريقتها في المشي وحدها قد تتسبب في معركة بين أقوى الرجال. لاحظتُ إعجابها بالموسيقى التي ألعبها واندماجها الشديد. أنا مقتنع بأن الموسيقى هي أفضل طريقة للتواصل بين اثنين. كل تراك لعبتها هذه الليلة كانت تجذب منها رد فعل متوقع. توقعي لرد الفعل هذا يعني شيئًا حتميًا؛ هناك تواصل بيننا لا تدركه هي نفسها. حركتها مع كل ذبذبة أرسلها إليها خلقت بيننا رابطًا لا يفهمه سوى جسدانا. لم تتوقف لحظة عن الحركة، وتصاعدت لغة جسدها مع كل نغمة ومع كل دقيقة. علاقتي بالموسيقى ليست بسيطة. لست دي جيه أفراح أتلذذ بالرقص البذيء والقفز عاليًا كالمجانين. أنا فنان. أعرف لغة الجسد جيدًا. أعرف من الذي يرقص لأنه لا يجد ما يفعل، وأعرف من الذي يرقص لأنه يستمتع بالأصوات العالية، وأعرف من الذي يرقص لأنه منتشي من أثر المخدرات، وأعرف من الذي يرقص لأنه يتواصل بكل حواسه مع الموسيقى؛ خلود من النوع الأخير. خلود أحبت من يلعب

هذه الموسيقى. هناك تواصل وشرارة بيننا لا تعرفها سوى لغة الموسيقى. تمنيت لو أخبرتها بذلك في تلك الليلة. نويت ذلك؛ لكن كيف؟! كيف يسير القدر في الطريق المرسوم له بينما هناك من يضع مخططًا شريرًا كي تسير الأمور على هواه؟ لم أصدق ما رأيت. كأنني شهدت لقطة من فيلم أجنبي يتلاعب فيه الشرطي الفاسد بالظروف المحيطة ليصل إلى ما يريد. ذهب حسام لأحد رفاقه في تلك الليلة وهمس في أذنه. بعدها بثوانٍ حدثت الواقعة التي أنقذها منها. فكرتُ كثيرًا أن أخبرها، لكن يصعب تصديق أمر كهذا، ويصعب إثباته حتمًا. تعرف كم أريدها، وستتخيل أنني أكذب كي أكسب ثقتها. بجانب أنها إن أرادت أن تهجره فعلاً لماذا تنتظر كل هذا؟ كل مشاجرة تمت بينهما تعود الأمور لمجاريها. في تلك المرة التي تصاعدت بها الأمور بشكل كبير سامحته أيضًا في النهاية. أعترف بأني تدخلت بشكل غير مباشر لأحاول تعميق الثغرة التي حدثت بينهما بدون جدوى. كيف يفلت أمثاله بأفعالهم هذه؟

إنها تلك المرة التي أرادوا تدبير مقابلة بين جوزيف وصديقتي مارينا؛ واحدة من أكثر الفتيات اللاتي عرفتهن إثارة في حياتي، وفي نفس الوقت هي أقرب من شقيقة لي. رأتها نور في إحدى الليالي بـ«جونيز» وطلبت منّي أن أرتب الأمر.

«مارينا دي غالية عندي قوي. جو صاحبكم ده يستاهلها؟» سألتهم في سماجة.

«لازم تبقى غالية يا فيلو. دي صاروخ» ضحك عمرو، معرضًا نفسه لضربة في المعدة من نور. «إيه نظامها دي بقى؟!» سألني حسام في خبث. نادرًا ما يتحدث معي، ولذلك استشعرت شيئًا مريبًا.

هناك ميزة رائعة في عمرو؛ أنه واضح تمامًا. إن أثارته فتاة يحرص على أن يعرف كل من حوله بذلك. سذاجة نور في أنها لا تفهم هذه الميزة. إن أراد امرأة غيرها لكان هجرها منذ زمن بعيد. على الجانب الآخر، حسام خبيث وقليل الحيلة. عيناي الخبيرتان فقط لاحظتا كيف سال لعابه عندما رأى مارينا. كم هو جشع! بعض الرجال لا يملأ عينيهم سوى التراب! كل الرجال إن شئنا الدقة. كيف سيجد فتاة في جمال ودلال خلود؟ مستحيل. عندها راودني المخطط الشرير. قررت التلاعب بالظروف أنا أيضًا لكن بشكل أكثر عدلاً كيف سيقع في الفخ إن لم يسر إليه بقدميه؟ وقد كان.

«مش فاهمة يا فيلو. انت ليه اديت حسام رقمي؟» سألتني مارينا يومها في تعجب.

«عايزين نظبطك مع واحد صاحبنا كده. حسام هو اللي يعرفه كويس وهيرتب معاكي تفاصيل الخروجة».

لم أحتج حتى إشراكها في الخطة. بدأ حسام يتحدث إليها بطريقة مثيرة للشك، وبدأت المعاكسات التي توقعتها. لم يتجرأ بالتأكيد على عرض نواياه بطريقة مباشرة، لكنه اقترب كثيرًا من ذلك. ظل يغازلها ويحاول جذبها تجاهه إلى أن فاض بها الكيل واشتكته إليّ. أفضل سلاح هو المحادثات الكتابية على الهاتف. مع وجود دليل مادي لإدانته انتظرت إلى اليوم الذي خرجنا فيه جميعًا فيه لأوجه ضربتي. جلسنا على الطاولة وبدأ جوزيف يتفاعل مع مارينا. أفادني كثيرًا أن حسام يترك هاتفه على الطاولة معظم الوقت دون مراقبة. رأيت أنه من المضحك أن أرسل إلى خلود نص المحادثة من على هاتفه شخصيًا، لا هاتف مارينا. كان

وجه خلود تاريخيًا في هذه اللحظة؛ احمر من الغضب وقامت مغادرة الطاولة بغتةً. علمت وقتها أن الخطة قد نجحت. لم تنجح العلاقة بين مارينا وجوزيف لأسباب لا أعلمها. أخبرتني مارينا أنه أعجبها إلى حد كبير بينما امتنع جوزيف عن مقابلتها ثانيةً. لم أهتم وقتها سوى بنجاح خطتي الإجرامية الكبرى. كم كنت واهمًا! سمعت بعدها عن هجمته الشمشونية لتصحيح العلاقات باستخدام القوة. من يفعل هذا؟ حقًا، من يفعل هذا وينجح؟ هذا الوغد! لن تشفي غليلي كل الكلمات التي أوجهها إليه. استمرت المعركة بيننا وتبادلنا الهتافات اللاذعة إلى أن تدخل جوزيف لإيقاف الوضع. لم أشكره بشكل مباشر، لكن أظنه تجاوز الأمر بشكل لائق.

«اتفضل شوفلنا أم المزيكا اللي مش عارفة تكيّفنا دي. ومش بعدّل على أم شغلك. يلا بطني واجعاني مش عاوز بيض على بالليل».

تركته وذهبت لأسرّع من إيقاع هذه الليلة البائسة. أدخلت تراك جديدة وعدت أندمج من جديد. ها قد ظهر حسام ثانيةً مع خلود. ماذا يفعل؟ اصطحبها عمرو إلى الداخل. بينما وقف حسام قليل الحيلة لا يعرف ما يفعل. بدونها هو شخص عادي جدًا، معها يبدو شخصًا ذا أهمية. تأثير خلود قوي على من معها. تعطي قيمة لمن يصاحبها. رقصت نور معه لكي ترفه عنه. لمحتُ إيناس تركض وحدها بشكل ملفت للأنظار. ماذا الآن؟ أهي لعنة حلت علينا؟ ألن تمر دقيقة هادئة هذه الليلة؟ تركت مكاني وذهبت لأرى ما بها.

«إيه يا إيناس؟ مالك؟»

«مفيش يا فيلو. مخنوقة شوية»

لم أضغط عليها لتحكي، لن تفعل بأي حال.

بعد دقائق عادت مع عمرو وخلود. بدا عليهم جميعًا انقلاب جذري في المزاج. ضحكت لأنني واثق بأن لعمرو يد فيها حدث. خلود تبدو أكثر جمالاً وإشراقًا وهي مرحة. ذهب حسام ليطمئن عليها فدفعته وأخذت ترقص مغمضة العينين. لا أظنها تريد التعامل معه الآن. جيد! عاد الجميع لساحة الرقص. هذا رائع! كم هو مضحك أن يلجأوا إلى بعض الحبوب لتعيدهم إلى المزاج الجيد. ما هذه السعادة الزائفة؟ ها أنا ذا أتحكم بمزاجي وبعقلي. لماذا يربطون السعادة بغياب العقل؟ كيف يرضون بهذا؟ أشفق عليهم جميعًا. لا أظنني سأرضى بسعادة لا أتذكرها أو لا أعيها جيدًا أثناء حدوثها. حسام يبدو غاضبًا. بدأ عمرو ينتبه لنور أخيرًا ويعطيها الليلة التي تستحق. إنها مسكينة ولا تستحق الإساءة. جوزيف ينام أرضًا ويهز رأسه مع الموسيقى. إنه مستمتع بطريقته الخاصة. فجأة قام من مكانه وتوجه إلى الداخل. تبًّا! ألا تظل ساحة الرقص مكتملة أبدًا؟ فوجئت بخلود ترقص أمامي في اندماج شديد. ضحكتُ في ارتباك مشجعًا إياها. بصراحة، لا أريد الدخول في شجار جديد مع حسام. لن أنجو بحياتي كل مرة. اقتربت مني أكثر فزاد توتري.

«إيه الشغل الجامد ده يا فيلو؟!» هتفت في حماس. لم أملك إلا أن أسعد لكلامها.

«مبسوطة؟»

«ع الآاااااخر» شعرتُ بالإثارة رغمًا عني، وحاولت التماسك مع اقترابها منّي أكثر.

«هايل» لم أجد ما أقول. لم أعد أسيطر على أعصابي.

«انت احلويت كده ليه يا فيلو؟» يا للهول. من الواضح أن عمرو يوزع حبوبًا رومانسية الليلة.

«لأ أبدًا. أنا كده على طول» ضحكتْ خلود في خلاعة. لولا وقوفنا بجوار السماعة مباشرة لسمعنا حسام وجاء لقتلنا، «طب بقولك إيه. خفي شوية عشان حسام مايتجننش علينا».

كما توقعت تمامًا. أتى حسام ليتفقد أحوالها. تركت مكاني متظاهرًا بالذهاب إلى داخل الفيلا. بمجرد اقتراب حسام راحت تصرخ كالمجنونة.

«حساااام! جاية أكلم فيلو راح قالي خفي شوية عشان حسام مجنون! هاهاهاها! انت مجنون يا حسام؟!»

«لأ شوفلك حل فيها. أنا رايح الحمام» هربت من ذلك الموقف السخيف ودخلت إلى الفيلا.

وجدت جوزيف يخرج من إحدى الغرف. وجهه يبدو شاحبًا تمامًا. لا نحتاج طبيبًا شرعيًا لمعرفة ما كان يفعل. لا يمكن لأحد أن يستمر في سهرة طويلة كهذه دون مساعدات خارجية من المخدرات ومذهبات العقل. هكذا يشحنون طاقتهم. أمّا أنا فأشحن طاقتي بالموسيقى. بدا في مزاج رائق من النوع الزائف هو الآخر. سيستمر مسلسل السعادة الزائفة طويلاً هذه الليلة. إن لم تستطع مجموعة من الأصدقاء في فيلا منعزلة مع دي جيه محترف، طعام، شراب، خمر وحمام سباحة ودعارة؛ أن يستمتعوا، فلا بد من وجود خطأ ما، أو لعنة ما؛ أو ربما لا ينتمون جميعًا لمكان واحد. لماذا هم أصدقاء إذن؟ زائفة أو غير زائفة؛ لا يهمني. ما يهمني الآن أن الكل سعيد وفي مزاج جيد. هذا يعني شيئًا واحدًا؛ المرح!

سأعود للخارج وأزيد من دقات الموسيقى لتُناسب أدمغتهم. حان وقت إشباع رغبة عمرو وشركاه. الآن تبدأ السهرة دون.. لحظة! كم مر من الوقت منذ تركت مي وحدها في الغرفة؟ لم تستيقظ كل هذا؟ توجهت إلى الغرفة لأجد.. أين مي؟

* * *

عمرو

أبحث عن الفرصة المناسبة لمفاجأة نور. هل توجد لحظة مناسبة الليلة؟ عقدتُ العزم على طرح السؤال عليها ولن أتراجع مهما حدث. لم أجهز خاتمًا أو أي شيء. ليست بالخطبة الرسمية. إنها مجرد لفتة رمزية لإسعادها وطمأنتها على مستقبلها معي. ليست صغيرة السن لتندمج في السعادة اللحظية وتنسى مستقبلها. بالتأكيد تراودها أسئلة كثيرة بخصوص مستقبل هذه العلاقة. هذه المبادرة ستبث فيها الشعور بالراحة والأمان. أعلم ذلك لأن جواسيسي في كل مكان أكدوا لي ذلك. كثيرًا ما أجد نور في مزاج سيء. كثيرًا ما أجدها تسرح بخيالها في أكثر لحظاتنا سعادة. كثيرًا ما أراها عابسة بينما ينبغي عليها أن تضحك. لطالما أثار هذا جنوني. مع الوقت عرفت أنها رغم كل ما تشعر به من سعادة في علاقتنا تنتابها التساؤلات. إنها محقة في ذلك. الليلة أجيب على كل تساؤلاتها. نور امرأة متطلبة جدًا، ويصعب التعامل معها في معظم الأوقات. أحيانًا أشعر أنني أتحدى العالم كله لأكون معها. ربما إن أرحتها قليلاً تُصبح أقل توترًا. احتضنتها وهمست في أذنها.

«كل سنة وانتي طيبة يا نور».

«وانت طيب يا موري».

«انتي عارفة يا بت أنا بحبك قد إيه ولا لأ؟» بدأت التمهيد للأمر.

«فكرني كده عشان ساعات بانسى» ابتسمت في دلال مشيرة إلى شفتيها.

«تعالي أفكرك يا قمر» قضمت شفتيها كما تُحب أن أفعل فانفجرت ضاحكة.

نظرت بجواري لأجد خلود منهكة تمامًا، وحسام لا يدري ما يفعل.

«هي مالها يا حسام؟»

«داخت شوية».

«طب تعالي كده معايا يا خوخة» ساعدتها على النهوض.

اصطحبتها إلى داخل الفيلا. دخلتُ غرفتي باحثًا بين حاجاتي عن الإكستاسي. هذه الليلة تحتاج لمعجزة كي تسير بشكل جيد. يتصادف وجود هذه المعجزة معي في الحقيبة.

«بتعمل إيه يا عمرو؟» سألتني بصوت منهك.

«أنا معايا اللي هيعليكي لفوووق» ضحكتُ في خبث.

«اوعى يكون حاجة كده ولا كده» سألتني في شك.

«عيب يا خوخة. أنا برضه هديكي حاجة مش على مزاجك. ده فيتامين».

«عمرو. أنا تعبانة ودايخة بس. مش بريالة» خلود امرأة ذكية. لا يمكن خداعها بسهولة.

«دي حاجة عشان تفوقك».

«عارفة ده إيه يا عمرو. هات أي حاجة وخلاص. المهم أفوق من الـ(---) اللي أنا فيه ده».

«أموت أنا! بصي يا خوخة. خديها واحدة واحدة. اضربي نص دلوقتي. وبعد نص ساعة اضربيلك نص كمان. لو لسه عاوزة تاني. ابقي تعالي قوليلي. السهرة هتحلوّ يا خوخة!»

دخلت إيناس علينا الغرفة عاقدة ساعديها أمام صدرها. توترتُ قليلاً. «بتعملوا إيه؟» نظرت إليّ في عتاب.

«خوخة تعبانة شوية فقلت أديها حاجة تفوّقها» لم أكذب.

«حاجة تفوّقها؟ انت مش عارف انها مبتحبش تاخد الحاجات دي؟ بعدين حسام بيتضايق وبيرجع يتخانق معاها».

«أبو أم حسام» صاحت خلود في هستيريا، «أنا مش جاية انهارده عشان أقرف نفسي. أنا جاية انهارده عشان أنبسط! ووووووهوووووو» قفزت خلود كالمجنونة وتعلقت برقبتي طابعة قبلة على خدي.

«ادي جامد يا خوخة!» انتابتنا نوبة من الضحك الهستيري.

«انت اديتها قد إيه؟» سألتني إيناس.

«نص بس».

«اديني حباية كاملة. يخرب بيت التهييس».

«أوبااااا. هو ده الكلام يا إيناس! خضيتيني عليكي» صفقتُ بيدي في حماسة.

«عيب يا عمرو. أنا قديمة برضه».

أعطيتها الحبة فابتلعتها مرة واحدة. إيناس جربت كل شيء تقريبًا. امتناعها عن تناول شيء ما لا ينبع من اتباعها للقوانين، بل هو مبني على إعجابها بالشيء من عدمه. إيناس صاحبة مزاج مختلف ورأي مستقل. تحرص على تجربة كل شيء كي تكوّن رأيًا واضحًا عنه. هذا ما يعجبني فيها، أنها امرأة قوية. تعرف كيف تمرح مع الجميع بدون أن تسبب أي مشاكل، وفي نفس الوقت تعرف كيف تُفكر بعقلانية دون إثارة أي دراما. إنها امرأة ناضجة. لا يمكن إجبارها على فعل شيء غير مقتنعة به؛ لكنها لن تتمسك برأيها في سبيل التضحية لأجل أصدقائها. لهذا كلنا نحب إيناس. لهذا من السهل عليها أن تجمعنا في مكان واحد. هي أقرب الناس لنور، ولذلك رأيها يهمني دائمًا. إن قررت إيناس تناول حبوب الإكستاسي الليلة، فهذا يعني أنه القرار الصحيح. عاد ثلاثتنا إلى ساحة الرقص على أمل ألا يعوقنا شيء عن الاستمتاع. وجدتُ نور تقف غاضبة كالمعتاد، عاقدة حاجبيها. ابتسمتُ في يأس وذهبت لأحاول إخراجها من المزاج السيء.

«فاكرة أول يوم قابلتك فيه يا نور؟» سألتها محاولاً إضفاء طابع رومانسي على الموقف.

«يااااه. أكيد فاكرة يا عمرو. احنا مبقالناش سنة مع بعض» قالت بوجه عابس.

«يا نور! يا نور! فصيلة انتي يا نور».

أتذكر جيدًا اليوم الذي التقيت فيه بها. ليس من روعته؛ بل على العكس، من سخافته. كنت أعمل بمقر الشركة الرئيسي في باريس. بعد

تأثر الشركة بأزمة مالية قررت التخلي عن بعض موظفيها. شاءت الأقدار أن يتم الاستغناء عن خدمات نور في فرع الشركة بالقاهرة. تم نقلي من باريس لتولي شئون الموظفين بدلاً منها في مصر. تحتم عليّ مقابلتها وتسلم العمل منها بشكل رسمي خلال الشهر الأخير لها. استقبلتني بترحاب شديد يوم وصولي.

«انت بقى اللي جاي تاخد مكاني؟» سألتني في عدوانية.

«آخد مكانك؟ لأ أنا اتنقلت من باريس على هنا. أنا زميلك في الشركة» حاولت التعامل معها بلباقة لسببين؛ أولهما أنني دائمًا ما ألتزم الاحترافية وقواعد المهنية في مكان العمل، والآخر أنني لا أحب التطاول على النساء.

«ويا ترى الأتوبيس نزّلك قدام الشركة، ولا ماما اللي جابتك؟!» عرفتُ يومها أن الفترة الانتقالية لن تكون سهلة أبدًا.

شعرت بالإهانة الشديدة لما قالته لي يومها. لماذا افترضت أنني فتى مدلل ويأتيه كل ما يريد بدون مجهود؟ أنا أستحق ما وصلت إليه. عملت بجد وكافحت لأصل إلى ما أنا عليه اليوم. أنهيت دراستي في السوربون وعشت في باريس عدة أعوام وحدي لأطوّر من نفسي وأصنع نجاحي؛ أعوام لم أعرف فيها طعم الراحة. كنت أعمل وأدرس في نفس الوقت دون أن أمرح ولو لدقيقة. فقط بعد إنهائي لدراستي وتثبيتي في العمل بدأت أتنفس قليلاً. عرفتُ كيف أنطلق وألف العالم بأكمله دون أن يؤثر ذلك على نجاحي. أصبحت أصغر مدير للموارد البشرية في تاريخ الشركة كلها. ما لم تعرفه نور يوم التقينا أن منصبها هذا لا يعد تقدمًا بالنسبة لي، بل خطوة للوراء. عزائي الوحيد وقتها أنهم التزموا بتقديم

نفس الراتب والمميزات لأوافق. لم أستحق منصبها فحسب، بل كنت مؤهلاً أكثر منها لدرجة كبيرة. لم ألتفت لتعليقاتها السامة كثيرًا، عالمًا بأنها مسألة وقت قبل أن تختفي من حياتي تمامًا.

توجب علينا الجلوس معًا يوميًا طوال ساعات العمل لأتسلم منها كل شيء. كما توقعت تمامًا، لم تكن متعاونة على الإطلاق. تعجبت أن تأتي تصرفات غير احترافية من امرأة في مثل خبرتها بالعمل. أحيانًا جلسنا بعد ساعات العمل، وتطلب الأمر إحضار بعض الوجبات من الخارج. لم أسلم من سخافاتها عندها أيضًا.

«الحساب كام؟»

«لأ خلاص أنا دفعت» حاولت أن أكون لبقًا معها.

«وانت تدفعلي ليه؟! تعرفني؟» هتفت بلهجة مستفزة.

«مفيش سبب معين. عشان إحنا زملا في مكان واحد» أجبتها في بساطة.

«لأ متشكرة. مبحبش حد يعزمني».

عرفت يومها شيئين عن نور؛ الأول، أنها لا تفكر قبل استخدام لسانها السام، والآخر أنها لسبب ما ترتدي قناع المرأة القوية. من واقع خبرتي مع النساء، ارتداء المرأة لقناع الشجاعة يعني أنها تُخفي جرحًا كبيرًا. توقعت وجود علاقة سابقة مؤلمة دفعتها للتعامل مع الرجال بكل هذا الحرص. جزء من معاملتها السيئة لي كان نابعًا بالطبع من اقتناعها التام أنني أتيت لآخذ مكانها، لكنني عرفت أن هناك ما هو غير ظاهر للعين المجردة. في اليوم التالي اتبعتُ معها أسلوبًا مختلفًا. عرفتُ من عامل البوفيه نوع

قهوتها المفضلة، واشتريتها لها في طريقي للعمل.

«صباح الخير» صاحت بلهجتها الجافة.

«صباح الخير يا أستاذة نورهان. اتفضلي قهوة حضرتك. آدي الفاتورة، حسابك بالظبط ٢٩ جنيه ونص».

«أنا مطلبتش قهوة» أجابتني في دهشة.

«أصل القهوة هنا وحشة قوي، وأكيد مش هشرب لوحدي. على العموم كده كده لازم تحاسبي عشان أنا خلاص دفعت تمنها».

كانت أول مرة تبتسم لي. شعرتُ بالانتصار. تعجبتُ من سعادتي الغامرة يومها. قلت لنفسي إنه شعور طبيعي لأنني نجحت أخيرًا في كسب ودها، أو إلغاء عداوتها على الأقل. في يوم آخر تظاهرت بنسيان حافظتي فاضطرت إلى أن تدفع هي الحساب. هذا سهّل عليّ أن أتولى عملية الدفع اليوم التالي في المقابل. بدأنا نتحدث في أمور غير العمل؛ بعيدًا عن المسائل الشخصية بالتأكيد. لم أتحدث إليها بقدر ما استمعت. تفننتُ في طرح الأسئلة وتركها تتحدث لدقائق دون أن تنتبه لذلك. أحببت مشاهدة حركة يدها وهي تتحدث في انفعال، الاستماع لصوتها وهي تجاهد لالتقاط أنفاسها من سرعة الحديث. كما قلت من قبل؛ كانت امرأة حقيقية. لم تحاول أن تتظاهر بشيء أو تبالغ في تقدير نفسها. شعرتُ فقط أنها تبالغ في حماية نفسها ممن حولها. أثار هذا استفزازي كثيرًا، ودفعني دون أن ألاحظ إلى محاولة فك طلاسمها والدخول إلى رأسها. قد تكون روح التحدي بداخلي هي ما دفعتني لذلك، لأنه لم يسبق أن رأيت امرأة لم أنجح في الحصول عليها، أو ربما كان إعجابًا دفينًا لم أتبينه وقتها. في الحالتين وجدتني دون وعي مني أحاول التقرب إليها. في نهاية

أحد الأسابيع بعد انقضاء العمل دعوتها للخروج.

«هتعملي إيه انهارده؟»

«غالبًا هقعد في البيت. هعمل إيه يعني؟»

«طب لو مبتعمليش حاجة أنا رايح «سيكويا» بالليل. هانبسط قوي لو قدرتي تيجي» قلتها بأدب شديد كي لا أوحي لها بأي معنى سيء. فاجأني أن ابتسمت لي في تردد. عدم رفضها في لحظتها أكدّ لي أنها ستأتي بنسبة كبيرة.

اتصلت بي ليلتها لتؤكد شعوري. لم توافق أن أمر عليها لأسباب واضحة طبعًا، فالتقينا أمام باب المطعم. بدت في كامل أناقتها. تخيلتنا نتبادل قبلات حارة، لكن سرعان ما نفضتُ هذا الخاطر. لم يغير ذلك من واقع أنني رأيت أنوثتها للمرة الأولى. خِفتُ من هذا الشعور قليلاً، لكنني لم أبدأ شيئًا من قبل دون إنهائه، مهما بدا ذلك المبدأ شريرًا. دخلنا إلى المطعم والتقينا بمجموعة من أصدقائي ورفيقاتهم. تفحصت نور الوجوه في توتر بعدما شعرت أنها وقعت في فخ من نوع ما. بدا أمامهم وكأنها رفيقتي لتلك الليلة. لن أكذب وأدعي أنني لم أقصد ذلك.

«مساء الخير يا جماعة. أعرفكم على نور».

انتظرت نور دقائق معدودة ثم جذبتني من ذراعي وابتعدت بي عن الطاولة. لم أحب هذا السلوك، لكن لم أمتلك رفاهية معاتبتها. بدا التوتر على وجهها.

«عمرو. أنا مش فاهمة. انت جايبني فين؟»

«سيكويا».

«فاهمة إنه زفت! انت جايبني بصفتي إيه؟»

«دول كلهم أصحابي يا نور. خليكي هادية. مفيش أي حاجة. كلنا جايين ننبسط».

عضت شفتها في خجل. تلك اللحظة تأكدت من أمر هام؛ أنني أريد أن أعض شفتها أنا أيضًا.

* * *

مي

ما الذي جذبني إليه؟ لا أظن أحدًا يعرف أبدًا الإجابة لهذا السؤال. لو عرفت سر هذه التعويذة لتمكنت من الهروب منها. جو رجل جريء، مختلف، مفكر، قوي وشديد الثقة بنفسه. تحب المرأة دائمًا الرجل الذي يعرف كيف يحركها. لسانه هو سلاحه الأقوى. يعرف كيف يتحكم فيمن حوله؛ ربما هو سر جاذبيته. أتذكر كم تعب خالد أيام الجامعة للتقرب منّي والارتباط بي. لم يبذل جو ربع هذا المجهود، بل لم يبذل مجهودًا على الإطلاق؛ وخالد يفوقه وسامة! كثيرًا ما تخيلتني أسند رأسي على كتفه أستمع إلى صوته العذب أو إلى مزحاته البذيئة. إنه الرجل الذي أريد. لا أعرف كيف أو متى راودني هذا الشعور؛ لكنه أصبح مزروعًا في أعماق عقلي. أحلم به ليلاً، وأتذكره بمجرد استيقاظي صباحًا. أحقد كثيرًا على إيناس لقربها الشديد منه. حاولت كثيرًا أن أسألها عن علاقتهما لكنها استمرت بإعطائي نفس الإجابة.

«أنا وجو أصحاب قوي».

«أصحاب ازاي يعني؟ زيي أنا وهو كده؟»

«أكتر شوية» تستفزني هذه الإجابة. أتمنى لو بإمكاني صفعها على

وجهها عندما ترميني بها.

على كل حال لا أسعى لصداقته، بل ما هو أكثر. أريد أن أتقرب إليه أكثر من إيناس وأحصل على قلبه. أظنها مسألة وقت قبل أن أعتاد التحدث إليه. حاولتُ لفت انتباهه اليوم أكثر من مرة، واستجاب لي بسهولة. ما هذا الذي أقول! أحيانًا أنسى أنني متزوجة. لي الحق تمامًا في أن أنسى. أعيش حياة بائسة، وفي كل يوم يمر أعد الساعة تلو الأخرى. لست خائنة لزوجي! أنا أقوم بكل واجباتي الزوجية. كل ما أتمناه هو بعض السعادة. أهذا كثير عليّ؟ بجانب أنني لم أعرف كيف أصل إلى قلب جو بعد. لا يمكنني الشعور بالذنب قبل التورط معه في أي شيء، أليس كذلك؟ أنوي التورط معه قريبًا. أتمنى لو تورطت معه! كم سيكون ذنبًا رائعًا. النوم في حضنه في فراش واحد هو أكثر ذنب يستحق ارتكابه. المشكلة الوحيدة أن حقيقة زواجي تُبعد عن ذهن جو بالتأكيد خاطر الارتباط بي. يتعامل معي كصديقة أو أخت صغرى. أريد أن أتعدى هذه المرحلة، لكن يجب التفكير بشكل مستقيم. الصداقة الوطيدة هي الحل الأمثل للوصول إلى قلبه. ربما عليّ اتخاذ هذا الطريق.

أين أنا؟ سرحت كثيرًا ولا أعرف إلى أين وصلت. وقفت على الطريق أشاهد السيارات تنطلق ذهابًا وإيابًا. هل يبحثون عني الآن أم أنه لا أمل في عودتي سالمة؟ هل يقلق جو عليّ؟ بالطبع لا! إنه يستمتع بوقته حتمًا مع إيناس. إيناس! فيم تختلف عني؟ المقارنة بيننا غير عادلة. إنها تفوقني شعبية وجمالاً و.. كل شيء. كم أشعر بالإحباط الآن! ماذا أتى بي إلى هنا؟! نعم، بدأت أتذكر. كنا أول من يصل إلى الحفل. أتذكر اللوحة الكبيرة التي وضعها عمرو لنور «عيد ميلاد الملكة» مع إحدى صورهما في أمستردام. كم يدللها كثيرًا!

«ده عمرو عامل شغل جامد قوي» علّقت إيناس ضاحكة.

«بايظ عمرو ده. بس البت نور تستاهل» أجابها جو.

«خالد عمره ما فكر يعملّي عيد ميلاد زي ده. حظوظ» تمتمت في حسرة دون أن ألحظ أنهما يسمعاني.

«اوعي تقولي كده قدام نور لحسن تقتلك» حذرتني إيناس.

«انتي شكلك غاوية نكد يا مي» قال جو.

«لأ مش قصدي. خلاص مش هتكلم تاني»

«لأ بصي. اللي فات ده كوم. واللي جاي ده كوم تاني خالص. مش كنتي بتزعلي لما ننزل من غيرك. مالكيش حجة بقى انهارده. انهارده هنشرب ونرقص ونضرب ونهيص. مش عاوزك بقى تقولي أصلي مابعملش، وأصلي مابخدش. مفيش الكلام ده هنا! اللي جه لازم يجرب على طول. دي القوانين بتاعتنا» ارتبكتُ كثيرًا لما قال فابتسمت لي إيناس مطمئنة.

«متخافيش يا بت، بيهزر معاكي. مش هتعملي حاجة غصب عنك».

«لأ مش غصب عنها. هتعملها وهي عاوزة. وهتقول كمان» ضحك جو واحتضنّي لثوانٍ قليلة. شعرت معها بالراحة وزال عني القلق تمامًا، «ماتخافيش. هنظبطك. سيبي انتي نفسك خالص».

لم يحتج لقول هذه الجملة. كنت بالفعل قد فقدت السيطرة على أجزاء جسدي بعد حضنه لي. لم تقوَ ساقاي على حملي. رائحة عطره اخترقت أنفي وقضت على أعصابي تمامًا. راودني شعور بأنه سيعرف كيف يعتني بي. غيّرنا ملابسنا على عجل كي نلحق بضوء الشمس على أجسادنا.

شعرت بأنني دخيلة عليهما. ماذا يسمونها؟ عذول؟ لا أعرف. شعرت بأنني أتطفل عليهما أو بأنه لا يحق لي التواجد في هذا المكان. بدآ يلعبان في حمام السباحة ويرشان بعضهما بالماء. غلت الدماء في عروقي. لم أعرف كيف أبرد من ناري. انضممت إليهما في حمام السباحة لكن لم يعطياني اهتمامًا كافيًا. خجلت من أن أنبههما لذلك، لأنه دائمًا ما يتهمني أصدقائي بأنني طفلة وأبحث عن الاهتمام. لذلك التزمت مكاني ولم أتحدث. أخذا يتهامسان فيما بينهما. شعرتُ بالأسف لأجل نفسي. أهملاني بطريقة تتعدى كل الحدود. لو تركتهما لما انتبها لغيابي. هل ينتبه أحد لغيابي الآن أصلاً؟ لا أظن. مر بعض الوقت ثم قاما فجأة.

«هنروح نجيب حاجة من جوه ونرجع» قال جو.

«آجي معاكوا؟» سألته في أمل.

«ثواني. مش هنتأخر».

بالتأكيد لم يرتاحا لوجودي معهما. أرادا بعض الخصوصية للتحدث في أمورهما الشخصية. نويت وقتها أن ألم حاجياتي وأرحل. سيطرتُ على مشاعري بصعوبة كي لا أبكي. خرجتُ من المياه. وجففت جسدي. لم ألفت انتباهه حتى. ارتديت ملابسي، لكن لم أجد الوقت لتنفيذ قراري لأنه سرعان ما ظهر عمرو ونور. بدت نور مندهشة كثيرًا لما رأت.

«مي! بتعملي إيه هنا؟»

«كل سنة وانتي طيبة يا نور» قلتُ في ارتباك.

«وانتي طيبة» ظلت مندهشة لثوانٍ. استمر الصمت إلى أن فهمت ما يحدث، «يا ولاد الايييه. انت جزمة يا موري. مش تقول؟» انطلقت

ضحكتها عالية.

«مانا لو قلت متبقاش مفاجأة يا قمر» احتضنها عمرو بقوة. لثوانٍ شعرت بالحقد لاهتمامه الشديد بها.

«وأنا عمالة أقول ده مش طريق العين السخنة!»

«زنانة قوي يا نور. بقالي ساعة بمثّل إني تايه وانتي مبطلتيش أسئلة».

«تتحسدي يا نور. طول عمرك ذكية» داعبتها ضاحكة.

عاد جو وإيناس من مغامرتهما السرية لاستقبالها. تبادلوا الأحضان والقبلات. نظر إليّ جو في تعجب.

«انتي لبستي ليه يا بايظة؟»

«لأ بردت شوية بس».

«طب يلا اقلعي» استوقتني طلبه، إلى أن انتبهت أنه طبيعي في ظل الظروف المحيطة.

«أقلع؟ حاضر».

«مال وشك احمر كده ليه! يخرب بيت سنينك. تعالي بس أقولك».

«أصل عمري ما قلعت إلا قدام جوزي» قلتُ في خجل.

«هو أنا بقولك تبقي عريانة؟ داحنا هنلعب سوا في المية. خليكي معايا وانتي مش هتندمي».

ترددت قليلاً فابتسم في خبث وأدار وجهه. التفتّ ثانيةً وهتف فجأة.

«عمووووور».

«جو صديقي!» أجابه عمرو في حماسة.

«محتاجك في كلمة سر. البت دي مش عاوزة تقلع. لازم نخليها تقلع!»

«ازاي الكلام ده؟ يلا بينا يا إكسلانس».

ركضا تجاهي وحملاني فصرخت كالمجنونة.

«بتعملوا إيه؟» توقفوا جميعًا والتفتوا إلى المتحدث. وجه جديد لم أره من قبل.

«بنغتصبها يا فيلو. هنكون بنعمل إيه» هتف جو.

«طب ما تسيبوها في حالها. افرضوا هي مش بتحب التحرش» قال في ضيق واضح.

«معلش يا فيلو. اللي ييجي هنا لازم نتحرش بيه» ضحك جو.

«يا فيلووو! رص حاجتك يا إكس وابدأ الترزيع اللي على أصله» قال عمرو متحمسًا.

«أبو الترزيع اللي مسوحك ده» استدار وبدأ يعطي التعليمات لبعض العمال. أخذوا يرصوا معدات استنجتُ أنها تخص تشغيل الموسيقى.

استمروا في محاولة خلع ملابسي إلى أن تنحنحت نور بصوت عالٍ. استدار عمرو في ترقب وهو يعرف حتمًا ما هو مقبل عليه. ابتسم في هدوء ليحاول تخفيف الأوضاع.

«طب ما تيجي تقلعني برضه يا عمرو. أصلي مش بعرف» رمقتني بنظرة حادة.

«إيه يا نور.. يا نور! دي مي !» أجابها في نفاد صبر.

«أنا هاخش أغير هدومي. تعالي يا مي!» نادتني، فشعرتُ بالتوتر وتبعتها إلى الداخل في صمت، «بقولك إيه.. اتلمي بقى انهارده».

«أتلم؟ مش فاهمة».

«يعني بلاش الحركات القرعة بتاعتك دي. انهارده عيد ميلادي. مش عاوزاكي تعملي أي حاجة عشان تبوظي الليلة. فاهمة؟» لا أحب نور كثيرًا. هذه حقيقة.

«هو أنا ممكن أعمل إيه عشان أبوظه؟ إيه التشاؤم ده؟» ابتسمتُ في قلق.

* * *

خلود

الصحوة! ها قد عُدت من جديد. إن كان هناك ما يتقنه عمرو، فهو بث المزاج العالي فيمن حوله. كثيرًا ما يحاول حسام التصرف دون أن يفقه شيئًا. تدخله في كل كبيرة وصغيرة غالبًا ما يوقعنا في الأزمات. أنا في وضع أفضل الآن. أشعر بتحسن كبير. إيناس تبدو في وضع أفضل هي الأخرى، حتى عمرو يبدو في وضع أفضل، كما لو أن هذا ممكن. أين كان يختبئ هذا الحل السريع؟ خرجت أركض وخفت حركتي أكثر. الموسيقى تدخل في كل أجزاء جسدي. يا لها من أنغام رائعة. لا أرغب في التوقف عن الرقص. تحملني قدماي في طريق لا أعرف نهايته لكنني لا أهتم. أسير على غير هدى مع كل دقة وكل صوت. اقتربتُ من السماعات كثيرًا. أغمضتُ عينيّ فاردة ذراعيّ لأعلى. ما أجمل الموسيقى. كل شيء حولي جميل. الحياة أكثر لذة. فتحتُ عينيّ لأجد نظرات فيلو اللاهثة.

«انت احلويت كده ليه يا فيلو؟»

«لأ أبدًا. أنا كده على طول» يضحكني كثيرًا ارتباكه أمامي. رغم محاولاته المستميتة لإبهار الفتيات لا يستطيع أبدًا القيام بهذه الألاعيب معي. إنه فارسي المغوار. منقذي من الموت المحقق.

جاء حسام مسرعًا فهرب فيلو وضحكتُ في جنون. بدأت أتفوه بها لا أنتبه إليه جيدًا. لماذا أرافق شخصًا يشكل هذا العبء؟ إنه يثير توتر كل من حوله. قنبلة موقوتة ستنفجر في أي لحظة، ولا يملك أحد معلومات عن التوقيت. يتجنب الكثير من أصدقائي الخروج معنا، ولهذا أخسر الكثيرين بسببه. هل يستحق ذلك؟ أشعر بالجوع! بحثتُ عن الوجبات التي اشتريناها وبدأت آكل في نهم. عادت شهيتي مرة أخرى. أعترف بأنني جاريت حسام في البداية وتدللت عليه لإعطائه حيثيته. من يجد دلالاً ولا يتدلل؟ كثيرًا أتاني تحت منزلي ليجلب لي الإفطار. مرات أخرى أخذني لأكثر النوادي الليلية فخامة رغم أن دخوله يقتصر على القليلين. تركني أستخدم مسدسه مما أثارني قليلاً. أعطيته كل الفرص للاستمتاع برجولته وإثبات نفسه. تصرفتُ كأي فتاة تافهة لأتأكد من سعة صدره. ظل واسعًا، وظل ضخمًا مليئًا بالعضلات. أحب العضلات. أحب الرجولة والذكاء أكثر؛ لكن لم أعرف وقتها أن هذه العلاقة ستستمر حتى الآن. من يتخيل مستقبل العلاقة؟ لا أحد. كلنا ندخل في العلاقات دون التنبؤ بنهايتها. كم مرة رافقت رجلاً وافترقنا لأي سبب؟ مئات المرات. متى كانت أول مرة توقف حسام عن محاولاته البائسة لاستعراض عضلاته؟ أتذكر تلك الواقعة. مر عليّ كعادته ليلتها وجلسنا في سيارته صامتين. لم يحرك ساكنًا.

«مالك يا حسام؟» سألته محاولة إخفاء شعوري بالملل.

«خلود. أنا حاسس الدنيا سودا قوي».

«ليه؟» تظاهرت بالاهتمام. في بداية العلاقة لا ينبغي على الرجل أن يُشعر المرأة بالملل. يكون اسمه مكتوبًا بالقلم الرصاص ويمكن مسحه

في أي لحظة.

«أخويا. أخويا يا خلود. مش هشوفه تاني» تجهم وجهه وبدأ صوته يرتعد.

«سافر يعني ولا إيه؟» اعذروا غبائي. لماذا سأفترض الأسوأ على الفور؟

«سافر يا خلود. عند ربنا» بدأت خيوط من الدموع تتسلل على وجهه.

انقبض قلبي لحظتها. لم أخسر أحدًا من قبل وبالتالي لم أجرب شعوره؛ رغم ذلك لم أجد تفسيرًا لتلك الغصة في حلقي. وجدتني أحتضنه دون التفوه بكلمة. كانت اللحظة أصعب من أي عبارات مواساة يمكنني تقديمها له. لم أكن يومًا عديمة الإحساس. مر الكثير علينا في هذا الوضع. كانت أول ليلة نتبادل القبلات. انجرف كثيرًا في مشاعره وفي الواقع شعرت بتواصل غريب معه. كأن قبلاتنا الصامتة المبللة بدموعه هي أول محادثة جادة نقوم بها معًا. نسيت كل التفاهات وانصب كل تركيزي على الحرارة التي اجتمعنا بها. كلما تذكرت القبلة الأولى أجد سببًا قويًا للبقاء معه. هذه القبلة ربما هي الشفيع الوحيد لحسام حتى الآن. الشخص الذي قبلته ليلتها هو الشخص الذي يمكن أن أعيش معه للأبد. من عرفته قبلها يصلح فقط لليلة واحدة من المعاكسات والرقص في أحد النوادي الليلية، ومن عرفته بعدها يصلح فقط للمطاردات البوليسية. متى يظهر هذا الشخص ثانيةً؟ أم أنه كان حالة استثنائية؟ يقولون إنه عليك أن تتحمل الشخص في أسوأ حالاته لكي تستحقه في أفضل حالاته. ربما أتبع هذه المقولة بإيمان أكثر من اللازم. فماذا إن كانت أفضل

حالاته نادرة ولن تتكرر؟ أنتظر كثيرًا ولا يظهر من أريد. الحب لا يكفي لتحمل الشخص. بجانب أنه قد تُحب شخصًا وتريده بجوارك لكن ليس بالشكل الذي يرغب فيه هو. أتذكر في إحدى مشاجراتنا الطويلة عندما أشرتُ لما يشبه ذلك.

«احنا ننفع أصحاب كويسين يا حسام. نهيس، نضحك. بس ماينفعش نبقى مع بعض».

«أنا عاوزك بطريقة معينة.. وبس» ومن يمكن أن يقف في طريق رغباته؟

عودة إلى الحفل! أستمر بالرقص دون توقف. لن يمنعني أحد. فجأة اصطدمت بإيناس دون أن أنتبه.

«مش تركزي!» صحت بها.

«مي فين؟!» سألتني بأنفاس لاهثة.

«مي مين؟» تركيزي في أسوأ حالاته الآن.

«مي يا خلود! مي! مي مش لاقيينها».

«آه. مي. ماشي. أهي ريحتنا برضه» ضحكت في لا مبالاة وعدت للرقص.

* * *

جوزيف

كم كان كلامها قاسيًا! أعرف كم تتألم لتخرج عن شعورها بهذه الطريقة. أنا أناني؟ عليها أن تقدر ما أنا فيه. حديثها معي بهذه الطريقة لا يساعدني. أنا رخيص وعبد لهذه السموم. لماذا أدمر حياتي بيدي؟ ألا يكفيني ما أتعرض إليه من مشاكل حتى الآن بسبب هذه العادة القذرة؟ أيجب أن أبحث عن الألم وأسعى خلفه أكثر كي أستريح؟ أعرف إلى أين يقودني هذا الطريق لكنني أسير به ثانيةً. فردت جسدي أرضًا مستسلمًا لهذا الشعور المحرّم؛ شعور اللذة. أشم رائحة الأجساد حولي وأسمع حركتها جيدًا. هل هذا تأثير العودة، أم الانتكاسة؟ القدرات الخارقة؟! أسمع ضحكات خلود وهزات رأس عمرو وتصفيق فيلو. أشعر بيد ناعمة تلمس وجهي، تدغدغ أنفي. ابتسمتُ في سعادة. إنها إيناس حتمًا. عادت لتصالحني وتأخذ بيدي. لم تستطع التخلي عني أبدًا. سنتغلب على هذا السرطان معًا.

«إيناس؟»

«أنا جنبك يا جو» أجابتني بصوتها الحاني.

«اوعي تسيبيني. أنا مقدرش أعيش من غيرك. أنا بعشقك يا إيناس».

«وأنا بموت فيك يا جو» طبعت قبلة على خدي.

«وايه كمان؟»

«انت عاوز دلع بقى» ضحكت في حيوية واضحة، «وماله. لو مكنتش أنا هدلّعك، مين هيدلعك يا روحي».

«أوعدك يا إيناس عمري ما هعملها تاني. أنا بحبك قوي» نعم، سأتوقف. إن لم يكن لأجلي فهو لأجلها، لأكون أهلاً لها، لحبها.

«عارفة يا جو».

«هتسافري معايا؟» سألتها في لهفة.

«هسافر معاك. وهنعيش مع بعض على طول».

«بجد؟» فتحت عينيّ واعتدلت في حماسة.. أين هي؟

لا أراها. أين هي؟! هل كنت أهلوس؟ لا أذكر أن حدث هذا لي من قبل؟ أهذا ما يسمونه صدأ الملاعب؟ هل ابتعادي عن الصنف لفترة جعلني أكثر عرضة لتلك السخافات؟ أم أنني كنت أحلم؟ ربما هو حلم. هذا أكثر منطقية. لماذا؟ لماذا ليس حقيقة؟ أريدها معي. أريدها أن تكون لي. لا أتحمل الحياة هكذا. لم كل هذا العذاب؟ أشعر ببرودة في أطرافي. شعور قوي بالحكة يراودني. إيناس لن تسامحني. لا أستحقها. لماذا لا أستحقها؟ ليست أفضل منّي! بل هي أفضل منّي بكثير! إنها تستحق من يحميها. كيف أحميها إن لم أستطع حماية نفسي؟ كيف أقلل من شأني بهذه الطريقة؟ أشعر بالتخشب. جسدي يؤلمني. تبًّا. قمت من مكاني بسرعة. أسير في نفس الطريق.. أعرف نهايته. لا يوقف هذا قدميّ! ما هذا الإصرار الغريب؟ أشعر به في عروقي وأحتاج للمزيد. تبًّا لك يا

عمرو! لا أتحكم في أعصابي. بحثتُ عن المخزون. ها هو. فرشته أمامي على الطاولة. آخر فرصة! لا تفعلها!

«جو!» سمعت صوت إيناس عاليًا.

«مش قادر يا إيناس. مش قادر» تضرعت إليها.

«انت عارف الناس كلها بتبصلك ازاي يا جو؟ عاوز تخذل كل اللي حواليك؟ كل الناس بتحترمك وبياخدوك مثل أعلى ليهم، وبيقدروك. ازاي أنت مش عارف تقدر نفسك؟ للدرجة دي نفسك عندك رخيصة؟! انت مش بتحب نفسك يا جو؟»

«أنا بحبك انتي» ارتعش صوتي.

«وأنا بحبك يا جو. لازم انت كمان تحب نفسك. بلاش يا جو. بلاش».

«حاضر يا إيناس! أهه!» ضربت المسحوق من على الطاولة فتطاير في كل مكان، «أنا بحبك يا إيناس، أنا.. » أين هي؟ اختفت ثانيةً!

تبًّا، لا مفر! استنشقت كل ما أمكنني الوصول إليه من المسحوق. زحفت أرضًا لألتقط الفتات الذي تناثر. يا له من شعور! تنهدت بقوة وشعرت بكل آلامي تغادر جسدي مع الزفير. لماذا أقاوم ما يريحني؟ لا يوجد ما يريحني أكثر منه. لا يوجد من يصمد معي سواه. إنه صديقي.. بل هو عدوي! صديق؟ صديق سوء؟ لماذا فعلتها ثانيةً؟ أسمع صوتًا بالخارج. قفزتُ من مكاني وحاولت تنظيف المكان قدر ما استطعت. يجب أن أبدو طبيعيًا. نفضت الغبار عني وعدلت من هندامي. صففت شعري بيدي. رسمت ابتسامة على وجهي.. تبدو مريبة للغاية. سأكتفي

بوجه طبيعي. خرجت من الغرفة لأجد فيلو. لا تسألني عن شيء يا فيلو! ممتاز. مر دون حديث. توجهت إلى الخارج محاولاً العودة إلى الأجواء. أين إيناس؟ لماذا أبحث عنها؟ لا أحتاج سوى نفسي الآن. أنا أعز صديق.. بل نديم! فلنشرب الكأس معًا ونلعن أيامنا!

عمرو يرقص مع نور مندمجًا. لا أريد أن أقطع عليهما لحظاتهما الرومانسية. استلقيت على مقعد الاسترخاء مستمتعًا بالموسيقى. لو كان هناك ما يستطيع فيلو القيام به فهو إحياء سهرة رائعة.. من الموسيقى أقصد. حتى الآن أراها أسوأ سهرة في تاريخي. ربما رأيت ما هو أسوأ. لا، إنها الأسوأ. ثوانٍ ورأيت إيناس تهرع إليّ. لن أقع في نفس الفخ ثلاث مرات. لست غبيًا لهذه الدرجة.

«جو! الحق يا جو!»

«جو راح يجيب حاجة. لما ييجي هناديهولك» أجبتها في لامبالاة.

«إيه؟ انت بتخرف ولا إيه؟»

«انتي اللي بتخرفي» ضحكتُ في بلاهة.

«جو! انت ضربت تاني؟!» سألتني في غضب.

«ضربت ازاي مش فاهم».

«يوووووه! يا جو فوووووق! مش لاقيين مي! دورنا عليها في كل حتة وملهاش أثر» لم أعد واثقًا أنني أهلوس.

«مش لاقيين مي ازاي يعني؟» قمتُ فجاة وبدت الرؤية واضحة أكثر بالنسبة لي. ما يحدث الآن حقيقي.

«زي ما بقولك. فيلو كان سايبها في الأوضة، ودلوقتي قلبنا عليها الفيلا مش لاقيينها. يا نهار أسود! أنا خايفة يكون حصلّها حاجة. يا ريتني ما جبتها. هي ليلة سودا من أولها» بدأت تنهار في صورة لا أحب أن أراها.

«بس بس. اهدي خالص! ماتقلقيش. هنلاقيها. هتكون راحت فين يعني؟» لم أقتنع تمامًا بما قلت.

«مش لاقيينها يا جو. مش لاقيينها».

ألا يمكن أن يرثي الإنسان نفسه في هدوء؟ أيجب أن يعكر صفوه أي شيء؟ حتى الحزن والكآبة ليسا من حقي؟ أيجب أن ألعب دور القائد الحكيم؟ أيجب أن أتحمل المسئولية دائمًا؟ لماذا لا يتصرف أحد غيري؟! لماذا أتحمل العبء والمشاكل السخيفة؟ لا أرى أحدًا يحل مشاكلي!

«أنا خايفة عليها يا جو» لا أتحمل نظراتها الحزينة.

«ماتقلقيش يا إيناس. هنلاقيها».

* * *

فادي

هل أخطأت الغرفة؟ ربما. الليلة طويلة ومرهقة ومن الوارد أن أفقد تركيزي. أعرف أن هذا مستحيل لكنه احتمال أهون من أن تكون قد اختفت. لا يمكن لها أن تختفي. إلى أين ستذهب؟ انتقلت من غرفة إلى أخرى دون جدوى. لا أريد إعلان اختفائها بعد. سيثير هذا توترهم. الليلة مشحونة بما يكفي ولا تحتاج لحكاية جديدة. عليّ التأكد. لماذا أنكر ما هو واضح؟ لسنا في قصر عابدين كي تختفي أو تضل طريقها. ليست موجودة! ماذا أفعل الآن؟ خرجت أبحث عنها في الحديقة. لا أثر. إن سألت عنها أحدًا سيتنبهون لغيابها. لحظة! لماذا أفكر في راحة بالهم؟ لأن مهمتي هي إسعاد الجمهور. حقًا؟ هل أنا مقتنع بما أقول؟ لا يبذلون أي مجهود لمراعاة بعضهم ويفترض أن أنجح أنا في الخروج بهم بأقل خسائر ممكنة؟ الخسائر قد وقعت والأخطاء قد تمت، وحان الوقت لحصد ثمارها الفاسدة. من أقرب الناس إليها؟ إيناس. سأخبرها.

«انتي شفتي مي؟»

«مابصيتش عليها بقالي شوية. تلاقيها لسه نايمة» أجابتني في شرود.

«لأ ما هي قامت».

«راحت فين؟» سألتني في دهشة.

«سؤال كويس. لو أعرف إجابته ماكنتش سألتك انتي شفتي مي ولا لأ» ابتسمتُ في سخرية فانتفضت مكانها!

«دوّرت كويس؟ يمكن تكون نايمة في حتة هنا ولا هنا».

«ماكنتش هجيلك يا إيناس إلا لما أخلص كل الحاجات البديهية. مي مش موجودة في الفيلا. مي اختفت!» أشرت بيديّ في عصبية لأوضح لها الصورة جيدًا.

«دي لو خرجت من هنا مش هنلاقيها تاني. دي تتخطف! تعالى نسأل عمرو».

عرفتُ جيدًا الإجابة قبل أن نسأله، وعلى الأرجح عرفتها هي الأخرى. قطعنا حديثه مع نور.

«عمرو. ماشفتش مي؟»

«لأ مشفتهاش يا فيلو» أجابني في عصبية.

«متأكد؟» سألته ثانيةً.

«أيوة يا فيلو متأكد! ماتفصلنيش!»

«هي راحت فين؟» سألت نور.

«ليه كله بيسال السؤال اللطيف ده. لو احنا عارفين هنيجوا نسألكوا ليه؟! بنختبر ذكاءكم؟!» صحتُ في حنق.

«بقولك إيه يا فيلو، انطر في أي حتة، مش ناقصاك».

لم أجد إيناس بجواري. ربما هرعت بالفعل لتبحث عنها تحت مياه حمام السباحة أو بين الشجيرات. لم أصدق قلة اهتمام عمرو بالأمر. حاولت أن أعيد ضميره إليه.

«عمرو. بقولك مش لاقيينها. ملهاش أثر في الفيلا كلها».

«وأنا مالي يا فيلو» هز كتفيه في لامبالاة.

«مش هتدور معانا؟»

«لأ مش هدوّر. أنا جاي عشان أفصل على نفسي».

«وراك حاجة يعني؟»

«آه مشغول يا فيلو. انطر بقى» دفعني في عصبية.

«ولا انتي يا نور؟» حاولت اللعب على قلبها الطيب هي الأخرى.

«لأ يا فيلو مش هتدور معاك» أجابني عمرو.

«نور! مش هتدوري على صاحبتك؟!» هتفتُ في استنكار.

«لأ يا فيلو. مش هتحمل نتيجة غلطاتها. هي اللي تدفع التمن. مش هضيع وقتي على البت الزبالة دي» قالت في قسوة وأشاحت بوجهها.

تأثير عمرو قوي للغاية. بعد رؤيتي لموقفها هذا أتمنى ألا أحتاج إليها في يوم من الأيام. ستتخلى عني بإشارة من إصبع عمرو الصغير. ركضتُ مسرعًا بحثًا عن إيناس. وجدتها مع جوزيف.

«هنعمل إيه؟» سألتُ جوزيف.

«انت شايف إيه؟» أجابني مبتسمًا في سخرية.

«أكيد هندور عليها» أجبته في سخافة مماثلة.

«طب ناخد عربيتي» قالت إيناس.

«ناخد؟ مين قالك إنك هتنزلي أصلاً؟» قال جوزيف مستنكرًا.

«يعني إيه يا جو؟ هسيبها كده؟»

«لأ مش هتسيبيها ولا حاجة. أنا ناقص يحصلّك حاجة انتي كمان! هتستني هنا زي الشاطرة وأنا هروح أدور عليها. هاتي مفتاح عربيتك» قال في لهجة لا تحتمل النقاش.

«هتروح لوحدك؟» سألته في هلع.

«لأ أنا هروح معاه» أجبتها دون تفكير، «عاوزاني أسيبه ياخدها حتة ضلمة؟!»

«فيه حد تاني هييجي؟» سأل جوزيف متهكمًا.

نظرنا حولنا لنجد خلود في عالم آخر. كم هي مثيرة! أتمنى لو بقيت معها وأرسلت حسام ليموت! ليس وقت هذه الأفكار! يجب أن أنتبه للمشكلة التي أمامنا. رأينا حسام يراقبها كحارس شخصي. شاهدنا نور وعمرو في قوقعتها الصغيرة يرقصان بجنون كما لو أن لا شيء يحدث حولها. نظرتُ إلى جوزيف ثانيةً.

«لأ. ماظنش. يلا بينا» أجبته في حسم.

* * *

مع
أصدقاء
كهؤلاء.. مَن
يحتاج لأعداء؟

عمرو

لا يوجد ما يزعجنا الآن. أصبحت الليلة ملكًا لنا. ما كان ينبغي أن أوافق على حضور مي. أقنعتني إيناس بضرورة وجود كل أصدقاء نور المقربين. رغم كثرة الخلافات بين نور ومي أصرت إيناس أن الخلاف لا يعني حرمانها من المشاركة، وأن نور ستحب وجودها. اقتنعتُ لسبب مهم للغاية. نور شخصية صعبة.. جدًّا. لم أهرب يومًا من هذه الحقيقة. تخيلت أن كل خلافاتها مع مي نابعة من شخصيتها المعقدة، وأن مي لن تسبب أي ضرر الليلة. كنت مخطئًا. مي كارثة متحركة، والدليل هو ما تسببت به من توتر. تحول حفل عيد الميلاد إلى رحلة بحث ميدانية مضمونة الفشل. أحتاج إلى مجهود خرافي لإعادة نور إلى المزاج المناسب. يصعب اختراق دماغ نور أو الوصول إلى ما تفكر فيه. كما قلت؛ إنها شخصية صعبة. لم أتوقع أن تدوم علاقتنا كل هذه الفترة. في البداية تهربت نور من العلاقة وظلت تتظاهر أننا مجرد صديقين. لم أيأس وظللت على موقفي واتبعت مبادئ الكر والفر إلى أن أتت اللحظة الحاسمة؛ ليلة عيد الحب.

«احنا معزومين بالليل عند واحد صاحبي. عامل حفلة على سطح بيته. هيبقى جو خرافي».

«في وسط الأسبوع؟ ده مين الرايق ده؟» سألتني في دهشة مصطنعة،

كما لو أنها لا تنتبه أنها ليلة عيد الحب.

تركتها لمحاولاتها اليائسة للتهرب وأصررت على أن أمر عليها. كانت وقتها قد اعتادت الخروج معي إلى حد كبير ووجدتْ صعوبة كبيرة في الرفض. بدأتُ أتأكد من انجذابها إليّ، رغم إصرارها على إخفاء مشاعرها. توجهنا إلى بيتي. لم تعرف عنواني بعد ولذلك لم تشك بأي شيء. صعدنا إلى السطح. فتحنا الباب لتنبهر بما رأت. إن كان هناك شيء أتقنه جيدًا، فهو كيفية إبهار المرأة. خلقتُ لها جوًا رومانسيًا لم تره من قبل. أضواء خافتة، طاولة لفردين، موسيقى هادئة، ووجبة عشاء أعددتها بنفسي مع الكثير من العصائر وزجاجات الخمر. ظلت مشدوهة لدقيقة كاملة قبل أن تقوى على التحدث.

«إيه ده؟»

«كل عيد حب وانتي طيبة يا نور. ده عشانك» قبّلتُ يدها في لباقة.

«عشاني؟ ليه؟ عمرو. احنا إيه بالظبط؟» طرحت أخيرًا السؤال في انتظار إجابة واضحة. يبدو أنها قررت فجأة التوقف عن اللعب والمراوغة. لابد أن اللحظة قد أضعفتها وقضت على أي مقاومة لديها.

«مش ده السؤال الصح يا نور. السؤال هو.. انتي إيه».

«أنا إيه؟» ردّدت في دهشة.

«انتي أحلى حاجة حصلتلي في حياتي يا نور. انتي أجمل بنت عرفتها. انتي حبيبتي» قبّلتُ يدها ثانيةً. احمر وجهها في حياء شديد. أمسكتُ بيديها وبدأنا نرقص مع الموسيقى الهادئة.

«عمرو. أنا.. أنا عمري ما تخيلت..» لم تستطع إنهاء الجملة.

«عمرك ما تخيلتي انك هتاخدي قلبي وعقلي؟ لأ تخيلي يا نور. تخيلي كويس قوي. عشان من هنا ورايح، انتي خلاص بقيتي بتاعتي. بتاعتي أنا وبس».

لم أعرف مصدر هذه الثقة ليلتها، أو كيف توقعتُ كل ما حدث. ربما هي خبرتي في التعامل مع النساء، أو ربما لأنني لم أكن لأوافق على أي سيناريو آخر. أردتها هي فحسب. تأكدت أنها تريدني بنفس الدرجة أو ربما أكثر. ما لم أكن أعرفه بعد هو سبب مقاومتها الشديدة للمشاعر الواضحة بيننا؛ لماذا حاولت مرارًا أن تقتل أي مجال لعلاقتنا. في ليلة عيد الحب أطلقتْ العنان لكل مشاعرها. كأنها فقدت عقلها من المفاجأة، أو ربما لأنها أرادت الاستمتاع بحياتها ولو لليلة. لم أتسرع بمحاولة تقبيلها كي لا أفزعها. كانت الليلة مثالية كما هي. أوصلتها لباب بيتها وقبّلتُ يديها.

«تصبحي على خير يا حبيبتي» سرت قشعريرة في جسدها.

«وانت من أهله. أشوفك بكره» صعدت السلالم مسرعة.

في اليوم التالي ظلت صامتة، وتجنبت الحديث معي بشكل ملحوظ. لم يتبقَ الكثير على وجودها في الشركة حيث توجب أن تغادر رسميًا في نهاية الأسبوع. بات واضحًا أنها تهرب مما حدث، وأنها استفاقت في اليوم التالي لتعرف ما أقدمت عليه، وأرادت التراجع. أثار هذا جنوني. ما رأيته منها الليلة السابقة أكدّ لي أنها لا تستطيع مقاومة علاقتنا. التزمتُ الثقة بالنفس وقررت أن أضغط عليها أكثر لأقضي على ما تبقى بداخلها من وسائل دفاعية. تركتها يومها كي تظن أنها نجحت في التهرب منّي. في اليوم التالي أتيت بدون سيارتي وتظاهرتُ بقلة الحيلة. لم تجد مفرًا من

توصيلي لبيتي. كان الوقت متأخرًا. وقفنا أمام مدخل العمارة وانتظرتْ نزولي من السيارة؛ لكنني لم أفعل.

«مستني حاجة؟» سألتني دون أن تنظر لوجهي.

«آه. مستنيكي تقوليلي انتي ليه مابتتكلميش معايا من امبارح» لطالما نجحت المواجهة المباشرة.

«أنا؟ لأ خالص. الشغل بس ملخبطني».

«شغل إيه يا نور؟» ضحكتُ في هدوء، «احنا بنعمل حاجة أصلاً؟»

«قصدك إيه؟» بدأت تستفزني، فأمسكتُ بكتفيها. نظرت إليّ في دهشة.

«نور! انتي عارفة إني بحبك. وانتي كمان بتحبيني. قوي. أنا متاكد. متأكد عشان اللي جوايا عمره ما كان هيكبر إلا لما حسيت باللي جواكي. احنا اللي بينّا أكتر من كيميا يا نور. أنا مش عبيط. بس عارفة المشكلة في إيه؟ إنك مش عاوزة تسيبي نفسك. مش عاوزاني أعرف أدخل جوه دماغك. لازم يا نور تسيبيني. صدقيني، مش هتندمي. السور اللي انتي حاطاه ده لازم يتهد. عمال ألف حواليه عشان أدخل، مش عارف. أنا عمري ما همشي، وهفضل ألف لحد ما يتهد. فماتضيعيش وقت أكتر من كده، عشان في الآخر برضه هدخل. لازم تثقي فيا. لازم تتكلمي معايا، وإلا انتي كده بتدمري أي حاجة ممكن تحصل. ليه تدمري حاجة تحفة؟» ظلت صامتة. رأيت تأثير كلامي على وجهها واضحًا لكن دون أي رد. ترقرقت دمعتان في عينيها.

«بلاش يا عمرو. أرجوك بلاش» تنهدت بصوت عالٍ.

«ليه يا نور؟ ليه منجربش؟»

«عشان مش هستحمل وجع قلب تاني!» صاحت فجأة، وبدأت تبكي. احتضنتها وتركتها لدموعها.

رفعت رأسها كأنها انتبهت فجأة للوضع الذي نحن عليه. ابتسمتُ لها لأشجعها على إطلاق العنان. ترددت قليلاً ثم أراحت رأسها ثانيةً على صدري. هدأت قليلاً وتوقفت عن البكاء.

«ريحتك حلوة قوي» همستُ في أذنها.

«فيه حاجة نفسي أقولهالك من ساعة ما شفتك» رفعت رأسها ثانيةً ناظرة إليّ في جدية.

«إيه؟» سألتها في فضول.

«يخرب بيت جمال أمك!» قالتها ثم انفجرت ضاحكة.

«بلدي قوي يا نور» أجبتها في اشمئزاز مصطنع وشاركتها الضحك.

«شايف قلبي ده يا عمرو؟» استطردت في جدية مشيرة بقبضة يدها، «اتعمل فيه كل اللي تتخيله. اتداس عليه مليون مرة. أنا بعمل المستحيل دلوقتي عشان أحافظ عليه وأحرسه. عارف لو سبتك تدخل ودست عليه انت كمان ده معناه إيه؟»

«معناه إيه؟» سألتها في حذر.

«إنه مش هيقوم تاني. خلاص هتبقى الضربة القاضية. اوعى تعمل فيا كده يا عمرو» أمسكتُ بقبضة يدها وقبلتها ثم وضعتها على قلبي.

«طول ما قلبي ده بيدق.. مفيش حاجة في الدنيا هتقدر تجرحك».

بعد تلك الليلة، أصبحت نور بين يديّ، وأصبحت بين يديها. لطالما تمنيت أن يطمئن قلبها لذلك لكنها لا تنفك تشعر بالغيرة من أي امرأة أتحدث إليها. لديها هاجس بأننا سنفترق في يوم من الأيام. ربما السبب هو قلة ثقتها بنفسها لأنها تشعر بأنني أستحق من هي أفضل منها، أو ربما لأنها اعتادت على الجراح فلا تتخيل أنها قد تمر بعلاقة ناجحة. أتذكرأول شجار دار بيننا لسبب تافه للغاية. هكذا هي شجاراتنا دائمًا؛ تافهة.

«عمرو. انت عاوز تكمل؟»

«إيه العلاقة يا نور؟ هو انتي لما تتخانقي مع حد بتسيبيه تاني يوم؟»

عرفت بعدها أن شعورها بعدم الأمان لا يمكن القضاء عليه بخطبة واحدة أو بليلة واحدة، بل يحتاج إلى سنوات من العلاج. إلى الآن لم أجد حلاً له. الليلة قد أقضي عليه بشكل تام لو سارت الأمور كما أريد. ها هي نور أمامي في انتظار الخطوة القادمة. ترقص في آلية مستسلمة لمساوئ هذه الليلة.

«عاوزة تروحي تدوري عليها معاهم؟»

«لأ. عاوزة أبقى معاك» قالت بسرعة كأنها تعد الإجابة مسبقًا.

«طب استني لحظة» ذهبتُ لأبحث عن إيناس.

«سايبني ورايح فين يا عمرو؟!» صاحت في إحباط.

«ثواني يا نور. ثواني وراجع».

وجدت إيناس عند الباب الحديدي للفيلا. طرقت بيدي على كتفها فاستدارت في انفعال.

«خضتني يا عمرو».

«بقولك. هي التورتة فين؟»

«عاوز التورتة دلوقتي ليه؟» سألتني في استنكار.

«هكون عاوزها ليه يا إيناس؟ أكيد عشان نور».

«طب مش هتستنى أمّا يرجعوا؟ مش نطمن على مي الأول!»

«نور ابتدت تقريف. متنسيش إننا عملنا كل ده عشانها. مش هنيجي في الآخر نبوظه».

«انت معندكش دم يا عمرو؟ قاعد بتهيص وعاوز تحتفل في الظروف دي؟»

«وهي نور مالها؟!» صحت بها في غضب، «هي جاية عشان تنكد على نفسها؟ مالكيش دعوة انتي. قوليلي التورتة فين وأنا هروح أجيبها».

«هتلاقيها في التلاجة. هتكون فين» قالت في ضيق.

«آه. بالمناسبة. أنا هقولّها».

«دلوقتي؟» سألتني في دهشة ممزوجة باللهفة.

«آه دلوقتي» تركتها وتوجهت للمطبخ.

«استنى يا عمرو» صاحت خلفي في انفعال.

* * *

فادي

بدأت رحلة البحث. لم أرَ يومًا فريق بحث مكون من فردين لكن الظروف تحتم علينا هذا. لا يبدو جوزيف متحمسًا كثيرًا، ولا أنا. لماذا قد يتحمس أحد لهذه المهمة السخيفة؟ لم يمنع هذا شعورنا بالقلق. اختفاء مي في هذه الظروف وهذه الحالة لا يبشر بخير على الإطلاق. حاولت التحدث قليلاً لتخفيف حدة الموقف.

«تفتكر هنلاقيها؟» سؤال أحمق بالطبع.

«لو بتسألني عن رأيي الشخصي، أشك. لولا إيناس ماكنتش نزلت أصلاً» أجابني في ملل.

«واضح إن إيناس تهمك قوي» قلت في شك، ورميته بنظرة جانبية.

«بتحب تفرك كتير يا فيلو».

التزمنا الصمت ثانيةً. قلة الحوار أفضل بكثير. لا نحب بعضنا ويستحيل أن نهون الأمر على نفسينا. لو علمت مي أنني من سيبذل نصف المجهود في البحث عنها ليلاً ما عاملتني بتلك الطريقة طوال اليوم. لم تكف عن محاولاتها اليائسة لجذب الانتباه والتدلل على الرجال كأنها فتاة مراهقة اكتشفت أنوثتها ليلة أمس. لعبتُ دور الأب المسئول

الذي يحاول كبح جماح ابنته العابثة. لا أعرف لماذا شعرتُ بالغضب عندما رأيت جوزيف يتحسس جسدها على سبيل المزاح بينما هي تضحك من السعادة، أو ربما من الشهوة.

«جوزك بيسأل عليكي يا مي» حاولت لفت انتباهها لسخافة ما تقوم به.

«انت مال أمك يا فيلو! دانت فصيل» تدخل عمرو، بينما رمتني هي بنظرة خاوية.

تجاهلها لكلامي استفزني. حاولت أن أتجنبها قدر الإمكان بعد ذلك لكن استمرار مسلسل المراهقة يضغط على أعصابي. شعوري بالمسئولية تجاهها أغضبني لأقصى الحدود. لماذا شعرتْ أنها تحتاج للتصرف بهذه الخلاعة؟ ألا تحصل على ما تحتاج إليه من زوجها؟ أهذا مبرر لما قامت به؟ لا أدري. لست في مكانها لأحكم. لست ملاكًا لكنني أتجنب قدر الإمكان إيذاء أحد بتصرفاتي. دفعتني طبيعتي العنيدة إلى المحاولة معها مرة أخرى على انفراد، بعيدًا عن تأثير الآخرين.

«انتي مش محتاجة تعملي كده يا مي. خليكي على طبيعتك» قلت لها في حكمة أُحسد عليها.

«مين قالك إني مش على طبيعتي؟ أنا كده مبسوطة» أجابتني في لهجة لا تُقنع أحدًا.

«انتي ست متجوزة يا مي، وعندك بنات. الناس دي صايعة وبايعة القضية. مش لازم تتصرفي زيهم. انبسطي على قد مبادئك وطبيعتك ما تسمح. مش لازم تجيبي آخر الموضوع. انتي مش قد الكلام ده».

«خليك في حالك. هو انت خلفتني ونسيتني؟!» احتدت لهجتها. غالبًا لأنها أرادت إخراسي تمامًا. بداخلها شعور بالذنب لا يريد أن يخرج، ولذلك تصرفت بوقاحة مبالغ فيها كي لا تعطي مجالاً لإيقاظ ضميرها النائم.

لم تتجاهل كلامي فحسب، بل إنها حاولت أن تتدلل عليّ بعدها. ربما نزعة بداخلها أرادت أن توقعني لتثبت لنفسها أن ما تقوم به أمر طبيعي. لم ألتفت إليها وتعاملت معها كما نتعامل مع الأطفال. والآن، كأي أب مسئول أبحث عنها في الشوارع المظلمة في أواخر الليل. تبًّا لهذا الزمن! جوزيف يجاهد للتصرف بشكل طبيعي. يبدو آثار التعاطي عليه. اختلطت بهذه الأنواع أكثر مما ينبغي لأميز هذه العلامات بسهولة. تعاطى جرعة قوية. هذه مشكلتي مع جوزيف، تصحيح بسيط، هذه مشكلتي مع كل الرجال؛ يشعرون أن من حقهم القيام بأي شيء وفي أي وقت دون التفكير في العواقب. أعلم كم تبدو لهجتي نسائية الآن؛ لكنها الحقيقة. أنا رجل. رجل يكره أنانية الرجال. لماذا لا نلوم جوزيف على ما حدث؟

أعترف أنني منحاز قليلاً. تعود القصة إلى أيام دراستي الثانوية. كنت أحب والدي بشدة. ربما لم أحب أحدًا مثلما أحببته. عندما أعلن عن سفره لقضاء بعض الأعمال في أسبانيا، قررت أن أسافر أنا أيضًا مع أصدقائي. لم أعر والدتي اهتمامًا فاضطرّتْ إلى المبيت عند جدتي. بعد سفري بيوم واحد أتاني عرض لإحياء حفل في «سبايس» بشرم الشيخ. عدتُ إلى بيتي بالقاهرة ليلاً لإحضار معداتي. سمعتُ صوتًا من غرفة والديّ. دخلتُ لأجد.. والدي غارقًا في دمائه يلفظ أنفاسه الأخيرة.. بكيتُ بجواره إلى أن فارق الحياة. قصة درامية حزينة، أليس كذلك؟ إنها

أفضل بكثير من القصة الحقيقية. دخلتُ لأجد والدي.. كيف أقولها؟ لن أقول يعاشر امرأة أخرى، لأنه تعبير ضعيف ولا يعبر عما رأيت بشكل عادل. رأيت والدي يفجر امرأة أخرى في الفراش! ربما اتفقا على كلمة سر لتجبره على التوقف من فرط العنف. اكتشفتُ أربعة أشياء مهمة تلك الليلة؛ أولها، وهو الأكثر بديهية، أن والدي لم يغادر القاهرة أبدًا، الثاني، أن والدي عنيف جدًّا في الفراش، وهو اكتشاف لم أرغب في التوصل إليه، الثالث، أن الرجال خائنون بطبعهم، الرابع والأخير، أنني في حياتي كلها أفضل الموت على أن أؤذي من حولي بسلوك غير مسئول بهذا الشكل. لم يمنعني ذلك من إحياء الحفل في شرم الشيخ بأي حال من الأحوال. أغرقني والدي بالنقود بعدها لشراء أحدث المعدات؛ رشوة! هل قبلتها؟ بالطبع. ما علاقة هذا بأي شيء؟ جوزيف لا يختلف عن أبي، أو عن أي رجل آخر. على العكس، سيقنع نفسه ومن حوله أنه ضحية لإغواء امرأة. على الجانب الآخر، مي مسئولة عما حدث مثله تمامًا. لا أريد أن أظلم أحدًا. ربما ضعفها يدفعني إلى الوقوف في صفها بهذه الطريقة. السؤال الأهم، هل لازالت مي على قيد الحياة؟ لأنه إن لم تكن فلا داعي لتوجيه أصابع الاتهام لأحد، وتظل القضية ضد مجهول. لا أظننا سنصل لشيء. الشوارع مظلمة ولا أثر لها.

«شكلنا كده مش هنلاقيها» قلت في إحباط.

«أدينا بندور. مش هنرجع من غيرها» أجابني في برود.

«يعني إيه؟ ساحر انت؟» سألته في عصبية.

«انت صوتك عالي ليه؟»

«أنا صوتي عادي. شوف انت إيه اللي معلّي دماغك».

«أكيد الدماغ راحت. مش هرجع غير ومعايا مي. حتى لو معانا جثتها. إيناس مش هتسكت غير كده» كانت ملامحه توحي بالجدية.

«خلاص مش فارق معاك عايشة ولا ميتة؟» سألته في استنكار.

«يابني انت عبيط؟ اللي يسمعك كده يقول انك جماعة تكفير وهجرة. أمال لو مكانتش أمك فرنساوية وأبوك بتاع نسوان؟ وانت أساسًا بتساعد الناس على العربدة!»

«انت وإيناس بتقعدوا مع بعض كتير. مش كده؟» من غيرها سيخبره بهذه التفاصيل؟

«الناس كلها عارفة قصصك يا فيلو. انت مشهور. ماتعملهمش عليا بقى. هي ليلة هتعدي وخلاص. وعشان خاطرك يا سيدي مي ملهاش عندي بعد كده غير الجزمة. مش عاوز رغي كتير».

عدنا للصمت. لم يفحمني؛ لكنني لن أبذل مجهودًا زائدًا في إقناعه بشيء. لماذا يقارن ما أفعل بما فعل هو؟ التساهل مع امرأة متزوجة تحتاج لرعاية، لا يشبه أبدًا العبث مع امرأة أتت بكامل رغبتها إلى حفل راقص، وراودتني عن نفسي. أتحرى الدقة قبل التورط مع أي امرأة. لا أدع تصرفاتي تؤذي أحدًا. أعلم أن امرأة في نادٍ ليلي لن تخبرني أبدًا أنها مرتبطة أو متزوجة؛ لكن على الأقل أحاول مراعاة ضميري، على الأقل أهتم بمشاعر غيري.

«كمين» قال جوزيف فجاة.

«معاك رخصة؟» سألته في قلق.

«آه طبعًا معايا رخصة، ومش شارب خالص، ولا ضارب حاجة،

ولا العربية دي فيها أي ممنوعات. أنا بعمل حساب الحاجات دي على طول» استمر في بروده لدرجة أنني لم أعد أميز مزاحه من جده.

«طب قول للظابط الكلام ده. مش هيشك فينا خالص» لن أتوتر. نظريًا، أنا سليم.

«أكيد ماحبكتش يوقفنا. مش هيوقفنا» تمتم جوزيف.

«في الليلة دي، أوعدك.. لازم يوقفنا».

بالفعل أشار لنا الضابط لنقف على جانب الطريق لتفتيشنا. بدأ جوزيف يهدئ السرعة. لأول مرة ظهر عليه القلق وبدأ يتعرق. أخذ يدق بأصابعه على عجلة القيادة. نظرتُ إليه في شك.

«مالك يا جوزيف؟»

«ماليش. هنقف. أنا رحت في داهية» قال في خوف.

«خليك طبيعي بس واضرب اللبان ده وكله هيبقى تمام» ناولته علبة لبان ليغيّر من رائحة فمه.

«لأ مش على كده وبس يا فيلو».

«إيه يا جوزيف؟! فيه إيه؟!» انتقل التوتر الشديد إليّ.

«لو اتكلموا معايا بس هروح ورا الشمس».

«ليه يا عم؟!»

«عليا قضية يا فيلو! عليا قضية!» صاح في عصبية شديدة.

* * *

خلود

أين مي؟ سؤال هام جدًا بالنسبة لهم، ولا يعني شيئًا بالنسبة لي. لا يمكنني قول الشيء نفسه بالنسبة لحسام. يبدو عليه القلق. هل يهتم لأمرها لهذه الدرجة؟ كما قلتُ من قبل فإنه يلعب في الوقت الضائع. لو أظهر أدنى اهتمام بها ستكون نهايته. لماذا؟ الإجابة بسيطة. قطع وعدًا على نفسه ألا يتحدث إليها ثانيةً أو يهتم بها. السبب هو شجار عنيف بيننا لأنني اكتشفت محادثاته الساخنة معها. تحاول مي دائمًا لفت الأنظار وحسام هو إحدى ضحاياها. لست من النوع الذي يغار إلى حدٍ كبير أو يشعر بالخطر؛ لكنني لا أتقبل معاملتي كالمغفلة. لا أتقبل أبدًا أن يعاكس الفتيات، ويبادلهن المحادثات الساخنة التافهة، ظانًا أنني ساذجة. لا أتخيل كيف يقع فريسة لمحاولاتها الواهنة في فرض أنوثتها المنعدمة على من حولها. لا يوجد سوى تفسير واحد؛ أن حسام مراهق. أنا ناضجة، ولا أسمح بذلك. كانت هذه السقطة الأولى. تفقدت رسائلهما على الهاتف لأجد محادثات قذرة لا يقوم بها سوى مراهق. كيف وصلتُ إلى المحادثات؟ هو من أعطاني هاتفه دون إغلاق المحادثة. أرأيتم من هو أغبى من ذلك؟ يرتكب الجريمة ولا يجد الوقت أو احترام الذات لإخفائها. شعرت بإهانة شديدة.

«إيه ده يا حسام؟»

«إيه يا خوخة؟» سأل في سذاجة.

«انت بتتكلم مع مي؟» بدا التوتر على وجهه وخطف الهاتف منّي.

«آه. كانت بتسألني على حاجة».

«آه مانا شفت. بتاخد رأيك في الملابس الداخلية بتاعتها. مش كده؟!»

«إيه الكلام ده يا خلود!» زاد ارتباكه، وبدأ يلتقط أنفاسه بصعوبة.

«يا أخي طب لو انت مهزأ، احترمني أنا. يا مهزأ».

«يا خلود هي اللي بدأت بالكلام ده. كنت أقولها إيه؟ أحرجها يعني؟»

«لأ فعلاً. مش المفروض تحرجها. طب لو جت نطت في حضنك ولا قلعتلك هدومها، مش هتحرجها برضه؟ عُذر أقبح من ذنب. الله يقرفك!»

سأكون صريحة إلى أقصى الحدود. هي من تمادت في ذلك الحوار القذر؛ لكن أيبرر هذا انصياعه لها؟ مستحيل! أتى ليلتها وظل واقفًا تحت بيتي إلى الصباح. نزلتُ إلى عملي دون أن أقف للتحدث إليه. استمر بياته تحت بيتي أسبوعًا كاملاً. راح يبكي لإيناس محاولاً كسب تعاطفها، وهو أمر ينجح فيه دائمًا. تأخذ إيناس صفه وتحاول التوفيق بيننا لنفس السبب دائمًا.

«يا بت ده بيموت فيكي».

«طبعًا. أنا برضه اللي غلطانة. أنا اللي رحت ألعب بديلي».

«معاكي حق. بس هو مستعد يعمل أي حاجة عشان يرجعلك. مش

هتلاقي حد يحبك أو ياخد باله منك زيه».

كيف حاول استعطافي بعدها؟ مشهد سينمائي لا يأتي على بال أحد سواه. ذهب ليقفز من فوق كوبري أكتوبر إلى نهر النيل. لا أتحدث عن أحد ممثلي أفلام الحركة، بل عن حسام. لا أفهم كيف تأتي هذه الفكرة لإنسان عاقل. لكننا لا نتحدث عن إنسان، فما بالكم بعاقل! شخص يخون ثقة حبيبته.. إذن فالحل الأمثل هو.. القفز من فوق الكوبري! هكذا يعمل عقله. هذا هو تفكيره التحليلي! هذا ما توصل إليه بذكائه الحاد. كنت ليلتها مع إيناس التي راحت تضحك كالمجنونة.

«ابن المجنونة!» صاحت إيناس وهي تتفقد هاتفها المحمول.

«في إيه؟»

«بصي الصورة اللي حسام حاططها» أرتني صورته وهو يقوم بقفزة الثقة. لم أصدق التفاهة! من وقف ليلتقط له الصورة؟ ما هذه التمثيلية؟!

«لأ برافو. الحمد لله إني سبته».

«يا عبيطة ده بيعمل كده عشان يكسب رضاكي!»

«إيه العلاقة؟!» هتفت بها في استنكار.

في تلك اللحظة دخل علينا حسام إلى المقهى الذي نجلس به. بالتأكيد إيناس أخبرته بمكاننا. سار في هدوء ليكمل المشهد الدرامي الرخيص بملابسه المبتلة. نظرتُ إليه في اشمئزاز. انتظر مني حتمًا أن أعانقه فرحًا ببطلي المغوار. كيف يتخيل أن تستمر علاقة جادة بهذه الطريقة الطفولية؟ اندهش كثيرًا لبرودي معه. «انت متخيل إنك أمّا تعمل كده هسامحك؟ تبقى فعلاً غبي!»

«حرام عليكي يا خلود! أنا بحبك».

«مش الأسهل إنك تستخدم مخك الأول؟! تفكر تعمل إيه مايزعلنيش، بدل ما تعمل التصرف الزبالة، وبعديها تعمل تصرف أغبى عشان تحاول تصالحني؟ استفدت أنا إيه لما نطيت من الكوبري؟ ده يمسح اللي عملته؟ يعني بعد كده تخوني مع واحدة وتروح تنط من برج القاهرة؟ انت ازاي متخيل إني ممكن أكمل معاك بالمنظر ده؟ لو افترضنا إننا كملنا واتجوزنا وعملت عملة سودا! هتتصرف ازاي ساعتها؟ هتحط نفسك قدام قطر؟ ما تفكر بمخك يا أخي!»

غفرت له بعدها؛ لكن لم تنته نزواته التافهة عند هذه الواقعة. جاءت المرة الثانية عندما حاول معاكسة إحدى صديقات فيلو. كان يُفترض أن يتصل بها ليضبط موعدًا بينها وبين جوزيف. اختلفت نواياه في الطريق. لو قضينا الزمن كله لنحاول فهم ما حدث، لن ننجح. تفوق على نفسه في الغباء هذه المرة. أرسل المحادثة بينهما إلى هاتفي المحمول. عندما واجهته لم أقابل غير الدموع والحجج الواهية كالمعتاد.

«لو كان قصدي حاجة بالرسايل دي كنت هبعتهالك يا خلود؟»

«انت مستوعب اللي بتقوله؟ أفهم من كده إنك لو جبتها ونمت معاها قدامي تبقى في السليم؟!»

«مش قصدي. قصدي إني كنت بعمل كده عشان جو. كنت بظبطهاله».

«بتظبطهاله؟ هو ده سلو بلدكم؟ قبل ما تظبط البنت لصاحبك بتعديها عليك الأول؟ بتاخد منها حتة؟ بتدي عليها التمام؟! قلتلك قبل

كده إنك مهزأ؟ مش مهزأ وبس، لأ ووسخ كمان!» صفعته على وجهه وتركته لذهوله.

عندها تجدد أمل أصدقائي في أنني سأقطع علاقتي به، خاصةً أنني أعلنت لهم مرارًا وتكرارًا أنه يستحيل أن أعود إليه. أين أنا الآن؟ لازلت معه. أرقص في أحضانه. أهو مكتوب عليّ فعلاً؟ لا أدري. حملني بين ذراعيه لمحاولة التودد إليّ. وبدأ يقبلني. لن أتظاهر برفضي للقبلة. إنه التوقيت المناسب. لماذا نضيع الليلة هباءً؟ استمر في تقبيلي بنهم فتركته يفرغ ما بداخله من طاقة. عاد بي إلى الغرفة لأجل بعض الخصوصية. أسمع أنفاسه وأشعر بها تلفح وجهي. هل الجو حار أم أنه تأثير هجومه العنتري؟ لا يفصل بيني وبينه سوى ثوب السباحة. بهذا الإيقاع سيصل إلى أكثر من مبتغاه في أقل من دقيقة. بدأت تمتد يده إلى حيث لا ينبغي.

«بالراحة شوية عشان هتفعصني».

«بالراحة ازاي يعني!» صاح كالسكير. ليس في وعيه حتمًا. إنه في تلك المرحلة من الرغبة التي يتفوه بها الشخص بما لا يدركه.

«لأ ولا حاجة. ربنا معاك» كما توقعت. انهارت كل حواسه خلال ثوانٍ، وبات عليّ الآن القفز في حمام السباحة للتخلص من آثاره عليّ. استمر يلهث بجواري متفوهًا بعبارات الحب الطفولية.

تركته يستعيد قوته وتوجهت إلى حمام السباحة. قفزت لأطفئ النار وأغسل العار. النار، والعار. كم هذا مضحك. سيطرت عليّ نوبة هستيرية من الضحك. أين ذهب الجميع؟ لا أرى أحدًا. أشعر بالجوع. ثانيةً! خرجت من المياه لأشعر بالهواء المثلج يغمر جسدي كله. غطيتُ نفسي بالمنشفة وبدأت أتناول الطعام.

بعد ثوانٍ انضم لي حسام. عندي فضول لأعرف هل يشعر بالخجل أم أنه يرى ما حدث عاديًا. ابتسم لي في بلاهة. يراه عاديًا إذن! ضمني إليه فوقف الطعام في حلقي. سعلتُ فضربني على ظهري بقوة محاولاً إعادتي للحياة. بهذه القوة سيسلبني حياتي!

«حسام! انت هتموتني!»

«سوري يا خوخة» قال في رقة لا تليق به، وقبّل خدي.

«شفتي يا خوخة. اللي ياكل لوحده يزور» هتفت نور ضاحكة، «تعالوا كلوا معانا التورتة».

رأيت إيناس تحتضن عمرو بقوة، ثم تحتضن نور. بدأنا نتناول كعكة عيد الميلاد.

«مش هنستنى جو؟» سأل حسام.

«الملكة بتاعتي متستناش حد» أجاب عمرو مبتسمًا. الملكة؟

«ميرسي يا جوزي يا حبيبي» قبلته نور والطعام يملأ فمها في مشهد مثير للاشمئزاز.

«جوزك مين؟» سأل حسام ثانيةً.

«عمرو. عمرو خلاص هيبقى جوزي» أكدت نور ثانيةً، وضحكت إيناس في سعادة غامرة.

«ألف مبروك يا حبيبتي» احتضنتها إيناس ثانيةً.

«أمال فين الخاتم؟» استمر حسام في استجوابها.

«إيه يا حضرة الظابط!» صحتُ به في نفاد صبر، «ما تسيبها تتكلم».

«لسه ماتخطبناش. هو بس طلب مني نتجوز. وأنا قلت آه».

«قالت آه» ردّدت خلفها في سخرية، «سلامتك من الآه يا نور».

«فيه حاجة يا خوخة؟» رماني عمرو بثمرة فاكهة فاصطدمت برأسي.

«آه» أجبته ثم انفجرنا ضاحكين.

«متجمعين عند النبي!» هتف أحدهم. نظرنا خلفنا لنجد جو!

«جو!» صاحت إيناس في لهفة وقامت تحتضنه.

«مي فين؟!» سأله حسام في دهشة.

«عندي خبر وحش قوي يا جماعة. مي.. مي ماتت» قال جو في أسى متحاشيًا النظر إلينا.

* * *

مي

أشعر بالقلق. عدتُ لوعيي تمامًا واكتشفت خطورة الموقف. أنا بمفردي. لا أعرف طريق العودة. ما الحل الآن؟ جلستُ على الرصيف. لماذا رحلتُ وتركتهم؟ كان الحفل يسير بشكل جيد. كنت أستمتع به إلى حد كبير، ربما لدرجة أن شعرت بالذنب. كل لحظة مرت عليّ تذكرتُ بناتي اللاتي تركتهن مع والدهن، وتذكرت زوجي الذي كذبتُ عليه. لماذا شعرتُ دائمًا بأنني أرتكب خطأ ما؟ ربما لأنه بداخلي أشتهي رجلاً آخر؟ لكنها مجرد مشاعر دفينة، ولم أتحرك لأشبع أيًا منها. بجانب أن زوجي نفسه قد خانني من قبل. نعم! اكتشفت خيانته لي منذ أشهر قليلة، ورغم ذلك سامحته. زوجي الذي بذل مجهودًا خرافيًا لينال رضاي عندما كنا في الجامعة. كنت أكثر حيوية وجمالاً وقتها. لم يكن الزمن قد تمكن مني، لم أكن قد ذبلت هكذا. طاردني الفتية من كل الأشكال، ولم أترك لأحد المجال لأن يقترب. كما يقولون، أنا من عائلة محافظة وأهتم كثيرًا بإبقاء نفسي بعيدًا عن الشبهات. لم ألعب دور الفتاة الصعبة بقدر ما أردت تجنب الوقوع في فخ العلاقات المحرمة. حذرتني والدتي من شباب الجامعة وإيقاعهم بالفتيات. كل صديقاتي تقريبًا وقعن في هذا الفخ، ولذلك قدّست نصيحة أمي جيدًا. معاملتي الجافة لكل المتربصين

بي أبعدت الذئاب المفترسة، وتبقى القليلون؛ على رأسهم خالد. بعد ارتباطي به أصبحنا الثنائي الذهبي للجامعة. تزوجتُ به بعد تخرجي مباشرةً. لم أعرف أحدًا قبله، ولم أعرف أحدًا بعد ارتباطنا ولو على سبيل الصداقة. يغار عليّ كثيرًا واحترمت ذلك، بجانب أنني أصلاً لا أصادق الرجال اتباعًا لتعليمات الوالدة. سارت العلاقة بشكل مثالي.. مثالي جدًّا.. إلى حد الملل. أعرف كم أبدو أنانية. زوج مثالي وحياة مثالية فلماذا أشعر بالملل؟ الملل في الحياة الزوجية هو أمر حتمي. إنها الحقيقة التي يتحاشاها الجميع. بحثتُ عن طريقة لتجنب هذا الفخ دون جدوى. انشغلت كثيرًا بتربية بناتي، وانشغل خالد بالعمل فأضحى أمرًا طبيعيًا أن ننسى وجودنا في حياة بعضنا البعض. لا أتذكر آخر مرة احتضنني فيها أو مارس واجباته الزوجية معي. تخيلت في البداية أن ضغوط العمل تشغله عن اهتمامه بي، وأنه لا يجد الوقت للحب أو الرومانسية.

«حاولي تحركيه يا مي. مفيش راجل مابيحبش الدلع. ظبطيه كده وهو هيستجيب على طول» نصحتني إيناس.

«ازاي يعني؟» سألتها في سذاجة.

«أنا هعلمك ازاي تظبطي جوزك؟ أمال خلفتي كل العيال دي ازاي؟»

«يا قليلة الأدب!» احمر وجهي فضحكتْ في خبث.

كانت محقة، كالمعتاد، واستجاب لي خالد مع الوقت؛ لكن شعرت كثيرًا بأن عقله غائب عما نقوم به. شعرت أنه معي جسدًا دون مشاعر. لا أعلم لماذا شعرت أنه معي، لكن ذهنه يتخيل امرأة أخرى. أعترف بقلة خبرتي في هذه الأمور، لكن يصعب ألا تشعر امرأة بتغير زوجها معها،

خصوصًا في الفراش. عندها بدأت أشك به. كبر الأمر بداخلي وبدأت أتعقب خيوطه. عندما صارحت إيناس استخفت بي قليلاً.

«واضح إن الزهق مسيطر عليكي. عاوزة أي أكشن في حياتك وخلاص».

«لا يا إيناس. خالد متغير معايا قوي. أنا حاسة إنه بيخونّي».

وهتعملي إيه؟ هتمشي وراه؟ ولا هتقعدي تفتشي جيوبه وتشمي هدومه والحاجات دي؟» استمرتْ بالضحك.

«أنا بتكلم بجد! لو يعرف واحدة أكيد بيقابلها وبيكلمها. يعني هيبقى محتاج يخرج، ويكلمها في التليفون. هو فعلاً بيتأخر برّه كتير. بس مش هعرف أمشي وراه. مش قدامي إلا إني أتجسس على مكالماته. ماتعرفيش حد يساعدني في الموضوع ده؟»

«القعدة في البيت، والفرجة الكتير على التليفزيون لحست مخك. عمومًا أنا أعرف حد شغال في البوليس. هسأله لو يعرف يتصرف. بس انتي متأكدة إنك عاوزة كده؟» سألتني محذرة.

«آه طبعًا».

بالفعل وفت إيناس بوعدها. تعرف كيف تتصرف دائمًا. أتت لي بسجل مكالماته لمدة شهر. لم تكن المهمة سهلة أبدًا. وضعت كل المحادثات على جهاز «الآي بود» واستمعت طوال اليوم إليها كأنها أغاني. في النادي، في الشارع، في البيت، وفي كل مكان لم تفارق السماعة أذنيّ. مكالمات مملة جدًّا، لكنها مليئة بالمعلومات. ما حذرتني منه إيناس قد حدث. هناك أشياء لا حصر لها يخفيها الزوج عن زوجته. خرافة الشفافية بين الزوجين

هي كذلك بالضبط؛ خرافة. أسرار كثيرة لم أعرفها عنه اكتشفتها من مكالماته. صدق من قال أن نحذر مما نريد، لأنه إن حصلنا عليه فقد نندم. ها أنا قد حصلت على كتاب حياة زوجي، وعرفت عنه كل شيء. سألت نفسي إن كنت حقًا أود الاستمرار، أو إن أردت فعلاً معرفة الحقيقة. أكملت ما بدأت وأنا أقنع نفسي طوال الوقت أنني لن أصل لشيء. سيطر الخوف عليّ إلى حد كبير. في النهاية وصلت إلى مبتغاي. مبتغاي؟ هل أردت حقًا أن أصل إليه؟ بالطبع لا تمنيت لو لم أجد شيئًا. في الواقع لم أصل لمبتغاي، بل اصطدمت بالواقع الأليم. أيقنت وقتها بأن زوجي لا يفتقر للكلام المعسول أو الرومانسية، فلديه الكثير من الكلام الذي يذيب قلب أي امرأة. المشكلة أنه لا يوجهه لزوجته، بل لامرأة أخرى.

أكملت التسجيلات وأنا أبكي من الحرقة. عاد يومها من العمل متأخرًا كعادته ليجدني في انتظاره بغرفة المعيشة. السيناريو المعتاد الذي يدور عندما تكتشف الزوجة خيانة زوجها. شاهدته كثيرًا في المسلسلات لكن لم أتخيل أن أعيشه. لم يجد بدًا من الاعتراف بهذه النزوة الرخيصة. أنكر حدوث أي اتصال جسدي بينهما، رغم أن تأخره بالساعات في الخارج يثبت عكس ذلك. لم تُشر التسجيلات بالفعل لأي علاقة جسدية؛ لكن كيف أصدق بعد سماعي لعبارات الحب الساخنة هذه أنه لم يلمسها؟ كيف يتحدث بهذه اللهفة إن لم يكن قد ذاق جسدها من قبل؟ الأهم من ذلك، كيف أصدق أيًا مما يقول؟ كيف أثق به؟ أي علاقة بين فردين تعتمد على الثقة المتبادلة، بمجرد أن تنهار هذه الثقة يصبح التعامل صعبًا للغاية. لم يعد يستطيع التحدث معي أو سؤالي عما أفعل. لم يجد الجرأة ليمنعني من الخروج وقتما أشاء أو التصرف كما أبغي. هل أردت هذا؟ بالطبع لا لا زوجة تُحب أن ينكسر زوجها أمامها، وبالطبع

لا تُحب زوجة أن يخونها زوجها. ما حدث قد حدث، ولم أستطع التعافي منه. كثرت ساعات خروجي من المنزل. بالتأكيد لم أنس بناتي ومسئوليتي تجاههن؛ لكن لم أعد أقضي أي وقت معه. أقسم لي إنه قطع علاقته بها، لكن ثانيةً.. كيف أثق به؟

سيطر عليّ شعور غريب؛ أنه لم يعد له الحق في محاسبتي على أي شيء، وأنه يحق لي القيام بما أريد. يحق لي التصرف كيفما أشاء.. كيفما أشاء! حتى لو كان يعني ذلك معاشرة رجل آخر! كثرت خروجاتي مع إيناس، وبدأت تعرفني على أصدقائها. لأول مرة أصبح لي أصدقاء من الرجال. أحد هؤلاء الأصدقاء هو حسام. حسام رجل ضخم الجثة وعندما رأيت عضلاته القوية وطوله الفارع في حالتي النفسية تلك شعرت برغبة شرسة في إقامة علاقة معه. كيف لأحد أن يلومني؟ لم يقترب زوجي مني منذ فترة كبيرة، وفي النهاية أجده مع امرأة أخرى. بدأت أشبع رغبتي المريضة في التحدث معه، والتلذذ بإثارة شهوته بالكلام القذر، واستجاب إليّ إلى حد كبير. لم أجد الشجاعة لأفعل ما هو أكثر من ذلك، لكنني استمتعت بكل لحظة تحدثتُ معه فيها. بعد انكشاف أمرنا أصبحت خلود تكرهني إلى حد كبير. شعرتُ بعدها بأنني رخيصة للغاية. كيف ألوم المرأة التي ضاجعت زوجي، إن كنتُ أفعل الأمر نفسه مع امرأة أخرى؟! آذيت امرأة أخرى بتصرفاتي! لم أستطع تصحيح علاقتي بخلود، ولا أظنني سأنجح أبدًا. بعدها عدت لرشدي قليلاً متذكرة أنني طوال حياتي لم أرتكب أي ذنب لأندم عليه، ولا يصح بعد هذا العمر الطويل أن أبدأ. مع استمرار الوقت استعاد خالد رباطة جأشه ليسيطر على الأمور مرة أخرى. خرجتُ عن السيطرة وفي وجهة نظره أراد إعادة موازين القوى. لم يستطع فرض قوانينه القديمة بشكل تام، لكن على الأقل حرص على

متابعة تحركاتي. خفّت لديّ أيضًا الرغبة في الانتقام. هدأت نفسي شيئًا فشيئًا. لست ساقطة، وخيانة زوجي لي لا تبرر أن أرتكب الأمر نفسه. لم أتوقف عن العبث البريء لكن بشكل أكثر علنية، وبنية صافية إلى حد كبير. أردتُ فقط الشعور بأنني امرأة، وأنني مرغوبة. إن كان زوجي لا يرغب بي، فمن سيريدني؟ هذا العبث أعاد لي ثقتي بنفسي قليلاً؛ لكن ليس للدرجة التي أردتها.

لهذا شعرت بالذنب إلى حد كبير في حفل عيد الميلاد! مشاعري تجاه جو تخيفني. كلما رأيته أردت أن ألقي بنفسي في أحضانه، وليس بنية صافية. كلما لمسني شعرتُ بأنني أخون زوجي. لو أراد جو مضاجعتي لتركته يفعلها في الحال، وهذا أمر لا يجب أن أسمح بحدوثه. شعوري بالضعف معه سيطر عليّ وأثار ذعري. لهذا لم أتفاءل بذلك اليوم. لا أعرف كيف تماسكت ولم أحاول حتى تقبيله. في الواقع، لا أظنه يهتم بي بهذا الشكل. احتمالية أن أقيم علاقة مع عمرو أو حسام أكبر بكثير من أن يرغب جو بلمسي. لم أتفاءل خيرًا، لأنني بداخلي شعرت أنني أتمنى لو ارتكبت أي حماقة. عندما بدأتُ بشرب الخمر خفّت رأسي، وعادت إليّ الرغبة بارتكاب الذنب اللذيذ مع جو. نيتي الشريرة أثارت توتري. ظللت أتذكر بناتي طوال الوقت مما أشعرني بأنني حقيرة. كيف أخون زوجي؟ الشعور بالذنب أطبق على صدري.

«يا مي يا جامد!» صاح عمرو في مرح وأنا أرقص.

«جامد إيه بس! أنا حاسة اليوم ده مش هيعدي!» قلت في لهجة مرحة لأخفي توتري.

«لأ بقولك إيه. أنا عاوز قلبك يبقى جامد. تعالي أقولك» أشار لي

بإصبعه فاقتربت منه في قلق.

«قول».

«شايفة الحباية دي؟! هتجيب معاكي م الآخر» قال في تلذذ.

«يا نهار أسود؟ إيه ده يا عمرو؟ مخدرات؟» صحتُ في فزع.

«مخدرات؟ دانتي عايشة في زمن تاني» قال عمرو ضاحكًا.

«ما تسيبها يا عمرو. مش لازم تاخدي يا مي» تدخل فيلو مما أثار غضبي.

«يووووه يا فيلو! طب إيه رأيك إني هاخدها بقى» لم أرد أن أبدو كالطفلة. شعرت أنه لو رآني جو طفلة فلن يتخيلني أبدًا ما هو أكثر من ذلك. أردت أن يراني كامرأة ناضجة.. كما يرى إيناس.

«اتفلقي» قال فيلو في حنق وابتعد.

«هو ده الكلام يا مي! أهلاً بيكي وسط ولاد البايظة!» ضحك جو وعانقني.

«بس بقولك إيه. متضربيهاش كلها. خدي نص بس».

«اسمعي كلام دكتور عمرو» غمز لي جو مبتسمًا. شعرتُ بتسارع ضربات قلبي.

أعلم أنه لم ينبغي عليّ تناول القرص كاملاً، لكنني فعلت! بدأت أغيب عن الدنيا قليلاً. لم أعد أستوعب ما حولي. إحساس لم أعهده من قبل. زاد شعوري بالتوتر. ماذا لو رآني خالد هكذا؟ ماذا لو رأتني بناتي هكذا؟ بدأتُ أندم على قرار المجيء، اجتاحتني رغبة شديدة في البكاء.

كرهتُ ذلك الشعور. أخبرني عمرو أن هذا القرص سيُسعدني، وليس سيضايقني. فكرتُ أنه ربما أحتاج إلى قرص آخر. ذهبت إليه ثانيةً.

«عاوزة حباية تانية» قلتُ في توتر.

«ليه؟ ضيعتيها يا عبيطة؟» صاح مستنكرًا.

«آه. وقعت مني. هات واحدة تانية».

«ماشي. بس دي آخر واحدة أديهالك. الحاجات دي مش بجيبها من السوبر ماركت».

تناولت القرص الآخر. لا أتذكر ما حدث بعدها. أحاول اعتصار ذهني لأسترجع أي شيء دون فائدة. لماذا أجلس وحدي في العراء؟ تبًّا! الجو بارد! أتمنى ألا أكون قد ارتكبت أي حماقات. هل يفتقدوني؟ هل يفتقدني جو؟ هل يبحثون عني أم يكملون سهرتهم دون أن يلاحظوا غيابي؟ وجودي هنا يعني أنني لا أشكل لهم أي اهتمام، وإلا لماذا تركوني وحدي؟ كيف لم يأتِ أحد معي؟ إيناس تنام في حضن جو حتمًا ويضحكان معًا. عمرو يرقص مع نور. بالتأكيد هي سعيدة لاختفائي. خلود حتمًا تشعر بالراحة لغيابي. تبًّا! لماذا أتيت لهذا الحفل؟ لا أحد يحبني. هل أحاول إيقاف أي سيارة؟ إنها مخاطرة كبيرة. ربما عليّ السير في الاتجاه المعاكس. سيعني هذا عودتي للفيلا ثانيةً. ماذا يدريني أنني سرت في طريق مستقيم؟ يا لها من معضلة. قمت من على الرصيف ونظرت إلى السماء. فجأة شاهدت ضوءًا حولي. توقفت سيارة وجذبني أحدهم من ذراعي في قوة. يا إلهي! حدث ما كنت أخشاه. صرخت مستنجدة بأي شخص.

«مش عاوز ولا نفس» صاح وألقى بي في المقعد الخلفي للسيارة مغلقًا الباب في عنف.

«ازيك يا حلوة؟» هتف قائد السيارة وضحك منطلقًا بالسيارة.

ستشهد هذه الليلة نهايتي.

* * *

جوزيف

أفكار كثيرة تنهمر في رأسي كالسيل. لا أستطيع التركيز. هل سنجد مي؟ هل سأتخلص من سخافات فيلو؟ هل ستسامحني إيناس؟ هل سأتوقف عن تدمير نفسي؟ هل سأقتل عمرو؟ هل سأستطيع أن أحافظ على اتزاني ولا أدع السيارة تنقلب بنا على الطريق؟ أظنني سأدهس مي بسيارتي إن رأيتها. أيمكن أن يكف فيلو عن الكلام؟ أصوات كثيرة تتخبط في رأسي. والدي وهو يتوسل إليّ لأسافر معهم، إيناس وهي توبخني، عمرو وهو يضحك كالأحمق، حسام يصرخ كالمجنون، مي تبكي كالطفلة.. أصوات.. أصوات.. لا أستطيع إيقاف أي من هذه الأصوات؟ رأسي ستنفجر.

«انت صوتك عالي ليه؟» سألته في عصبية.

«أنا صوتي عادي. شوف انت إيه اللي معلي دماغك» المزيد من الحذلقة. لا يكف عن الكلام! بعد ساعات قليلة لن أحتاج لسماع صوته لفترة طويلة. في الواقع، أظنني سأتجنب الكثيرين بعد هذه الليلة. عمرو على رأس هذه القائمة! أحتاج إلى من ينتشلني من تحت الأنقاض، لا من يعرقلني. أحتاج إلى إيناس. فلتمر هذه الليلة وينتهي الأمر. سأبدأ من جديد. أعلم أنني وقعت في الفخ لكن سأقوم منه سريعًا.

يمكنني تصحيح الأمور. نعم. لن يوقفني شيء عن ذلك. ما هذا الذي أرى؟ كمين شرطة. أهذه طريقة القدر للسخرية منّي؟ سيوقفني الكمين؟

«أكيد محبكتش يوقفنا. مش هيوقفنا» بدأت أشعر بالتوتر. تبًّا! سأدفع ثمن أفعالي. «في الليلة دي، أوعدك.. لازم يوقفنا».

هذا البائس محق. علينا توقع الأسوأ هذه الليلة. ربما سنجد مي مقتولة هي الأخرى على جانب الطريق. الضابط يشير إلينا بالوقوف فعلاً. حسنًا! مراجعة سريعة للوضع الحالي. نظرت للمرآة؛ كيف أبدو؟ أبدو ضائعًا! هناك بعض أكياس البودرة أسفل المقعد، وزجاجات خمر في حقيبة السيارة. تركت أي تحقيق شخصية لي في الفيلا. ما احتمالية النجاة؟ صفر بالمائة. هل ذكرتُ أنني أنتظر النطق بالحكم في قضية تتعلق بالمخدرات أيضًا؟ كانت ليلة تشبه هذه بالضبط، في طريق عودتي من العين السخنة؛ اتصل بي أحد الأصدقاء.

«جووووو. انت فين يا معلم؟»

«راجع من السخنة. إيه الكلام؟»

«السهرة الليلة دي عندي».

«ما بلاش انهارده. أصلي تعبان من السفر».

«لأ مينفعش خالص. أنا عاوزك في مصلحة».

«قول كده بقى» ضحكتُ لصراحته.

«عاوزك تقابل واحد تاخد منه حاجة عشان مش هعرف أنزل

وأسيب الناس».

«حاجة إيه يعني؟» سألته في شك. استشعرت وجود أمر مريب.

«حاجة كده عشان السهرة تحلى».

أيقنت خطورة ما سيطلبه منّي. لا أعرف لماذا وافقت. كنت في طريق عودتي إلى البيت! لم أحتج إلى إيقاع نفسي في أي مشاكل. تمامًا مثل الليلة! لم أحتج لمغادرة الفيلا، لكن الظروف هي ما دفعتني لذلك. مررت على صديقه كما وعدته وأخذتُ منه الشحنة المطلوبة. بدأ شيطاني يحاورني ويحثني على استخدام بعضها لنفسي. كانت الكمية كبيرة وصار الأمر مغريًا. شعرتُ بالقلق، وتصرفت كأي متعافٍ من الإدمان؛ اتصلت بإيناس.

«أنا في مشكلة يا إيناس».

«مالك يا جو؟» سألتني في توتر. دائمًا ما تتوتر عندما أكلمها في توقيت متأخر.

«معايا كمية بودرة تكفي شهر. مش عاوز أضرب».

«ماتقلقش خالص يا جو. أنا معاك. البودرة دي فين؟» قالت في هدوء مفاجئ. تعلم أن عليها التماسك كي لا ينتقل توترها إليّ. كم هي رائعة!

«على الكرسي اللي جنبي» أجبتها في براءة.

«طيب اركن العربية على جنب» استجبت إليها. استمرت في إعطائي للإرشادات، «انزل. خد الكيس وحطه في شنطة العربية».

«حاضر» بدأت أنفذ تعليماتها.

«افتكر يا جو. انت مش محتاج تضرب. انت أقوى من كده. هتستفيد إيه أمّا تضرب؟»

«هنبسط وأعمل دماغ؟» أجبتها ضاحكًا.

«انت من جواك مش عاوز يا جو. بقالك أربع شهور معملتش كده. فاكر آخر مرة ضربت كنت عامل ازاي؟»

«أيوة» تذكرت حالتي المزرية، وشجاري مع والدتي. كان يومًا مأساويًا.

«فاكر قلت إيه يوميها؟ استمرت في التحدث إليّ لإلهائي. أحب الاستماع إلى صوتها. أحيانًا كثيرة أتصل بها متظاهرًا بالضعف كي أستمتع بصوتها وهي تحاول الاعتناء بي.

«آه فاكر. قلت مستحيل أسيب نفسي أوصل للمرحلة دي تاني» أجبتها في اقتناع.

«عاوزاك تدور العربية تاني. تروح على بيتك. وأنت في الطريق ارميها في أقرب زبالة. أنت جبتها منين صحيح؟»

«من واحد تبع سعد صاحبي».

«مش قلنا هنبعد عن سعد ده؟» عاتبتني في هدوء كما تفعل الأم مع ابنها الصغير المدلل.

«أيوة. دانا كنت هوديهاله بس وأمشي» أجبتها في براءة زائفة.

«ماكنتش هتسهر معاه يعني؟ ماشي يا جو. يلا روّح وأنا معاك».

«حاضر يا حبيبتي».

تحركت بالسيارة لأجد نفس المشهد؛ كمين شرطة. لا أعرف بالضبط لم أوقفني، لكنني أتذكر وجهه عندما رأى شحنة كبيرة من المسحوق الأبيض تنير سيارتي. تمنيتُ وقتها لو أن الاتصال بإيناس كافٍ لإخراجي من تلك المشكلة أيضًا، لكن تدليلي على الهاتف لم يكن ليخرجني من قبضة رجال الشرطة. استمرت محاولاتنا بعدها لإيجاد مخرج من هذه القضية. استعنت بأحد أصدقائي في مجال المحاماة، بجانب مساعدات من أصدقاء حسام. لم أعرف حسام وقتها لكن إيناس بذلت قصارى جهدها لمحاولة إخراجي من ذلك المأزق. نحن في المراحل الأخيرة حاليًا لإسقاط التهمة، ولن يفيدني أبدًا أي اتهام آخر أو شبهة أخرى. حذرتني إيناس بأن أبتعد عن الشبهات، لكنني لم أستمع إليها. ماذا سيحدث الآن؟ هل سيقبض الضابط عليّ؟ هل سيصادر السيارة؟ هل سيلقون بي في السجن؟ هل سيضيع مستقبلي؟ دمرت حياتي بيدي! أنا المسئول. أنا وضعت أكياس البودرة في سيارتها. ماذا الآن؟

«قضية إيه يا جو؟» سأل فيلو في قلق.

«مش وقته يا فيلو. أمّا نشوف المصيبة دي» أوقفتُ السيارة وتقدم الضابط ليتحدث إلينا.

دقات قلبي مسموعة. تنتابني رغبة في القيء. يقولون إن ترك الإدمان صعب دائمًا إن لم يكن يؤثر بشكل مباشر على حياتك. ماذا عن شخص تدمرت حياته بسبب الإدمان؟ فلنعُدّ الخسائر؛ هجرتني خطيبتي، خسرت وظيفتي، هاجر أهلي بدوني، تعرضت لمشاكل مع القانون. تغلبت على كل هذه الصعوبات وبدأت حياتي تعود لطبيعتها؛ لكن لا! كيف أترك الأمور مستقرة؟ يجب أن أقضي على نفسي! يجب أن أخسر

نفسي، وأخسر إيناس، وأخسر حياتي! الهروب سيزيد من الطين بلة! على الأقل قد يتركنا الضابط دون تفتيش؛ لكن إن هربت فستتفاقم الأمور.

«رايحين على فين؟» سأل الضابط في هدوء. فعلى كل حال لا نبدو متشردين ليشك بنا إلى حد كبير.

«فيه واحدة صاحبتنا خرجت بقالها شوية ومارجعتش. نزلنا ندور عليها» فكرت أن الحقيقة هي أفضل حل لسببين؛ الأول هو أنه قد يلهيه ذلك عن تفتيشنا، والآخر أنه ربما يساعدنا بالفعل.

«خرجت منين بالظبط؟» سألني في حيرة.

«من الفيلا. أصلنا عاملين عيد ميلاد صاحبتنا» إلى الآن تسير الأمور بشكل جيد. أتحدث إليه بهدوء، وبالفعل لم يطلب أن نبرز أوراقنا الشخصية.

«عيد ميلاد؟ هممم. طب ممكن توريني الرخص، وانت.. وريني بطاقتك» لماذا تسرعتُ بالقول إن الأمور تسير بشكل جيد؟ كم أنا سيء الحظ!

«تامر؟!» صاح فيلو فجأة.

«مين؟» قال الضابط في دهشة. اقترب بوجهه ليتفحص فيلو.

«أيوة انت تامر. هاهاها. يخرب عقلك» ضحك فيلو في ارتياح.

«فيلو؟ يابن الايه. إيه يا شقيق، عامل إيه؟!» ضحك الضابط، ونزل فيلو ليصافحه في حرارة.

«أنا تمام. وأنا بقول مبتجيش «الكلوب» ليه، أتاريك مشغول. عمال

توقف الناس وتعمل عليهم نمرة بقى؟!» ضربه فيلو في كتفه مازحًا.

«إيه رأيك؟ شفت الأداء؟ إيه اللي منزلك بالليل كده؟»

«كنا في عيد ميلاد واحدة صاحبتنا، بس بيني وبينك واحدة مننا اختفت».

«اختفت ازاي؟» سأله الضابط في حيرة.. تامر. أي ضابط يكون بهذا الاسم؟! إنه يصلح اسم لمصفف شعر.

«نزلت تجيب حاجة ومارجعتش، فبندور عليها».

«ماينفعش أسيب مكاني. بس ممكن أكلملك حد يدور عليها» يريد مساعدتنا؟ يا له من تقدم.

«لأ مش للدرجة دي. أكيد هنلاقيها على طول. لو احتجت حاجة هكلمك» صافحه فيلو وعاد للسيارة.

«ماشي يا حُبي» أشار تامر لنا بالمرور.

لا أصدق! هل انتهى الأمر بهذه السهولة؟ ضغطتُ دواسة البنزين في سرعة خاشيًا أن يتراجع الضابط عن قراره. التقطت أنفاسي بصعوبة من أثر المفاجأة. ظل فيلو صامتًا على غير العادة. لأول مرة شعرت أنه عليّ البدء بالحديث.

«تامر؟ فعلاً؟ تامر؟» انفجرت ضاحكًا بينما ابتسم فيلو في سخرية.

«كل الناس دي ملفاتها عندي. فيه شغلانات معينة كده بتخلي الناس عريانة قدامك، شغلانة الدي جيه بتشوف فيها اللي عاوز ومش عاوز تشوفه. كل الناس بتبقى مفضوحة. كل الناس غصب عنهم بيبقوا

أصحابك».

«ماشي يا عم العريان. عمومًا..»

«مش عاوزك تقول حاجة» قال مبتسمًا في سخرية.

«ياض يا لمض. لسانك ده عاوز يتقطع. بس هفوتهالك عشان أنقذت أمي انهارده».

«قضية إيه دي يا فيلو؟» سأل في سماجة.

«قضية إيه؟ أنا قلت قضية؟» لم يحاول سؤالي ثانيةً. استمرت رحلة البحث الفاشلة. فقدت الأمل فعليًا في أن نجد مي. الشوارع مظلمة ويستحيل أن نستنج نمطًا معينًا لخط سيرها. في مثل حالتها بالتأكيد سارت متخبطة. ربما التقطها أحد المجرمين وقضى عليها. كل الاحتمالات ممكنة. الهدوء قاتل في الشارع. ربما نحتاج للاستماع إلى بعض الموسيقى. أدرت المذياع بحثًا عن موسيقى هادئة. لم أجد شيئًا فبحثت في السيارة عن أي أسطوانة لتغيير المزاج. وضعت أول واحدة صادفتني.

«إيه اللي انت مشغله ده؟» سأل فيلو في اشمئزاز.

«معرفش. عمرو دياب تقريبًا».

«وبتقولها عادي كده؟»

«لو عندك حاجة تانية، اطربنا».

«هجيب منين يعني؟»

«مش انت دي جيه؟ لازم تبقى جاهز على طول» أجبته في سخافة ثم أعدت تركيزي للطريق.

«حاسب!» صاح فيلو فجأة. فضغطت فرامل السيارة بكل ما أملك من قوة.

«إيه؟!» صحت في غضب، «خضتني!»

«اتهيألي فيه حاجة معدية. كنت هتدوس على كلب».

«كلب؟ كنت هتموتنا عشان كلب؟» نزلنا من السيارة لنتفقد الخيال الذي رآه. لم يكن كلبًا على الإطلاق، بل جثة؛ جثة امرأة. امتقع وجه فيلو بينما سقط قلبي بين قدميّ. تبادلنا نظرات خاوية دون أن نجرؤ على تفحص الجسد الملقى أرضًا. يا للهول، انقلبت الطاولة بشكل لم نتخيله أبدًا. كيف حدث ذلك؟ كيف بدأت الليلة بحفل عيد ميلاد لتنتهي بجريمة قتل شنيعة؟ هذه مي؟ المرأة التي لم تتعد طموحاتها قضاء وقت ممتع والهروب من حياتها الزوجية البائسة؟ كم أنتِ رخيصة أيتها الحياة! كم أنت قصير أيها العمر! نسعى جميعًا في هذه الحياة محاولين تحقيق أحلامنا وطموحاتنا، ونغرق في الهم إلى أن ينتهي الأمر فجأة.. دون أن نتوقع. في لحظة يتركز كل تفكيرك على كيفية الخروج من هذه الليلة، في اللحظة التالية تفارق الحياة. هكذا! في لمح البصر!

«إيه ده؟» نطق فيلو أخيرًا. لم أجد ما أقول، «مش كنت عاوز ترجع بجثتها؟! اتفضل يا سيدي! اشرب! أهي ماتت!» صاح في هستيريا.

«اهدا يا فيلو. شغل النسوان دهماينفعش دلوقتي» تماسكت قدر الإمكان. لطالما تطلع إليّ الآخرون عند وقوع مصيبة، ولم يكن ليتغير هذا الآن.

* * *

عمرو

أخذت الكعكة من الثلاجة، ووضعت الشموع. أسمع أنفاس إيناس
[...]اردني في لهفة. أنا رجل في مهمة واضحة. تفكيري منصب على إنهائها
[...]فضل شكل ممكن. عدت إلى نور ثانيةً. كم تبدو جميلة في ضوء القمر.
[...]ل أصبحت رومانسيًا لهذه الدرجة؟ لا أتذكر أنني شعرت بهذا من
[...]بل. دائمًا ما أتأقلم مع رغبات الفتيات المصاحبة لي؛ إن كانت الفتاة تحب
[...]رومانسية، فمن الطبيعي أن أتحول إلى شخص رومانسي. ابتسمت نور
[...]ندما رأت الكعكة. اقتربت منها لأطبع قبلة على جبهتها.

«كل سنة وانتي طيبة يا نور».

«هتسيبني وتروح في حتة تاني؟» سألتني في دلال.

«لأ خلاص كده».

«وأنت طيب» قبلتني على شفتيّ.

«يلا مش هتقولي أي أمنية قبل ما تطفيّ الشمع؟»

«آه. خلاص» نفخت لتطفئ الشموع. كم بدت جميلة وفمها ممتلئ
بالهواء. إنها تستحق العناء. تستحق القتال.

بدأتُ أتوتر. ها قد أتت اللحظة الحاسمة. حانت ساعة الصفر. إما الآن وإما فلا. هذه أفضل فرصة، والظروف ملائمة تمامًا. الأجواء رومانسية وهي في مزاج رائع. أطلتُ النظر في عينيها فابتسمت في حياء شديد.

«إيه يا موري؟ مالك؟»

«أبدًا. بتفرج على جمالك» احمر وجهها تمامًا، وأشاحت ببصرها.

«دانت اتقلبت خالص».

«أنا اتقلبت من زمان يا نور. من ساعة ما شفتك»، تنحنحت لأستجمع شجاعتي. لا أصدق أنني أشعر بهذا القلق. لست من يتلعثم أمام الفتيات؛ لكن الأمر مختلف هذه المرة. إنه أمر لم أفعله من قبل. لم أطلب امرأة ناضجة للزواج من قبل. إنها لحظة فارقة، «قبل ما أعرفك يا نور كنت ماشي في الدنيا كده. ماكانش ليها معنى قوي بالنسبة لي غير سهر وانبساط. بس لما عرفتك ابتديت أفهم يعني إيه إحساس إني أبقى مبسوط بجد. ماكنتش مبسوط قبل ما أعرفك يا نور. السعادة مش في الحاجة اللي بتعملها.. السعادة في الشخص اللي بتعملها معاه. أنا معاكي مش فارق بعمل إيه، بس بكون مبسوط. كنت عيل ضايع مفيش منّي أي أمل.. انتي الوحيدة اللي حسستيني إن لسة فيا أمل. مكنتش بحب نفسي، ولا كنت شايف إني أستاهل أتحب. ميرسي يا نور. ميرسي إنك خلتيني أحب نفسي. ميرسي إنك خليتيني بني آدم. أنا من غيرك ولا حاجة. انتي لو سبتيني هموت. محدش بيعرف ياخد باله مني زيك، وأنا مهما لفيت، مش هلاقي حضن أرتاح فيه غير حضنك. انتي بالنسبة لي كل حاجة. عمري في حياتي ما تخيلت إني هبقى عاوز أكون مع حد بالطريقة دي.

لحظة ما شفتك يا نور عرفت إنك هتبقي بتاعتي على طول» ترقرت الدموع في عينيها واحتضنتني بقوة.

«اوعي تسيبني أبدًا يا عمرو. أنا مقدرش أعيش من غيرك».

«أسيبك؟ بقولك لو سبتك أموت. نور..» ترددتُ لحظة فنظرت إليّ في شوق.

«نعم؟»

«تتجوزيني يا نور؟» لا أصدق أنني قلتها أخيرًا. ها قد أصبحت الكرة في ملعبها. «إيه؟» سألتني في دهشة شديدة. لم أفهم إن كان صوت الموسيقى منعها من الاستماع، أم إنها لا تُصدق ما قلت.

«بقولك.. تتجوزيني؟» سألتها بابتسامة قلقة.

«انت بتسألني يا عمرو؟! آه طبعًا. آه طبعًا» أجهشت بالبكاء، وراحت تقبلني في جنون.

استمر العناق طويلاً. كم أشعر بالراحة! لست من النوع الذي يبكي، لكنني في أقصى درجات سعادتي الآن. أشعر بضربات قلبها مع قلبي وكأنها واحدة. نحن ننتمي لبعضنا. لا أعرف كيف وصلتُ لهذه المرحلة لكنها الحقيقة.

«أنا كنت عارفة إنه هيقولك! كنت عارفة» صاحت إيناس في هستيريا واحتضنتها في قوة.

«عمرو هيتجوزني يا إيناس. هيبقى جوزي!» ظلت نور تصرخ هي الأخرى وركضت تجاه خلود وحسام.

اقتربت منّي إيناس ضاحكة والدموع تملأ عينيها.

«انت مش زبالة وواطي؟ بس ألف مبروك برضه».

«الله يبارك فيكي يا إيناس».

«عارف لو عملت فيها حاجة، هقتلك!» همست في أذني وهي تحتضني في سعادة.

«لأ أنا هعمل فيها طبعًا. بس حاجات هتعجبها» غمزت في خبث.

«يا زبالة! هاهاها».

انضم إلينا حسام وخلود وجلسنا نتناول الكعكة. ها قد انتهى الجزء الصعب، ولم تتبقَ سوى الخطوة الأخيرة. لا أعرف كيف سأنفذها بعد. لازالت تُشكل عبئًا كبيرًا.

«سلامتك من الآه يا نور» قالت خلود لتداعب نور. يجب أن أنقذ الموقف. ما لا تعرفه خلود هو أن نور لا تتحمل المزاح بهذه الطريقة. لو شعرت بأن خلود تقلل من قيمة اللحظة فقد تنفجر بها.

«فيه حاجة يا خوخة؟» ألقيتها بتفاحة لأسكتها بأسرع طريقة. ها قد عدنا للضحك وهدأت الأجواء.

عاد جو. تبًّا! هذا يعني عودة مي. أتمنى ألا يُفسد شيء هذه اللحظة. لماذا أتيت الآن يا جو؟

«عندي خبر وحش قوي يا جماعة. مي.. مي ماتت».

لا أصدق. ها هي الليلة تزداد سوءًا. ستغضب نور. هل فقدتُ الإحساس لهذه الدرجة؟

كل ما يهمني هو ألا تشعر نور بالغضب؟! لا أهتم إن فقدت امرأة حياتها؟! ما الذي حدث لي؟ لهذه الدرجة تُسبب لي نور التوتر؟ تبًّا! هل والدتي على حق؟ أيُفترض ألا أتسرع في اتخاذ قرار الارتباط بامرأة دون التأكد مائة بالمائة مما أريد؟

«يعني إيه؟» صاحت إيناس في انهيار، «مش معقول! مستحيل! هي فين؟ لقيتوها فين؟!»

«فيلو فين؟» سألت خلود في برود غريب.

«فيلو جاي ورايا. مش عارف أقولكم إيه يا جماعة.. بجد مش عارف».

* * *

فادي

ما أسوأ شيء قد أمر به في حياتي؟ أن ينقطع التيار أثناء وقوفي خلف جهاز الأسطوانات. أي شيء يوقف الموسيقى يعد كارثة بالنسبة لي. لا يختلف هذا كثيرًا عما أمامنا. مي هي تراك انقطعت قبل أوانها. انقطع التيار قبل أن ينقضي زمنها. ماذا نفعل الآن؟ يا للمصيبة! كيف سنعود إليهم ونخبرهم بذلك! كيف؟! انحنى جوزيف على الجثة ليتفقدها.

«بتعمل إيه يا مقرف؟!» صرخت في اشمئزاز!

«بغتصبها يا فيلو. انت عارف مي بتطلع الشخصية الوسخة اللي جوايا».

«انت على طول بتهزر يا جو! يا أخي ما تفوق! انت مش شايف المصيبة اللي احنا فيها!»

«اقطم يا فيلو. بلاش صداع» استمر في تفحص الجثة. ماذا يفعل هذا المجنون؟! لماذا يتحسس صدرها بهذه الطريقة؟ إنه مريض! ركضت تجاهه ودفعته بعيدًا عنها.

«انت بتعمل إيه يا متخلف؟»

«لو مديت ايدك عليا تاني هقطعهالك! قلتلك بغتصبها».

عاد ثانيةً لما يفعل. وقفت أشاهده دون كلمة واحدة. قام من مكانه ونظر إليّ مبتسمًا.

«ومبسوط قوي كده ليه؟ أمال لو مكانتش جثة ميتة يا معفن!» لم أتمالك نفسي وتقيأت على الأرض.

«مش هي» أجابني في هدوء.

«مش هي ازاي يعني؟» بصقتُ بعيدًا ونظرت إليه في دهشة.

«دي مش مي. أنا متأكد. حجمه صغير قوي».

«هو إيه ده اللي صغير؟»

«هيكون إيه اللي صغير. وشها متشوه ومش باين فاضطريت أشوف طريقة تانية أتعرف بيها على الجثة. متجوزة وعندها بنات، وكانت نايمة فوقي. صدقني. حجمه أكبر من كده بكتير» قهقه ضاحكًا.

«مش مصدقك! انت فعلاً مجنون» حدّقت بالجثة في ذهول. عاد إلى السيارة.

«يلا اركب أمّا نشوف آخرتها» ركبتُ بجواره فتحرك ثانيةً.

تجددت الرغبة لديّ في القيء. للحظات كدت أفقد وعيي ظانًا أن مي قد لقت مصرعها. الآن تغيرت المعطيات إلى حد كبير. أشعر بالتفاؤل. سنجدها. سار بنا جو في الشوارع بحثًا عنها. أدار المذياع ثانيةً.

«أظن عمرو دياب بقى حبيبك دلوقتي» قال وهو يهز رأسه مع الموسيقى الرديئة. في الواقع، لا أستطيع أن أعارضه. إنه أفضل من جثة ملقاة في وسط الطريق.

«أي حاجة. أكيد أرحم من منظرك وانت بتتحرش بجثة» وضعت يدي على فمي ثانيةً. فتحت النافذة لعل الهواء يضيع شعور الغثيان المسيطر عليّ.

«استرجل شوية يا فيلو».

لم أعلق على كلامه. الكل يربط بين الشعور بالاشمئزاز وبين الأنوثة، كأنها لا يحق للرجل أن يشعر بالغثيان! القذارة هي سمة الرجال هذه الأيام.

«إيه ده! شايف اللي أنا شايفه» صاح جوزيف فجأة مشيرًا إلى جانب الطريق. «فيه واحدة ماشية! تفتكر هي؟!» سألته في لهفة.

اقترب جوزيف منها لأميز القميص الذي كانت ترتديه مي. إنها هي! لا أصدق! لقد وجدناها. وقف جوزيف بجوارها مباشرةً فقفزت من السيارة على الفور كأنها ستختفي لو لم أمسك بها في الحال.

«مش عاوز ولا نفس» أمسكتُ بها. صرختْ كالمجنونة محاولة التملص من قبضتي. ألقيتها في المقعد الخلفي. أغلقتُ الباب وركبت بجوار جوزيف. «ازيك يا حلوة» قال جوزيف ضاحكًا. استمرت في الصراخ.

«نزلوني! هتعملوا فيا إيه؟ أنا عندي بنات مش هيعرفوا يعيشوا من غيري! حرام عليكوا!» توسلت إلينا بشكل مثير للشفقة.

«إيه الشحاتة دي؟» قال جوزيف في دهشة، «انتي هبلة يا مي؟ أنا جو، وده فيلو. اضحكي للكاميرا، احنا أصحابك» ضحك في سخرية، ولوّحت لها بيدي مبتسمًا.

«جوزيف؟ الحمد لله! الحمد لله! كنت هروح فيها! منكم لله! حد يخطف حد كده؟!» زفرتُ في ارتياح.

«ثانية واحدة. هو لو كنا بنحاول نخطفك، دي كانت طريقتك عشان تدافعي عن نفسك؟ الكلمتين اللي قلتيهم دول هينقذوكي من أي حد؟ دانتي ضايعة».

«يا سلام؟» ضحكت في ارتياح، وبدا أنها عادت لطبيعتها أخيرًا، «متشكرة قوي يا جو بجد! مش عارفة كان هيحصلي إيه لو ماكنتش لحقتني».

«على إيه يا مي. جو ماعملش غير الواجب. مفيش حد رضي ينزل معاه. تخيلي! حتى فيلو المعفن ولا فرق معاه يجرالك إيه» قلت بلهجة ثقيلة ناظرًا إليها في اشمئزاز.

«آه. شكرًا يا فيلو» قالت في ارتباك.

«ماتتحركيش من مكانك بقى. مش عاوزين نسمعلك صوت» قلتُ في صرامة فسكتت.

استمر الصمت الذي لا يفسده سوى الموسيقى الرخيصة على المذياع. بعد ربع ساعة وصلنا إلى الفيلا وركن جو السيارة بالخارج. أنزل يده أسفل المقعد وأخذ حقيبة صغيرة ثم نزل مسرعًا.

«هاتها وتعالى» هتف آمرًا وسبقني إلى الداخل. رأيته يلقي بالحقيبة أسفل سيارة عمرو.

«حاضر يا فندم!» تمتمت في امتعاض ثم التفتّ إلى مي، «قادرة تمشي؟»

«آه يا فيلو. انت ليه بتكلمني كأني عيلة صغيرة؟»

«انتي معندكيش دم؟! طب يلا انزلي».

نزلتُ من السيارة وتوجهنا معًا إلى داخل الفيلا. نظرت من بعيد لأراهم يحتفلون. لا أصدق! يتصرفون وكأن صديقتهم لم تكن مختفية دون أن يعرفوا مكانها. لم يهتموا حتى بالاتصال ولو لمرة كي يطمئنوا عليها. هؤلاء هم أصدقاؤها! حقًا.. مع أصدقاء كهؤلاء.. من يحتاج لأعداء؟ تقدمت مي أمامي. ما هذا الذي يحدث؟ لماذا أرى إيناس تصرخ؟ بم أخبرهم جوزيف؟ أسرعت من حركتي لألحق بمي. فجأة انفجرت إيناس في بكاء شديد وركضتْ تجاه مي محتضنة إياها في قوة.

«مي! انتي عايشة!» بدا الذهول على وجه مي.

«انت بتهزر يا جو! إيه تقل الدم ده! صاح عمرو في غضب حقيقي. أيهتم بها الآن؟ يا للمفاجأة!

«انت قلتلهم إيه يا جو؟» سألته في دهشة وقد بدأت أستوعب ما حدث.

«مش لازم يحسوا باللي حسينا بيه؟ قاعدين رجل على رجل ولا فارق معاهم حاجة. قلت أحرق دمهم شوية».

لم أمنع نفسي من الابتسام. إنه محق. لثوانٍ تخيلنا أنها فارقت الحياة. عشنا لحظات من الرعب بينما هم يحتفلون ويأكلون الكعك. ربما أحسن جوزيف التصرف.

«يا واطي يا زبالة!» صفعته إيناس على وجهه فلم يتأثر.

«خلاص يا إيناس أهي كويسة. مش ده اللي كان يهمك. يلا بينا نكمل الليلة» قالت خلود في رتابة. خلود! نسيت وجودها.

«أكلت التورتة من غيري يا عمرو؟ جالك قلب؟» هتف جو في أسلوب درامي زائف.

«جو صديقي! حقك عليا يا إكس» احتضنه عمرو مازحًا.

«جوزي يعمل اللي هو عاوزه» عقدت نور ساعديها أمام صدرها.

«جوزك مين؟» سأل جوزيف فلم ترد عليه نور. انتقلت نظراته بينهما ثم ضحك وعانق عمرو، «آه يا ولاد البايظة! ألف مبروك».

استمر الضحك وبدا أن الليلة ستعبر أخيرًا إلى بر الأمان.

«مي! تعالي عاوزاكي جوه!» قالت نور في حسم وتوجهت إلى الداخل.

ربما ليس بعد!

* * *

مَن قال
إن الحساب في
يوم الحساب؟

مي

أراها تلوّح بيديها في عنف. أسمع أصواتًا مزعجة. أشعر بالرذاذ يتطاير من فمها على وجهي، لكنني أحاول ألا أستمع حقًا لما تقول. أي خير سيأتي من نور؟ بالتأكيد كلام جارح وسخيف، وسيضايقني. يستحسن ألا أنتبه كثيرًا وأكتفي بالإيماء. إيناس تبدو غاضبة هي الأخرى. يبدو أن غلطتي لا تُغتفر.

«ما تقولي حاجة، والا اتخرستي؟!» صاحت بي نور في هستيريا.

«مش فاهمة يا نور. انتي زعلانة كده ليه؟»

سيغضبها كلامي أكثر حتمًا. سيزداد الرذاذ والأصوات المزعجة. هل هناك حلول أخرى؟ من قال إن الحساب في يوم الحساب؟ ها أنا أؤتى حسابي في التو واللحظة. أدفع ثمن آثامي؛ آثام لا أعرفها بالضبط، لكنها تبدو سيئة، أو ربما تبالغ نور كالمعتاد. «كنا هنتجنن من القلق عليكي يا مي!» تدخلت إيناس، «لما تعملي تصرف زي ده انتي مش بتضري نفسك بس! كان لازم تفكري فينا! في بناتك! في جوزك! ازاي معندكيش مسئولية بالطريقة دي! طب لو كان حصلّك حاجة؟ بناتك مين كان هيربيهم؟!» تتأثر إيناس بسرعة. تبكي لأقل الأسباب.

«تولع في ستين داهية يا إيناس! انتي فاكراني يفرق معايا بجرالها إيه؟» تعرف نور ماذا تقول بالضبط لتجرح من أمامها. كأنها تتفنن في تنقية الكلام المؤلم، «انتي أنانية يا مي! أحلى يوم في حياتي عاوزة تبوظيه عليّ ليه؟ مفيش غيرك في الدنيا؟ وبعدين ملقيتيش غير الشخص ده اللي ترمي بلاكي عليه؟! مفكرتيش غير في نفسك؟» لم أعد أفهم عم تتحدث.

«بتتكلمي عن إيه يا نور؟ مش فاهمة. أرمي بلايا على مين؟» سألتها في حذر.

«انتي هتستهبلي؟! حبكت ترمي نفسك في حضن جو ليلة عيد ميلادي؟! حبكت؟!» تبًّا! ما خشيته قد حدث. لم تمر الليلة دون حماقات كما تخيلت.

«جو؟ إمتى الكلام ده؟ مش فاكرة».

«مش فاكرة؟ هتعمليهم علينا؟ رايحة تحكّيها في واحد لا بيطيقك ولا بيقبلك! ماكانش المفروض تجيبيها انهارده يا إيناس! بوظتي علينا الليلة كلها. قلتلك ماتجيبيش البت دي وسطينا في أي حتة. مابيجيش من وراها غير المصايب».

«كويس إنك قلتي قدامي يا نور. أنا فعلاً غلطانة إني جيت أفرح معاكي يوم عيد ميلادك» شعرت بغصة في حلقي. لقد تمادت كثيرًا، ولم أعد أدري ما أقول.

«مش قصدها يا مي. بالراحة عليها شوية يا نور» حاولت إيناس التخفيف من حدة الأمور.

«لأ قصدي يا إيناس! لولا ان الوقت متأخر كان زماني قلتلك مع

السلامة. من الآخر يا مي أنا مش عاوزة أعرفك تاني. انتي بوظتي الليلة عليا وعلى عمرو وعلينا كلنا. مش عاوزة أعرفك تاني. صحوبية إيه اللي كلها هم وأفلام عربي دي! دانتي لا عملتي حساب لجوزك ولا بناتك ولا أي حد. ما تكبري بقى! اكبري! هتفضلي لحد إمتى عبء على اللي حواليكي! لحد إمتى!» أشاهد شفتيها تتحركان دون سماع صوتها. أصبحت الصورة صامتة بالنسبة لي. هكذا أفضل. هكذا لا أسمع كلمة أخرى مما تتفوه به من قذارات.

«اهدي يا نور مش كده! خلاص اطلعي انتي يا مي» دفعتني إيناس إلى خارج الغرفة.

«أوعدك يا نور مش هتشوفي وشي بعد الليلة دي» قلتُ في هدوء بذلت مجهودًا خرافيًا لأحافظ عليه.

«في ستين داهية! أحسن!»

إلى أين الذهاب الآن؟ خرجت لأجد الحفل مستمرًا كما هو. كأن شيئًا لم يكن. ماذا فعلت الليلة؟ يبدو أنني تجاوزت الحدود. كيف سيفكر جو بي؟ لماذا رآني في أسوأ حالاتي؟ يا إلهي! كم أكره نفسي الآن! أخجل من التحدث لأي منهم. لن ألتفت لكلام نور. لطالما كرهتني. الحب عند نور هو حب امتلاك. إن أحبت شخصًا تريده لنفسها فقط، ولهذا فهي تريد إيناس لنفسها. تكره صداقتي بإيناس وتنتهز الفرص لتوقع بيننا. تتمنى لو كرهتني إيناس الآن ولم تتحدث إليّ ثانيةً. لا أعرف لماذا توافق إيناس على تصرفاتها. لا أحد يستطيع إيقاف طوفان نور. من الأسهل تجنبه بدلاً من مواجهته؛ إيناس خير من يعلم ذلك.

ليس أمامي سوى حل واحد؛ التحدث إلى جو. ربما إن نجحت

في الانفراد به، أقنعته بالانضمام إلى صفي. لم أشعر أبدًا أنه يكرهني كما ادعت نور! إنها كاذبة! تريد أن يحبها الناس هي فقط، ولا يحبون غيرها. تسعى لامتلاك كل من حولها. سأتحدث إلى جو. سيضمني إليه ويطمئنني. لن يخذلني أبدًا. ستفور نور من الغضب عندما تراني معه. ها هو يجلس وحيدًا! سألحق به قبل أن تخرج إيناس. إنها فرصتي الوحيدة.

«ازيك يا جو» همست في خجل.

«أهلاً يا غالية. أخبارك إيه دلوقتي» ابتسامته زائفة. شيء ما في لهجته تغير.

«أنا كويسة»؟

ظل صامتًا. استمر الصمت لدقائق. هل يندمج مع الأغاني لهذه الدرجة؟ أم أنه يرفض التحدث إليّ؟ لن أترك هذه الوساوس تتمكن مني. ما أسوأ شيء قد أكون فعلته؟

«ساكت ليه كده؟» سألته في توتر.

«أنا ساكت؟ انتي اللي ساكتة» إنه يتهرب مني الآن. لا بد أن الأمر سيء.

«انت عارف انت بالنسبة لي إيه يا جو؟» سألته محاولة كسب تعاطفه. يا لها من محاولة مخجلة!

«بحاول أنسى. مش لازم أعرف قوي يعني. ولا لازم؟ مش لازم» لم أفهم شيئًا مما يقول.

«انت قريب قوي من قلبي يا جو. كأنك صاحبي من زمان».

«عشان كده قلتيلي بحبك وبوستيني من بقي؟» قال في سخرية لاذعة. تبًّا! فعلت أسوأ شيء يمكن القيام به فعلاً! كم أنا حمقاء! يا للهول! أتمنى لو اختفيت من أمامه الآن!

«احم. أنا مش فاكرة اللي حصل. ومش عاوزة أفتكر».

أنا امرأة يائسة. لقد أخفته. أريد أن أكسب صداقته على الأقل. يجب تشتيت انتباهه عن غرضي الرئيسي. أريد التحدث معه كما كنا نفعل. كنت أشعر أنني قريبة منه، وحدثته عن أدق تفاصيل حياتي. لا أريد أن أخسر كل هذا. أنا أحبه! أنا أريده! لا يهم كيف! المهم أن يتحدث إليّ ثانيةً! لا أطيق صمته هذا! لا أطيقه! أتمنى لو صفعته على وجهه الجميل.

«جو. متعملش معايا كده. اتكلم معايا».

«أتكلم أقول إيه يا مي؟ متوقعة مني إيه بالظبط؟ انتي بالنسبة لي كنتي صاحبة لذيذة. نضحك وننبسط سوا. ماكانش لازم تعقدي المواضيع كده».

«غلطت يا جو. وماكنتش في وعيي. كلكوا بتحاسبوني على غلطة! غلطت!» بدأت أبكي رغمًا عني.

«كلنا بنغلط يا مي. بس انتي عاوزة تقنعيني إن الكلام اللي قلتيه وانتي مش في وعيك ده مش صح؟ لو مش صح قوليلي مش صح!»

«نفترض يعني إنه صح» تبًّا! ما هذا الذي قلت؟!

«نفترض إنه صح؟ماينفعش تقولي كده يا مي. أنا لو عديتلك الأسباب اللي تخلي الجملة دي ماتنفعش مش هنخلص».

«أنا عاوزاك وخلاص يا جو. عاوزاك ترجع زي الأول».

«زي الأول اللي هو إمتى؟ كنت بعمل إيه مختلف عن دلوقتي؟»

«كنت بتتكلم! نبقى أصحاب! أي حاجة» شعرت باليأس الشديد! أتوسل إليه ليتحدث إليّ؟ كم أنا رخيصة!

«عمرنا ما هنرجع زي الأول يا مي. ممكن نحاول، بس مش هنعرف».

«ممكن نحاول طيب؟ عشان خاطري! أنا هلاقيها منك ولا من نور» دفنت وجهي بين كفي وأنا أشعر بالعار.

«ماشي يا مي. نحاول» قالها بلهجة غير مقنعة.

عاد الصمت ثانيةً. ما هذا الهراء؟ أشعر بالاختناق! أريد أن أمسح ما فعلت! يقول إننا لن نعود كسابق عهدنا أبدًا؛ لكنني واثقة أننا سنعود. دائمًا ما يقول الكل هكذا بعد أي خلاف، وتعود الأمور بعدها لسابق عهدها. ستنصلح الأمور بيني وبينه. لازال صامتًا! آآآآآه!

«ساكت ليه؟ انت كده بتحاول؟!»

«بتتكلمي بجد يا مي؟ انتي مفهوم المحاولة عندك إيه؟ دانتي لو عند دكتور مش بيخففك في ساعتها» قال في سخط.

«أنا قايمة» فاض بي الكيل! أتيت في الصباح ظانة أنني محاطة بالأصدقاء. قل عددهم بشكل خرافي. أتبقى لي أصدقاء في هذا المكان؟ ألن يمد لي أحد يده ليساعدني بدلاً من صفعي بها على وجهي!

* * *

فادي

يبقى الوضع كما هو عليه. تعود نور إلى ساحة الرقص في حضن عمرو. ترقص في حيوية كطفلة صغيرة. اختار عمرو الليلة المناسبة ليخطرها بخططه المستقبلية. سعادتها حقيقية الآن غير مشروطة بالحبوب والخمر؛ وصلت إلى ما حلمت به منذ التقت بعمرو، أو ربما منذ زمن بعيد. ها هي ستتزوج بفتى أحلام أي امرأة. يا له من زمن نعيش به! عمرو هو فتى أحلام أي امرأة؟ فلنقل على الدنيا سلامًا. حان الآن موعد الموسيقى ذات الإيقاع الصاروخي حسب التوقيت المحلي لعالم فيلو! الضربات السريعة عالية الصوت هي العامل الرئيسي في إثارة جنون أي راقص يبغى الوصول للذروة. نحتاج إلى تراك انتقالية لننجح في الوصول للإيقاع المطلوب بشكل سلس ومنطقي. ها هي التراك المطلوبة. بدأت أجسادهم تتحرك أسرع استجابة للإيقاع الجديد. ضحكت خلود وهزت رأسها في اندماج. إيناس تبدو أقلهم سعادة لكنها تتعامل مع الوضع كي لا تُفسد الليلة. جوزيف يجلس بائسًا محاولاً دفن بؤسه في الموسيقى. إنها موهبة أمتلكها؛ بنظرة واحدة لساحة الرقص أعرف الحالة النفسية لكل شخص. فقط بهذه الطريقة أعرف أي تراك ستثير الحاضرين. يساعدني هذا أيضًا على قياس درجة تقدم أو انحدار الليلة. على سبيل المثال، إن

توقفت فتاة مثل خلود عن الرقص أو قل حماسها فهذا يعني انحدار الليلة والعكس الصحيح، أمّا إن توقفت امرأة مثل مي عن الرقص فهذا لا يعني شيئًا لأنها لا تهوى الموسيقى أصلاً. مي؟ أين مي؟ لن أجرؤ على طرح هذا السؤال ثانيةً هذه الليلة! فلننتبه للموسيقى. لا مجال للمزاح الآن. بدأنا مرحلة الرقص العنيف! قشعريرة.. فلنقفز لأعلى! بدأت الأجساد تتحرك بجنون وكأن انتابتها حالة من الصرع! اقتربت منّي نور صارخة كالمجنونة.

«عاوزة أتخبط يا فيلو! عاوزة خبط! اخبطني يا فيلو!»

«بس كده يا نور؟! من عنيا!»

هرعت نور لتضع رأسها بجوار السماعة. بينما ضحك عمرو وهتف في نشوة.

«أيوة بقى يا فيلو! أيوة بقى!!! اديلو!»

احتضنت نور السماعة الكبيرة كأنها لا تكتفي من الموسيقى. بدت اللقطة كأحد أفلام الرعب؛ الموتى الأحياء. أقسم أنني أرى ذبذبات الموسيقى تدفع جسدها في عنف.

«عاوزة الخبط هنا يا فيلو! عاوزاه أحس بيه هنا» أشارت إلى قلبها. أعترف أنها أخافتني قليلاً. ستقتلني إن لم تصل إلى ما تريد.

«طلبك عندي يا نور» إنها صاحبة عيد الميلاد، وعليّ إمتاعها بشكل شخصي. أدخلت الأسطوانة الخاصة التي رشحها عمرو. مهما تحدثنا عن جهله بالموسيقى فلن يمنع هذا حقيقة أنه يعرف ذوقها وما يناسبها جيدًا. لهذا السبب فقط سأطاوعه.

قمت بمزج الموسيقى مسبقًا كي أجد الوقت لأرقص. تركت موقعي وانضممت إلى المعركة. أحتاج إلى هذا. بدأت معالم الليلة تتضح قليلاً. هذا ما أتينا لأجله جميعًا.

«ما تعلمني فارانساوي يا عمرو» هتفت خلود فجأة. من الواضح أنها فقدت عقلها تمامًا.

«فارانساوي؟!» رد عمرو ضاحكًا، «لأ مادام فيها فارانساوي، يبقى مفيش أمل أصلاً» انفجرنا جميعًا ضاحكين.

«سيبي عمرو في حاله. خلّي فيلو يعلمك» تركت نور السماعة لترد على خلود. لا أصدقها! يتبقى أن تضع عمرو في قفص، أو تضع طوقًا حول رقبته.

«هتعلمني يا فيلو؟» سألت خلود في دلال.

«آه طبعًا أعلمك» أجبتها في تلقائية. نظر إليّ حسام في غضب. لا أظنه سيجرؤ على إثارة أي مشكلة الآن.

«تعلمها إيه يا عم انت؟ انت بتعرف تتكلم فرنساوي أصلاً؟» قال عمرو في حنق غطاه بروح المزاح.

«أفندم؟ انت بتهزر؟ وسعت منك شوية دي يا عمرو» أجبته في استنكار.

«طب اقعد علمها انت وسيبني ألعب شوية» توجه إلى معدات الموسيقى. «رايح فين يابني انت؟! مش قلتلك مالكش دعوة بحاجة؟!» صحت به في نفاد صبر.

«فكك بقى يا فيلو. على فكرة أنا بعرف ألعب كويس قوي، ويمكن أحسن منك كمان» قال في ثقة لا أتخيل أبدًا مصدرها.

«انت عارف. كانت ليلة سودا ساعة ما عرفتك يا عمرو!» هتفتُ في امتعاض. بدا التفكير على وجهه قليلاً كأنه يحاول التذكر.

«لا بس كانت حفلة حلوة» انفجر ضاحكًا.

«طب اتفضل يا عمرو. وريني» هذه أفضل طريقة لأمنعه من التلاعب بأشيائي ثانيةً؛ أن أضعه على خشبة المسرح وأراه يُحرج نفسه.

«هتسيبني يا عمرو أرقص لوحدي؟!» صاحت نور في خيبة أمل.

«استني بقى يا نور!» أجابها عمرو في تركيز. إصراره بداية جيدة.

لست عرّافًا أو قارئًا للطالع؛ لكن حدسي يخبرني أن عمرو سيُفسد الأجواء علينا تمامًا. يضع سماعات الأذن عاقدا حاجبيه محاولاً استكشاف الجهاز.

«يلا يا عمرو التراك قربت تخلص» نبهته محاولاً إثارة توتره أكثر.

«انطر بقى يا فيلو» يبدو أنني نجحت.

«يلا يابني دخل التراك اللي وراها. يلا» قلت في خبث.

ثوانٍ وبدأت السماعات تُصدر أصواتًا مخيفة ومؤذية للأذن. هذا ما يحدث عندما لا يتم دمج الموسيقى بشكل سليم. تتوالى ضربات الموسيقى بشكل غير منسق ويبدو واضحًا أن الدي جيه قد أخفق. ابتسمتُ في ظفر.

«إيه يا عمووووور؟» داعبته خلود.

«جلت منّي دي» حك رأسه في حيرة، وأعاد تركيزه ثانيةً.

«ما تيجي بقى يا عمرو وسيبه» صاحت نور. سينفجر غاضبًا بها حتمًا.

«اهدي بقى يا نور!» صاح بها. لست قارئًا للطالع؛ أنا أعلم فقط الناس جيدًا.

ازداد انعقاد حاجبيه وغابت ابتسامته تمامًا. أصبحت المسألة تتعلق بالكرامة الآن. وضع السماعة على أذنيه. سيبذل كل ما بوسعه ليفعلها. بدأ وجهه يرتاح قليلاً. وهو يهز رأسه مع الموسيقى. ربما ضبط الإيقاع بالفعل في سماعة أذنه. لا أدري بعد.

«خد دي بقى يا فيلو واقفل بقك» هتف في ثقة.

«اديله يا عمرو! اديله» صفقت خلود بيديها. لا أعرف لماذا توترت أنا أيضًا. يا له من تحدٍ تافه.

فجأة انتهت التراك وظل عمرو يرقص كالأحمق مبتسمًا مشيرًا إلى الجمهور كأنه دي جيه عالمي. نظرنا إلى بعضنا البعض في دهشة. توقف عمرو عن الرقص. أنزل السماعة ليفهم ما يجري.

«إيه ده؟! هي التراك فين؟» سأل في حيرة.

«بتسألنا احنا يا أهبل؟» قالت خلود ضاحكة.

«ماهي شغالة في ودني. فيه إيه؟»

«وريني كده» ذهبت لأتفقد الوضع. تفحصت الجهاز لأجد التراك تعمل بالفعل لكن دون أن يرفع الصوت، «يا عمرو يا فنان. انت سايب

الصوت واطيع الآخر؟ محدش قالّك إن عشان الناس تسمع لازم تعلي التراك؟» ضحكت في ارتياح وانضم البقية إليّ. احمر وجه عمرو. بات من الصعب أن أحدد أهو من الغضب أم الخجل. رفعت الصوت ثانيةً لتعود الموسيقى في أنحاء الفيلا.

«يا عم ماتحورش. أنا مش مركز بس» ترك السماعة وعاد إلى نور ثانيةً.

«مش مركزة يا كتكوتة؟» قالت نور في سخرية وهي تقرص خديه كالأطفال، «مادام مش بتعرفي بتلعبي ليه عملتي كده يا بطة؟» تبًّا! لا تعرف نور الخطأ الذي ارتكبته الآن.

«ما تسكتي انتي كمان! هي زيطة ولا إيه! ما قلتلك مش مركز!» انفجر عمرو في غضب غير مبرر.

«إيه يا عمرو مالك؟ احنا بنهزر» زالت آثار الضحك من على وجهها لتحل محلها الدهشة والرهبة.

«قلتلك قبل كده مابحبش الاستظراف!»

«انت مكبر الموضوع كده ليه؟ مانت عمال تستظرف من الصبح محدش قالك حاجة. بتزعقلي أنا ليه؟»

«أهو كده يا نور وخلاص!»

«انت بتتلكك على خناقة يا عمرو؟ فيه إيه؟»

«يوووووووه!!» صاح عمرو واستدار مبتعدًا.

لم يبرح أحد مكانه. أخفت الموسيقى العالية تصاعد الأحداث لكن عرفنا جميعًا أن الأمر لن يمر دون توابع. وقفت نور مشدوهة. حاولت

تهدئتها.

«سيبك منه، تلاقيه اتكبس بس. تعالي نكمل رقص احنا».

«سيبني يا فيلو» دفعت يدي في عنف وتوجهت للداخل. كيف لها أن تستمتع بوقتها بدونه؟ ستظل عالقة هكذا للأبد. ستظل تحت رحمة مزاجه. ماذا الآن؟ عدنا من حيث بدأنا. لا أثر لمخلوق يستمتع بوقته.

«أنا هروح أشوفه» تطوع حسام في لفتة مفاجئة. ربما يحاول إظهار رجولته المنعدمة أمام خلود. هل سيترك خلود وحدها؟ نعم! ممتاز! رائع!

«فيلو» ناداني صوت من خلفي. استدرت لأجد نجمة الليلة؛ مي.

«نعم؟» توقيت غير مناسب على الإطلاق.

«ازيك» عيناها حمراوتان. آثار البكاء واضحة.

«فعلاً؟» لم أستطع إخفاء دهشتي، «من إمتى؟»

«لأ عادي. ليه بتقول كده؟» لا تحسن الكذب ، ولو توقفت حياتها عليه.

«فين أصحابك؟ بلاش. فين جو؟» سألتها بلهجة لاذعة.

«ماحدش عاوز يتكلم معايا» أطرقت برأسها في أسى.

«آه. كله رماكي فجيتي للطيب الغلبان. مش كده؟ لأ يا مي. عشان بعد كده تعرفي تميزي. فاكرة كنتي بتتعاملي معايا ازاي؟ مش وقت ما تحبي، تيجي تتكلمي معايا. أنا مش أهبل».

لم أهتم بدموعها ولا بنظرات الأسى. ينصب اهتمامي الآن على شخص واحد. رحلت مي ليخلو لي الجو.

«خوخة».

«عاوز تتضرب تاني؟» سألت ضاحكة. لم أستشعر في صوتها أي سخط فتشجعت على الاستمرار.

«أتضرب؟ دانا قطعته».

«سيبك انت من البق الحمضان ده. احكيلي عن التراك».

«أنهي تراك؟» تظاهرت بعدم الفهم.

«التراك بتاعتي. قلتلي اسمها إيه؟» لا أصدق جمال ابتسامتها.

* *

جوزيف

من يصدق أنني التقيت بإيناس بالضبط منذ ستة وعشرين عامًا؟ كنت طفلاً في السابعة. براءة الأطفال فيّ.. ربما أتمادى قليلاً، فلم أكن يومًا بريئًا. في الواقع لا أتذكر هذه الأيام أصلاً. هي من تتذكرها وتحفظها عن ظهر قلب. إيناس شخصية حالمة وعاطفية. لا يمنع ذلك كونها جادة وواقعية في الوقت ذاته. كيف تتذكر طفولتنا بهذا الوضوح هو أمر لن أفهمه أبدًا. هي أكبر مثال على تناقض النفس البشرية. كيف تحمل كل هذه المشاعر وتستطيع التماسك بهذه الصورة؟ الاحتمالات لا تنتهي. لماذا التقينا ثانيةً؟ لماذا لم تظل ذكرى مبهمة من الأمس؟ لا أدري. كل شيء يحدث لسبب. لا أعرف ما هو، لكنني أؤمن بذلك، أقصد هي من تؤمن به. أحيانًا أشعر بانعدام شخصيتي أمامها. تنهار أمامها كل المبادئ والتقاليد التي التزمت بها طوال حياتي. في البداية اعتبرتها طوق النجاة بالنسبة إليّ. حاولت أن تنهض بي من حالة الاكتئاب التي كنت أمر بها وقتها. مع الوقت اقتربنا من بعضنا بطريقة لم أتوقعها أو انتبه إليها إلا بعد أن تبادلنا القبلات أول مرة.

«إيه اللي احنا بنعمله ده؟» سألتها في ذهول.

«انت حاسس الوقت مناسب للكلام؟»

«بصراحة لأ» ضحكتُ وأنا أقبلها في شهوة لم أتخيل أنني أحملها تجاهها. أحيانًا لا نشعر برغبتنا في الشيء إلا بعد أن نذوقه لأول مرة.

بعدها تعقدت علاقتنا ولم نستطع وضع مسمى لها. أنحن صديقان؟ أنحن عشيقان؟ أهناك مستقبل لعلاقتنا؟ كيف تقدمني لأصدقائها؟ لم أحتج وقتًا طويلاً لمعرفة إجابة هذا السؤال. إيناس تحب تعريف الناس على بعضهم البعض، بشكل مبالغ فيه ومتسرع. كأن المؤاخاة هي رسالتها في هذه الحياة.

«أعرفكم يا جماعة. ده جوزيف..» لحظة صمت وتفكير عميق، «صاحبي من أيام المدرسة. تخيلوا!»

«يا خلاصي» قالت نور. هذه أول كلمة أسمعها منها. ماذا يقول هذا عن شخصيتها؟ يكفي القول أنني احتجت أسابيع قبل أن أعتاد على طبعها المعقد.

في طريق عودتنا لبيتها أوقفت السيارة بغتةً.

«مش هتروّحني؟» سألتني في تعجب.

«صاحبي من أيام المدرسة! تخيلوا!» قلدتها، فضربتني على فمي.

«كنت عاوزني أقول إيه يا جو؟»

«تقوليلهم دي..» انتزعتُ قبلة ساخنة من شفتيها فابتسمت في حيرة.

«دي إيه يا جو برضه؟»

«ماعرفش. مش لازم نسميها حاجة. بس أكيد مش صاحبك من أيام المدرسة. مش لازم نحط مسمى للعلاقة. خلينا كده. إيناس وجو. مادام

بننبسط يبقى مش لازم ننكد على بعض».

«تفتكر هنعرف يا جو؟ فيه حاجات كتير تقف في طريقنا» لم أعقب بعدها على كلامها. رأيت أن نتهرب من التحدث عن الأمر بشكل صريح.

حافظتْ إيناس بشكل مستمر على علاقتنا أفلاطونية. نجحتُ في بعض الأوقات أن أتغلب على هذا الفيلسوف المحنك، لكن خبرة أفلاطون أحبطت معظم محاولاتي الخبيثة. التزامي بقوانين إيناس يعتمد بشكل أساسي على حالتي النفسية. في أوقات الرخاء لا تتعدى علاقتنا مرحلة الصداقة، أمّا في أوقات الشدة والغياب عن الوعي لا أستطيع التحكم في مشاعري. كلما يحدث ذلك تنتهي الليلة بصفعة على وجهي. في أوقات نادرة انتزع منها قبلة أو اثنتين، لكن سرعان ما تعود إلى رشدها. هذا شيء تتفوق به عليّ؛ ضبط النفس.

«ساكت ليه؟ انت كده بتحاول؟!» أفاقني صياح مي. لوهلة نسيت أنني أتحدث إليها.

«بتتكلمي بجد يا مي؟ انتي مفهوم المحاولة عندك إيه؟»

ماذا تريد مني؟ هذا ما كان ينقصني. عقدة جديدة في علاقتي بإيناس. يجب عليّ أن أتجنبها تمامًا. تساهلي معها جعلها تتخيل أنه يوجد بيننا أكثر من مجرد صداقة. بعض النساء لا يفهمن حدود علاقتهن مع الرجال. ربما على كل رجل توضيح نيته من أي علاقة منذ البداية. إن قابل امرأة تعجبه ولو بنسبة واحد بالمائة يخبرها أنه ربما تتطور علاقتهما في المستقبل، وإن قابل امرأة لا تمثل له أكثر من أخت صغرى أو صديقة يخبرها بذلك صراحةً. كيف لي أن أتوقع بأن تهتم امرأة متزوجة ولديها أطفال برجل

ضائع مثلي؟ بعض النساء يجدن ضالتهن في الحالات الميئوس منها. لو عرفتُ كيف تفكر ما تماديت في مزاحي معها أو داعبتها باستخدام يدي. ربما كثرة التلامس أثّر عليها أو أوحى لها بشيء لم أقصده. لن أتهرب من المسئولية. لست بريئًا تمامًا. امرأة مثلها حتمًا تكون أكثر حساسية من غيرها. لم تعتد مزاحنا الثقيل الذي نمارسه دائمًا. لماذا توقعنا أن تمر الليلة بدون أي تعقيدات؟ تصرفنا على طبيعتنا دون أن نضع أي اعتبار لمشاعرها. ما هذا الذي نفعله؟ ما هذه الليلة؟ هل نحن بالبراءة التي ندعيها؟ نريد أن نقضي وقتًا ممتعًا دون مشاكل. أيعقل هذا؟ بكمية المخدرات والنوايا السيئة التي أتينا بها، هل من المنطقي أن تمر الليلة بسلام؟ أوضعت في اعتباري احتمال أن أظل نظيفًا من المخدرات بعد هذه الليلة؟ إذن كنت أكذب على نفسي. أوضعت مي احتمال أن تخرج من هذه الليلة دون أن تعبث مع أحدهم؟ إذن فهي كاذبة! أوضعت خلود احتمال أن تخرج من هذه الليلة دون الاستمتاع بمعاكسات فيلو؟ إذن فهي كاذبة. أوضعت إيناس احتمالاً أن تمر هذه الليلة دون أن نتبادل القبلات؟ إذن فهي كاذبة! يا عزيزي، كلنا كاذبون. كلنا واهمون. لم نأتِ الليلة لنمرح، بل أتينا لنفعل كل ما لا ينبغي علينا أن نفعل! كل ما هو محرّم علينا، أردنا أن نفعل. أعرف ما أريد أن أفعل! سرتُ في خطوات ثابتة. تعرف قدماي إلى أين تحملاني. دفعت الباب في ثقة لأجد عمرو قد سبقني.

«اقفل الباب وراك. بلاش دوشة» أشار بيده في عنف.

«مش ناقصة فصلان انت كمان. اهدا شوية خلي مشاكلك العائلية بعيد عننا».

لا يهم أن نكون على وفاق طالما هدفنا واحد. جلستُ بجواره وبدأنا حصة الاستنشاق. إنه تقدم عن ذي قبل. على الأقل لم أعد أستخدم الحقن والـ.. ما هذا الذي أقول؟ أيُفترض أن يقلل هذا من إحساسي بالذنب؟ تبًّا لإحساسي بالذنب. فيم سيفيدني هذا وأنا أحترق في النار؟ لا شيء. لطالما فضلت الشعور بالألم على أن أفقد الشعور. أمّا الليلة فالوضع مختلف. لم أعد أتحمل هذا الألم القاتل. أريده أن يرحل عن جسدي. أصبحت شبحًا؛ ظل رجل. كيف تخيلتُ أنني سأستعيد آدميتي يومًا؟ كيف تخيلتُ أن حياتي ستتخذ مجرى أفضل من ذي قبل؟ الفشل هو مصيري دائمًا. لا أتحمل هذا الشعور بالألم! يداي ترتعشان وكأنها تحاول منعي مما أفعله. مسكينة! تتخيل أنه يوجد أمل. هذه القصة بدأت مرات عديدة، وتنتهي دائمًا بنفس النهاية. الأمل يقودنا للإحباط. لماذا تخيلتُ أنها ستبادلني الحب وتطلق العنان لنفسها؟ أتحبني؟ كيف تدّعي أنها تحبني؟ تخلت عني كما تخلى عني أهلي. كيف تدّعي أنها تقبل بي كما أنا بينما تحاسبني طوال الوقت؟ أنا صديقها منذ أيام الدراسة؛ هكذا ستظل تراني. يسهل عليها أن تتظاهر بعشقي وقبولها لكل عيوبي مادام ليس عليها أي التزام تجاهي. ما الذي يربطها بي؟ لا شيء. ها قد تركتني وهي تعرف ما أقوم به. لم تعد تتحمل العبء. وعدتني ألا تفقد الأمل لكنها فعلت. الكل يفقد الأمل في النهاية. إنه أسهل من انتظار أمر لن يحدث أبدًا. انتشر السم في جسدي. ليس سمًا، بل ترياقًا. إنه صديقي الوحيد الآن. كيف أتخلى عنه بينما لا يتوانى على أن يرحب بي في أي وقت؟ لم يسبق أن تأخر عني. ما هذا الذي أقول؟ كاد يودي بحياتي ومستقبلي منذ أقل من ساعة. عن أي حياة أتحدث؟ أهذه الحياة التي أخشى فقدانها؟ لا أريدها. لا أريد حياة بدونها. فلتنتهي الآن لتقضي على كل هذا البؤس.

«خد بلّع بقى بالإزازة دي. هتعلّي جامد» قال الشيطان ضاحكًا.

«أنا قلتلك قبل كده يا عمرو إنك بايظ؟»

«طبعًا يا إكس. مين مش بايظ؟» قهقه ثانيةً.

حتى في أسوأ حالاته يجد الوقت لإفساد غيره. أشعر أن الشيطان يخجل من التواجد بيننا في هذه الظروف، لا مكان له. أقسم إنني أسمعه يتوسل إليّ كي أتوقف. أم هذا ما تبقى من ضميري؟ يجب أن أضعه في قبره. دفعة أخرى من المسحوق أعادتني إلى الصواب. تجرعت عدة كئوس من زجاجة عمرو السحرية. لم أعد أرى شيئًا. هل فقدتُ بصري؟ خرجتُ من الغرفة أتحسس طريقي. أشعر بالعجز الشديد. أهكذا تراني إيناس؟ عاجزًا؟ ألهذا ترفضني؟ ألهذا لا تتعدى علاقتنا قوانين أفلاطون؟ ما دخل أفلاطون بنا أصلاً؟

«جو. مالك؟» سمعتُ صوتها. لقد رأتني في هذه الحال. كم أشعر بالعار.

«حرام عليكي بقى. حرام عليكي» هتفتُ بها في صوت أقرب للبكاء. ما هذا الذي حلّ بي؟ ماذا أقول؟

«حرام عليا أنا؟»

«انتي ماعندكيش قلب! انتي عارفة إني بحبك. أنا بحبك يا إيناس. هتفضلي لحد إمتى تعذبيني؟»

«احنا كل مرة هنتكلم في الموضوع ده؟»

«انتي مش بتحبيني. لو بتحبيني كان زمانك بقيتي معايا» لم أسمع

منها ردًا، «انتي ساكتة ليه؟!»

«عشان انت مش في حالتك. لأنك عارف رأيي في الموضوع ده. ماقدرش أكمل حياتي في علاقة ملهاش مستقبل. حتى لو مش بفكر في الجواز دلوقتي، لازم يبقى اختيار متاح في المستقبل».

«قلتلك قبل كده نسافر برّه. نروح أمريكا! نتجوز جواز مدني» أشعر بأنني رخيص. ها أنا أتوسل إليها ثانيةً. لم يتغير شيء. عدنا إلى نقطة البداية. كما لو أنها البارحة، أو الشهر الماضي، أو الذي يسبقه.

«وأنا قلتلك إني مش هوافق. ده مش جواز. هنرجع هنا نقول للناس إيه؟»

«وليه نرجع أصلاً؟ فيه إيه هنا؟ عاجبك حال البلد قوي؟!»

«هنا فيه أصحابي وأهلي وحياتي كلها يا جو. ماقدرش أسيبها» تبًّا لمشاعرها المرهفة. لماذا تحب كل الناس؟ لماذا تريد أن تحيط نفسها بكل الناس؟ ألا أكفيها؟ هي تكفيني.

«انتي مش بتحبيني. لو بتحبيني كنت أبقى كفاية بالنسبة لك!»

«بحبك يا جو. بس ده مش سبب إني أخسر كل حاجة».

«طيب أغير دیانتي ونتجوز شرعي!»

«وولادنا يا جو؟ هيبقى دينهم إيه؟ ولا دي ماتفرقش معاك؟ مين هيعلمهم الصلاة؟ مين هيحفظهم قرآن؟ بلاش دي. مين هيذاكرلهم؟ أبوهم اللي مش عارف يقف على رجليه من دماغه العالية؟!» ها قد ظهرت الحقيقة الآن. ها قد اعترفت بالحقيقة.

«أيوة يا إيناس. اظهري على حقيقتك! انتي كمان بتستعري مني! بطلي الشعارات، انت عندي أحسن من أي حد! انت أقوى من أي حد! مش ده كلامك؟ دلوقتي خلاص مابقتش أنفع أذاكر لعيالك؟! لا يا إيناس اتجوزي مدرس حساب! كفاية تمثيل بقى! أنا استحملت كتير! أنا وصلت لآخري! حرام عليكي! انتي السبب في كل اللي بيحصلي!»

«أنا السبب؟» هتفت في استنكار! ها قد تحركت مشاعرها أخيرًا! هذه الباردة! هذه الجبارة!

«أيوة يا إيناس! انتي السبب في كل اللي بيحصلي! لولاكي ماكنش حصل كل ده! لو كنتي بتعملي قد ما بتتكلمي ماكانش ده بقى حالنا. أنا كنت ابتديت أتحسن. انتي اللي عملتي فيا كده!»

«يا جبروتك يا أخي! يا جبروتك» شعرت بكف يدها يطيح بوجهي. ارتعدت أوصالها واختلجت عيناها بالدموع، «إياك! إياك..» بدت الرعشة في صوتها، لم أعد أميز ما تقول من البكاء، «إياك ترمي كل ده عليا. انت إيه؟ مفيش دم؟ مفيش إحساس؟ كل اللي بعمله عشانك ده وأطلع في الآخر أنا اللي وحشة؟ يااااااه!»

«أنا مقلتش كده» لماذا تراجعت بهذه السهولة؟ كم أنا جبان!

«هو فيه أوضح من كده؟ عمومًا يا جو. احنا مفيش بينّا حاجة. الحمد لله إنك عرفت حقيقتي بدري. بالمناسبة، كان فيه حاجة عاوزة أقولهالك. هي الظروف مش مناسبة بس أنا مايهمنيش، عشان أنا واطية».

«أنا ماقلتش كده» أطرقت برأسي في شعور بالعار لا أفهم سببه.

«فيه واحد اتعرفت عليه من أسبوعين» ألقت بالقنبلة في وجهي دون

رحمة.

«نعم؟! واحد ازاي؟» عادت الرؤية بشكل واضح تمامًا الآن. تصاعدت الدماء إلى رأسي.

«أيوة يا جو. اتعرفت على واحد. وأنا عاوزة أشوف الموضوع هيروح بينا على فين».

«هايل! هايل يا إيناس! هو ده اللي كان ناقص! ناقص كمان تدوسيني بالجزمة! عرفتيه فين الواحد ده؟ ماكنتش أعرف إنك رخيصة بالشكل ده!» شعرتُ بصفعة أخرى على وجهي. أظنني أستحقها هذه المرة.

«اطلع برّه. مش عاوزة أشوفك».

«برّه فين؟ بأي حق تط..»

«بقولك اطلع برااااا!» دفعتني بقوة تجاه الباب. اصطدمت بأحد. تبًّا إنها مي! إنها في كل مكان!

توقف المشهد للحظة؛ عينا مي ممتلئتان بالدموع، عينا إيناس منتفختان من البكاء وأقف أمامها مترنحًا كالمتسول. أشعر وكأن قطارًا قد دهس وجهي. ما هذا المشهد البائس؟ كيف نجحتُ في إيذاء كل من حولي بهذه الطريقة؟ أبي، أمي، أختي، مي، إيناس، وغيرهم كثيرون. هل أستحق الحياة؟ كيف وصلتُ لهذه المرحلة؟ متى كانت بداية الانهيار؟ من أنا؟ هل فكرت يومًا في عواقب ما أفعل، أم اقتصر تفكيري على إشباع رغباتي الحقيرة؟ كيف غابت عني هذه الصورة؟ صراخ، بكاء، جروح لا تلتئم، آمال تتحطم على صخرة الحقيقة، صلوات لا يُستجاب لها، لحظات فراق، فقدان للحس، وعود باهتة، وستار يُسدل على مسرحية تنتهي بالرحيل؛

ليس تخليًا عني، بل هروب من واقع لا يمكن تغييره. لم يتحمل أحد رؤيتي في هذه الحال، ولن يتحمل أحد. أتذكر نظرة والدتي وهي تودعني في المطار، كأنها تعتذر لي. كأنها تطلب مني مسامحتها على انهيار مقاومتها. هل أمتلك الحق في مسامحة من حولي؟ أم أنه عليّ أن أطلب السماح؟

«مي» قالت إيناس بلهجة خاوية.

«أنا قاطعتكم؟» ماذا تريد من رجل مثلي؟ أنصحها بالابتعاد عني. أنصحها بأن تركض بعيدًا لتتجنب الشظايا.

«لأ، أنا كنت خارج».

* * *

عمرو

هذه هي نور. آلة من الدراما. كلنا ضحية لدراما تفرض وجودها علينا. ها هو جو المسكين يبذل قصارى جهده ليخرج من أجواء الكآبة المسيطرة على المكان. أعرف ما قد يساعده.

«خد بلّع بقى بالإزازة دي. هتعلّي جامد».

«أنا قلتلك قبل كده يا عمرو إنك بايظ؟»

أشعر بأنني في مزاج أفضل. بين الحين والآخر أحتاج لراحة جسدية ونفسية من نور. ربما ظلمتها قليلاً؛ ففي النهاية ليست هي من تسبب في إحراجي بهذا الشكل السخيف. لا أعرف لماذا انفجرت فيها بهذا الشكل؟ أحيانًا لا أتقبل منها الكلمة، وفي أحيان أخرى أتوسل إليها لأسمع منها ولو كلمة. إنها مخطئة في النهاية. نبهت عليها مرات كثيرة ألا تسخر منّي أمام أحد. أستجيب دائمًا لطلباتها؛ ماذا عن طلب بسيط أطلبه منها؟ أيحق لها هي فقط أن تُملي شروطها؟ لماذا أضغط على نفسي دائمًا لإسعادها بينما تتصرف بشكل قد يثير استفزازي؟ على كل حال، لن أُضيع ما تبقى من الليلة في شجار عديم الفائدة. لا أحب الدراما. ماذا تركتُ لنور إذا كنت أنا المتسبب في مشكلة دون سبب؟ هذا تخصصها

هي. كم مرة اختلقتْ مشكلة واحتجتُ للتماسك كي لا يتفاقم الأمر؟ كأنه لا يحق لي أن أغضب ولو لمرة. دائمًا يحدث نفس الشيء؛ أغضب فأفرغ شحنتي بها، فتنتظر حتى أهدأ، لتعود بعدها وتوبخني كالمجنونة.

«انت بتزعقلي يا عمرو؟! بتزعقلي؟!» تبدأ صيحات الاستنكار والصراخ الجنوني.

«سوري يا حبيبتي. كنت متضايق. مش دايمًا بعرف أمسك نفسي» أكون دائمًا قد هدأت، فأعود لأمتص غضبها.

«لأ بعد كده أمّا تتضايق ماتتكلمش معايا كده! أنا مش عيلة صغيرة عشان تزعقلي!»

«برودك بيستفزني يا نور!»

«ده غصب عني. الحياة خلتني أبقى كده».

«قلتلك لازم تسيبي نفسك. ماتقفليش على نفسك. باتجنن لما مابقاش عارف إيه اللي في دماغك. وبعدين زي مانتي بتبقي باردة غصب عنك، أنا بزعق غصب عني».

«ماتزعقليش تاني يا عمرو» تشير بإصبعها.

«هحاول يا حبيبتي» أقبل يدها وأحتضنها على مضض. هكذا هو السيناريو دائمًا. قد تتغير بعض الكلمات أو الإشارات؛ لكنه واحد. لا يحق لي أن أغضب. مهما كانت باردة أو مستفزة لا يحق لي أن أغضب. يحق لها التعبير عن انزعاجها بطريقتها السلبية بينما رد فعلي العنيف يضايقها، فأصبح في النهاية أنا المخطئ. أي قاض في العالم سيحكم عليّ بأنني المخطئ دائمًا. يفترض أن أتحول إلى إنسان آلي خالٍ من المشاعر. لا

أغضب، لا أشعر بالاستفزاز، لا أنفعل ولا أتكلم. أحتضنها وقتما تبكي، أستمع إليها عندما تصرخ، أجلس بجوارها صامتًا في لحظات برودها منتظرًا أن تستفيق، وألا أتركها وحدها ولو لثانية. أتذكر الليلة التي سبقت رحيلها رسميًا عن العمل! ظلت تبكي طوال الليل! طوال الليل! ليس تعبيرًا مجازيًا أو طريقة للتهويل من الأمر؛ بل حرفيًا، طوال الليل.

«خلاص يا عمرو! هيمشّوني! هابقى من غير شغل!»

«مش كنتي نسيتي الموضوع ده؟ إيه اللي فكرك بيه دلوقتي؟» أيقظتني من النوم لتخبرني بشيء تحدثنا عنه لأشهر.

«إيه اللي فكرني؟ بقولك بكرة آخر يوم يا عمرو! آخر يوم!» صاحت في انهيار شديد.

«أيوة يا حبيبتي، فهمت. ماتضايقيش نفسك. بكره تلاقي شغلانة أحسن منها مليون مرة» تثاءبتُ في صوت مسموع.

«طبعًا! مانت بتشتغل ومش فارق معاك! هيفرق معاك إيه! عايز تنام وتسيبني!»

«أنا قلت حاجة يا حبيبتي؟ مانا معاكي أهه. عاوزاني أقعد في البيت جنبك عشان تبقي مرتاحة؟ بلاش أشتغل؟»

«بتتريق عليا يا عمرو؟! بتتريق عليا عشان هقعد في البيت؟!» العجيب أن كلامها السخيف لم ينجح في إفاقتي من النعاس الشديد الذي سيطر عليّ. كم تعشق الدراما! دائمًا ما تجد مجالاً للدراما.

«يا حبيبتي أنا متضايق عشانك».

«واضح. عاوز تسيبني وتنام! هتسيبني في الحالة دي يا عمرو؟!»

لم تطق أيًا من كلامي ولم تتركني لأنام. ماذا كانت النتيجة؟ أن تأخرت على اجتماع هام في اليوم التالي وتعرضت لتوبيخ كنت في غنى عنه.

ها أنا وحدي ثانيةً في الغرفة. إن خرجت سأضطر إلى مواجهتها ثانيةً. كم هذا ثقيل على قلبي! سأبذل مجهودًا لمصالحتها لا يبذله عدّاء في ماراثون. من هذا؟ حسام؟ ماذا يفعل حسام هنا؟

«إيه يا عمرو» أنحن صديقان الآن؟ علاقتي به لا تتعدى المزاح عديم المعنى. «خير يا حسام؟»

«مالوش لازمة الموقف اللي عملته مع نور. ماتنساش إنه عيد ميلادها. بعد ما تعبت عشان تعملّها أحلى سهرة هتبوظها عشان خناقة عبيطة؟» لا أصدق أن حسام أصاب عين الحقيقة. حسام!

«معاك حق».

«تعالى عشان تصالحها».

كل هذا وفي النهاية لن يتذكر أحد أنني صاحب الفضل في هذه الليلة. لا يتذكر أحد المحاسن، بل المساوئ فحسب.

كيف ستتذكر نور هذه الليلة بعد سنوات؟ أستتذكر أنها الليلة التي طلبت الزواج بها بشكل رسمي لأول مرة؟ لا! ستتذكر أنها الليلة التي أفسدتُ فيها عيد ميلادها. هذه طبيعتها، وطبيعة كل النساء. سأنقذ هذه الليلة لأجلي قبل أن أفعلها لأجلها. سأحافظ على مظهري. لن أسمح لأحد باتهامي بالأنانية أو أنني لم أفكر بمشاعرها في ليلة عيد ميلادها. على العكس، سأعترف أنني أخطأت بحقها ليحترمني الجميع ويقدّر

رجولتي.

أعرف أنه ظلم كبير لي لكنها الوسيلة الوحيدة لمنعهم من التكاتف ضدي. قادني حسام إليها. ها هي تجلس عابسة الوجه. ما الجديد؟ تعشق الدراما. لو تشاجرتُ مع فيلو أو جو لانتهت المشكلة بلكمة في الأنف على سبيل المزاح؛ مع نور، لا يوجد حل واضح. على غير العادة، لا أظنها ستتمادى في حزنها. لديّ ما يشفع لي الآن. طلبت يدها للزواج! كيف تترك شجارًا تافهًا يقضي على هذه الليلة؟ لا أظن هناك من هو بهذه السماجة.

«شوفي أنا جبتلك مين» قال حسام في فخر. لماذا ترافق خلود هذا الأحمق؟

«أنا عاوزة أمشي يا حسام. يلا نروّح» قالت خلود في ضيق.

«ليه؟ حد ضايقك؟» سألها حسام في دهشة.

«لأ. عاوزة أروح يا حسام. تعبانة!» هتفت في لهجة لا تحتمل النقاش.

«ألف سلامة يا حبيبتي. ألف سلامة» قال حسام في ارتباك.

«يووووووه. غيّر هدومك وحصلني على العربية».

«سوري يا خلود لو كنا فصلناكي. سوري بجد» حاولتُ إقناعها بالبقاء لكنها تبدو منزعجة تمامًا. رحيل خلود يؤكد فشل هذه الليلة. لا مفر.

«مافيش حاجة يا عمرو» اختفتْ عن أنظارنا. أسرع حسام لارتداء ملابسه. لا أجد ما أقول. عليّ الالتزام بخطتي. سأتخلى عن حقي

لأرضيها ولو لهذه الليلة.

«حقك عليا يا نور» قلتُ بلهجة حذرة. أتوقع رد فعل لن يعجبني.

«لأ عادي يا عمرو. مفيش حاجة» أجابتني في برود. ها هي تفعلها ثانيةً.

«خلاص مابتوظيش الليلة. عشان خاطري أنا. مكانش قصدي» ضممت قبضة يدي حتى كادت تنكسر. أبذل مجهودًا خرافيًا للسيطرة على أعصابي الآن.

«أوكيه يا عمرو. مفيش مشكلة» تتجنب النظر إليّ.

«نور! أنا عامل الليلة دي كلها عشانك! بلاش نكد!»

«أنا قلت حاجة؟ مانا عادي أهه» نفد صبري! هذه هي!

«لو ماتكلمتيش دلوقتي يا نور مش هيحصل كويس!» هتفت بها.

«انت بتزعق ليه دلوقتي؟! أنا كلمتك؟»

«مبحبش طريقتك المقرفة دي. كام مرة أقولّك بلاش طريقتك المقرفة دي! دي مابقتش عيشة! مفيش فايدة فيكي! مهما أعمل مش عاجبك؟ انتي بيعجبك إيه؟» فقدتُ السيطرة تمامًا على أعصابي.

«والله بقى يا عمرو دي طريقتي! لو مش عاجبك يبقى بلاش نكمل أحسن. عاجبك ولا مش عاجبك؟!» صاحت في تحدٍ مستفز. هذه هي نورا تقول ما لا تتحمل عواقبه. أراهن أنها تهذي محاولة كسب المناقشة فحسب.

«مش عارف» وجدت نفسي أجيبها في هدوء عجيب.

«مش عارف عاجبك ولا لأ؟» سألتني بصوت خافت في دهشة. ألم أقل إنها لا تتحمل عواقب ما تتفوه به؟

«لأ يا نور. مش عارف عاوز أكمل ولا لأ».

دائمًا ما يقول الناس إن الغضب حماقة، وأن الشخص يقول ما لا يقصد في أوقات غضبه، أو في ساعات اندفاعه. أنا أرى العكس تمامًا. لا يعرف الإنسان ما بداخله حقًّا إلا عندما يقع تحت طائلة الضغط. لا أعرف كيف قلت ما قلت الآن. هل وصلتُ لأقصى درجات تحملي؟ هل انهارت كل دفاعاتي؟ أحقًّا لا أعرف إن أردت الاستمرار معها أم لا؟ لم تمر ساعة منذ طلبت يدها للزواج والآن لا أعرف إن أردت الاستمرار معها أم لا؟ تعجز نور عن النطق. لا ألومها. أنا أيضًا لا أجد ما أعقب به. أحيانًا ينقذ السكوت المواقف الصعبة، أمّا هذه اللحظة فلن ينقذها إلا الكلام.

«انت ما صدقت يا عمرو، مش كده؟ من ساعة ما كلمتني عن الجواز وانت مش على بعضك. هتموت وتطلع تجري! صح يا عمرو؟» العدوانية هي إجابتها على كل شيء.

«مش عارف يا نور» كأنني لم أعد أحفظ سوى هذه الجملة.

«انت أكيد مش ندل كده يا عمرو؟ صح؟ انت مش قليل الأصل، صح؟»

«مش عارف يا نور» ظل الذهول على وجهها.

ليس لديّ كلام لأنقذ اللحظة. لا أعرف إن أردت إنقاذها أم لا. طوال الوقت فكرتُ في كيفية الحفاظ على علاقتنا. انشغلت بهذا كثيرًا

لدرجة أن نسيت شيئًا هامًا؛ هل أنا سعيد أم لا؟ نندمج في الشيء لدرجة أن ننسى لماذا بدأناه من الأساس. لماذا أنا مع نور إن كنت أبذل مجهودًا مضاعفًا طوال الوقت للحفاظ على علاقتنا؟ اليوم الذي يمر دون شجار أعتبره انتصارًا. أي حياة هذه؟ لماذا أحاول إنقاذ ما لا يمكن إنقاذه، أو ما لا ينبغي إنقاذه؟ لماذا اعتقدت أن شيئًا ما سيتغير؟ لن يحدث هذا أبدًا. لا تعرف نور الضغوط التي أمر بها لأبقى معها. لا تعطيني أي سبب لأحارب من أجلها. ظننت أن شعورها بعدم الأمان وحبها الجارف للدراما سيختفي بعد أن تطمئن على مستقبلها معي. الحقيقة هي أنها ستظل هكذا للأبد. بعض الأمور لا تتغير، وبعض السلوكيات تظل كما هي. أستختفي نوبات غضبي يومًا ما؟ لا أظن. أستنتهي مواقفها الدرامية؟ يستحيل. كم هي صعبة! كم هي معقدة! خدعت نفسي لأتوقع أننا سنتغاضى عن عيوب بعضنا البعض ونعيش حياة سعيدة. إنها مشكلة ستظل تؤرقنا إلى الأبد. لو استمرت علاقتنا سنظل نتشاجر لنفس الأسباب. وما الثمن؟ هل تستحق حياتي مع نور الثمن الذي سأدفعه؟

«رد عليا دلوقتي يا عمرو! ما ترد عليا!»

«بلاش نتكلم يا نور» أعرف ما ينبغي عليّ فعله الآن؛ الرحيل.

* * *

خلود

لا أكره فيلو. إنه طويل اللسان وجريء بشكل أقرب للحماقة، لكنني لا أكرهه. ربما سلوكياته المجنونة هي ما جعلته يلفت انتباهي. التلاعب بأعصابه أمر مسلٍ جدًّا. من منا لا يحب الانتباه؟ الانتباه الذي يغمرني به يصعب مقاومته. بجانب أنه تصدى لحسام! كل من شاهد المعركة سيؤكد أنه طرحه أرضًا. لقد تغلب على الوحش بمفرده! أي شخص يفعل ذلك ولا يحظى بإعجاب أي فتاة؟ نسيتُ أهم شيء! لقد صنع لي «تراك»! من أجلي أنا! لا أعرف الوقت الذي يستغرقه ذلك، لكنه جلس على الأقل ليلة كاملة يفكر بي. هذا أكثر شيء رأيته رومانسية في حياتي، وفي نفس الوقت أقل أنواع الرومانسية مرضًا. فلنكن صريحين، معظم أنواع الرومانسية تكون مريضة ومخيفة. رأيت لفتات «رومانسية» كثيرة أثارت ذعري. في الجامعة قابلت من جمع عني المعلومات كي يعرف أوقات محاضراتي ليلتقيني بالصدفة، قابلتُ من سار خلفي كل يوم ليعرف عنوان بيتي، قابلتُ من أفرغ إطارات سياراتي، قابلتُ من تشمم المقعد الذي أجلس عليه، قابلتُ من سرق شيئًا منّي ليعيده إليّ كأنه وجده، قابلتُ من ألّف لي أشعارًا! أشعارًا! أيوجد ما هو أكثر ابتذالاً؟ الموسيقى أكثر الطرق رقيًا لقلب الفتاة. حقيقة أنني أفكر بهذه التراك

وحدها تعني أنه وصل إلى ما يريد.

«سيبك انت من البق الحمضان ده. احكيلي عن التراك» لا أستطيع نسيان هذه اللفتة.

«أنهي تراك؟» سألني في خبث. وكأنه لا يفهم ما أقصد، كأنه لم يقضِ اليوم كله يحلم برد فعلي تجاه هذه التراك. سأجاريه في تمثيليته المسلية.

«التراك بتاعتي. قلتلي اسمها إيه؟»

«ماقلتش. اسمها Immortalite» ابتسم في فخر.

«مين؟ إنجليزي ده يا مرسي؟» عجزت عن إغلاق فمي. كم أنا جاهلة!

«لأ فرنساوي» أجابني ضاحكًا.

«فارانساااويـي» المضحك أنني أقرأه ككتاب مفتوح. أفهم تمامًا ما يحاول القيام به، وفي نفس الوقت أجد تسلية غريبة في مجاراته. يعجبني ما يقوم به رغم أنني أفهمه تمامًا. يحاول أن يجعلني أشعر بأنه يتفوق عليّ في اتجاه ما، وبالتالي نصبح متساويين. جمالي يفوق ثقافته في اللغات، ولن يغير ذلك شيئًا.

«و دي معناها إيه بقى يا فيلو؟»

«خلود» حقًا؟ مبتكر.

«اسمها خلود؟ يا دماغك. أستاذ. اسم جديد. جه في بالك ازاي؟» لماذا ينظر إليّ هكذا؟ وكأن يعجبه كل حرف أتفوه به. إنه يعرف ما يفعل. أكانت أمامه فرصة لو لم ألتقِ بحسام؟

«لأ. اسمها Immortalite».

«يا عم اسمها خلود بالفرنساوي. حلو كده. ماتتنططش علينا بقى» ضحكنا معًا. عاد لينظر إليّ ثانيةً بنفس الطريقة. هل يحاول تنويمي مغناطيسيًا؟ «قولّي بقى. على أي أساس بتختار الأغاني اللي بتلعبها؟»

«على حسب اللي قدامي. بالعب التراك اللي تخلّي الناس ماتبطلش تنطط».

«يعني لو لعبت حفلة أنا فيها، مش هبطل أتنطط؟» سألته في دلال. لماذا أجاريه في لعبته؟ إنه ذلك الاهتمام اللعين! لماذا أتمادى لأثير جنونه؟

«كل تراك بالعبها يا خلود، بابقى عارف بالظبط انتي هترقصي عليها ازاي» قال في ثقة.

«يا سلام؟ طب والتراك دي هرقص عليها ازاي؟» بدأت أتمايل يمينًا ويسارًا. عيناه تخترقان جسدي. أظنه يرى بالفعل ما أسفل ثوب السباحة. كم هذا ممتع! لن يضيره أن أمرح معه قليلاً.

«بتتريقي؟ ليكي عندي حفلة لوحدك نشوف فيها» أجاب في تحدٍ، واضعًا يده حول خصره.

«لوحدي لوحدي؟ مش خايف من حسام؟»

«ماحنا مش هنقول لحسام» ضحكتُ بشدة! لم أتوقع ردًا كهذا. توقعتُ ردًا سخيفًا على شاكلة أنه لا يخاف أحدًا. ها قد بدأت اللعبة تختلف. بدأ يبتكر فعلاً، وليس ابتكارًا ساذجًا مثل اسمي بالفرنسية.

«ماقلتليش طيب. على أي أساس برضه بتختار الأغاني!» إنه بارع

للغاية. يجب أن أعرف سر المهنة.

«هقولك على حاجة. أنا بسمع كل التراكات الموجودة. كل يوم بسمع جديد. بتفضل السماعات في ودني طول النهار. التراك اللي تخليني آخد بالي منها بس هي اللي بخليها عندي».

«يا سلام؟ طب ما فيه تراك ممكن ماتعجبكش من أول مرة، ولما تسمعها كذا مرة تعجبك».

«لأ يا خلود. ماتبقاش عاجباني، أبقى اتعودت عليها. التراك الجامدة هي اللي تشدني في أي وقت، وفي أي ظروف. إنما التراك اللي تعجبني مع الوقت يبقى كأني راضيت نفسي بحاجة مش عاجباني. كأني باقنع نفسي بالعافية إني بحبها، أو إني عاوز أحبها. لازم التراك تعجبني من أول مرة، وكل مرة أسمعها. أي تراك بيبقى أولها فاضي، وآخرها فاضي عشان نعرف نعمل الميكس، بس بيبقى فيه لحظة في النص التراك بتقف. عارفة اللحظة الهادية دي؟» ظللت مشدوهة. لماذا يذكرني حديثه بحسام؟ لماذا خطر على بالي هذه اللحظة؟

«آه عارفاها» قلتُ في حذر.

«ركزي كده مع التراك دي. اسمعي يا خلود» أغمض عينيه في اندماج شديد. «اللحظة دي يا خلود.. بتبقى فيها النغمة الرئيسية بتاعة التراك. بتبدأ النغمة تتعزف، وتعلى واحدة واحدة» عزف بأصابعه على الهواء، «بعديها التراك بتطلع ويرجع الخبط تاني مع النغمة. لازم جسمي كله يقشعر. حسيتي بيها؟» شعرت بالقشعريرة في جسدي كله، من رأسي وحتى قدميّ.

«آه. حسيت».

«بصي. شايفة بقيتي عاملة ازاي. أديكي قشعرتِ أهه» أشار إلى ذراعي ضاحكًا، «وبصي كمان..» أشار إلى صدري فضربته على رأسه في خجل.

«احترم نفسك. كل مرة بتسمع التراك بتحس بيها؟ كل مرة؟» سألته في دهشة.

«كل مرة لازم جسمي يقشعر. وإلا التراك ماتلزمنيش» هز كتفيه في ثقة.

«ماتلزمكش؟» رددت خلفه في ذهول.

«عمرك حسيتي قبل كده إنك بتحاولي تقنعي نفسك إنك بتحبي حاجة، رغم إنها ماتلزمكيش؟» ماذا يقصد بهذا السؤال؟

«انت أليط قوي يا فيلو. حتى التراكات بتتمنظر عليها؟ إيه يعني لما تسمع التراك مرة وماتقشعرش. تنسى كل المرات اللي اديتك الإحساس ده فيها قبل كده؟» لماذا أحاول إقناعه بذلك؟

«التراك الحلوة يا خلود مابتحاولش تعجبني. التراك الحلوة بتعجبني! وكل مرة أسمعها لازم تعجبني، ولازم تشدني وحتى في أسوأ الظروف. حتى لو في عزاء والدتي» ما هذه الثقة التي يتحدث بها؟

«حتى لو..»

«مفيش حتى لو يا خلود. اوعي تتمسكي بحاجة مش بتخليكي مبسوطة على طول. ماتحاوليش تحبي حاجة بالعافية. الحاجة اللي بتحبيها عمر ما هييجي الوقت وتشكّي إنك بتحبيها. ماتراضيش نفسك بحاجة

أقل منك. انتي أعلى من أي حاجة يا خلود» تبدلت لهجته، كأنه يتوسل إليّ.

«انت بتتكلم على إيه يا فيلو؟» شعرت بالقشعريرة تسري في جسدي كله.

«عن التراك طبعًا» عادت ابتسامته ثانيةً، «أصل التراك لما تديها فوق حقها ممكن تشوف نفسها عليكي».

حسام. أُقسم أنه يتحدث عن حسام! يستحيل ألا يحمل كلامه معنى دفينًا. أم أنا من تنتابني الوساوس؟ كلا! لست مجنونة! لماذا سيخطر على بالي إن لم يكن يقصده؟ أليس كذلك؟ أم إن على رأسي ريشة؟ هل أقنعني كلامه بهذه الطريقة؟ لا! لم يقنعني بشيء. لم يبذل أي مجهود ليشير إلى شيء. أنا من على رأسي ريشة. هكذا أشعر دائمًا. دائمًا ما أعطي الفرصة لحسام على أمل أن أشعر بالسعادة التي شعرتها معه في يوم ما. لماذا أراضي نفسي بشيء لا يسعدني طوال الوقت؟ لماذا أعطيه فوق حجمه؟ لكنني أحبه! أحتاج إليه! في أوقات كثيرة أستمتع معه ونكون على وفاق! في أوقات كثيرة.. في أوقات كثيرة.. ليس طوال الوقت. أهناك من يشعر بالسعادة طوال الوقت؟ لا أعلم. لا أستطيع التفكير. أشعر بدوار شديد. أشعر بالاختناق. لا أتحمل البقاء هنا.

«أنا هروح أغير هدومي».

«إيه ده؟ هتمشي؟» بدا عليه الانزعاج.

«أيوة. تعبانة، مش قادرة».

دخلتُ لأغّير ملابسي. أشعر بثقل شديد على صدري. لا أطيق رؤيته

الآن. لا أطيق صوته. ليست أول مرة أشعر بذلك. كثيرًا ما شعرت بالرغبة في الانفصال عنه. لماذا أوافق على البقاء معه مادام يثير توتري واشمئزازي معظم الوقت؟ ألأنني أستمتع بمرافقته والخروج معه في أوقات أخرى؟ أي علاقة هذه المبنية على يوم من السعادة ويوم من التعاسة؟ إما السعادة التامة وإما فلا! هذا ما قصده فيلو حتمًا! لماذا هربت من هذه الحقيقة طويلاً؟ أحب حسام؟ نعم.. في أوقات كثيرة. ثانيةً؟! أهو حب مؤقت؟ أهي علاقة تكافل؟ إنه يرعاني في أوقات كثيرة.. تبًّا لهذا التعبير! لا أعيش «في أوقات كثيرة»، بل أعيش دائمًا! أريد سعادة دائمة. لا أريد طفلاً يزعجني ويثير الشغب، أريد رجلاً! أريد من أشعر معه بالمتعة والسعادة الحقيقية. أستحق هذا. أريد «تراك» أستمتع بها كلما سمعتها. أحتاج إلى تراك تخرجني من أي مزاج مهما كان سيئًا. أحتاج إلى تراك أحبها، لا أقنع نفسي بأنني أحبها. تبًّا، أحتاج إلى رجل غير حسام! رجل أشعر بالاطمئنان وهو يجلس معي أنا وأصدقائي، لا قنبلة موقوتة.

انتهيتُ من ارتداء ملابسي. خرجتُ لأجد تجمعًا من الوجوه العابسة. لا أحتاج لهذه الكآبة في حياتي. علاقتي بهم مبنية على المرح والسعادة فقط! هذا ما تعنيه صداقتهم بالنسبة لي. اليوم الذي يتسببون لي فيه بالصداع والاكتئاب، هو اليوم الذي أمتنع فيه عن الانضمام لخروجاتهم ثانيةً. سلوكياتهم بدأت تخرج عن حدود المعقول. لا ننسى أيضًا وجود مي بينهم، مما يعني المزيد من الدراما والاكتئاب. لم آتِ الليلة لأجل نور، بل لأستمتع. لم أهتم كثيرًا بالأحداث السخيفة التي دارت. سأكون صريحة، أي منهم يهمني أمره؟ إيناس صديقتي؛ لكن لست مجبرة على تقبل أصدقائها. لماذا تمتلك هذه العادة السخيفة في تعريف الناس ببعضهم؟ نعم، أعرف؛ كي تجد الوقت لهم جميعًا. حسنًا، إن لم تجد الوقت لي من

أجل هؤلاء، فربما لا تهمني صداقتها هي الأخرى. لا نتقابل أبدًا إلا في خروجات كهذه. إن فكرت في الأمر جيدًا، فإيناس تشترط بشكل غير مباشر أن أنضم إليهم لو أردت مقابلتها، لأنها لا تجد الوقت لي. وقتها كله مشغول مع هؤلاء. حان موعد اختبار صداقتنا الحقيقي. سنرى إن بذلت مجهودًا لتقابلني لو رفضتُ الانضمام إليها هي وأصدقائها ثانيةً. سنرى. ها قد عاد حسام من مغامرته التافهة لجمع الشمل. كتلة من التفاهة والحماقة. انظروا كيف يبدو! عقل طفلة في جسد عملاق. ها هو يستمع لتعليماتي كالأبله. عن أي رجولة يتحدث وهو يسير خلفي كالمعتوه؟

«ألف سلامة يا حبيبتي. ألف سلامة» يبالغ في رد فعله كالمعتاد! من هذا الأحمق؟!

«يووووووه. غيّر هدومك وحصلني على العربية».

محاولات واهية من عمرو للاعتذار. كأنني أهتم! خرجت أخيرًا من قلعة الكآبة هذه. أين سيارتنا؟ ها هي! أهناك سيارة ناقصة؟ لا أرى سيارة إيناس. لا يهم. جلستُ في سيارتي. نعم، أتيتُ بسيارتي! لهذه الدرجة أحاول فرض وجودي واستقلالي في هذه العلاقة البائسة. نعم، إنها علاقة بائسة. لماذا لازلت معه؟ هل أتركه هنا؟ لا، يجب أن أتعقل قليلاً. لماذا انجرفت هكذا؟ لماذا تسرعت؟ كلام فيلو دخل في رأسي ولا يريد الخروج. ربما هذا هو قصده! يريد أن أترك حسام فيصبح الملعب خاليًا له. فيلو أحمق! إنه لا يعرف أي شيء سوى الموسيقى والرقص. لا يفقه شيئًا في الحياة. لماذا آخذ بكلام فيلو؟ علاقتي مع حسام جيدة. أحب حسام. لا يوجد سبب واحد لأتركه الآن.. أقصد سببًا قويًا.. لم يفعل

شيئًا اليوم كي.. اليوم؟! أهو تقييم يومي؟ ما هذا البؤس؟ لا، لا! لا يوجد سبب لأتركه. لن أكون ظالمة. إنه يحبني بجنون. وأنا أحبه.. أظن. نعم، أحبه. أقضي معه أوقاتًا ممتعة. وأنا ثملة؟ ألم ألحظ ذلك من قبل؟ كل أوقات سعادتي معه لا أكون في وعيي. إنه رفيق للكأس، شريك للرقص والمرح، لا رجلاً أقضي معه بقية حياتي. لا، لن أتركه. لست ظالمة. لست ظالمة.

«اتأخرت عليكي يا حبيبتي؟» دخل السيارة لاهثًا.

«اطلع وانت ساكت» أرأيتم؟ أحبه. تبًّا!

* * *

مي

لماذا دخلت عليها؟ لماذا وضعت نفسي في هذا الموقف؟ خدعتُ نفسي طويلاً. أعلم جيدًا أن علاقتهما تتعدى الصداقة بشكل كبير جدًّا. إلى أي حد يستعد الإنسان للتضحية بكرامته؟ لم أعد أنتبه. ألازال عندي كرامة؟ أشعر بالأسف الشديد على نفسي؛ شعور أصبح يراودني أكثر من اللازم. تحولت إلى أضحوكة. ها أنا أبكي أمامهما كالحمقاء. أتعرفون ما المؤسف؟ أن كل ما يشغلني الآن هو كيف سيظن بي جو وأنا أبكي هكذا! كم أنا ساذجة! لن يهتم لأمري أبدًا! عقله وقلبه في مكان آخر تمامًا. أنا في آخر قائمة اهتماماته؛ فكرة عابرة سينساها بعد دقيقة. كيف أنسحب لأحافظ على ما تبقى لديّ من احترام للذات؟

«أنا قاطعتكم؟» التظاهر بأنني لا أفهم شيئًا هو الحل الوحيد؛ لكن كيف أفعلها مع أنهار الدموع هذه؟

«لأ. أنا كنت خارج» هرب جو من الغرفة.

لا يطيق البقاء معي في مكان واحد. دفعته إلى الحافة. لم يعد يطيقني أحد. نجحتُ في انتزاع كراهية كل من حولي. انتزعتها! حتى من لم يرد أن يكرهني أجبرته على ذلك؛ فيلو لم يعد يتحدث إليّ. عن أي احترام

ذات أتحدث؟ أنا في مكان لا يريدني به أحد. أنا ضيفة ثقيلة. صاحبة الليلة نفسها اندهشت عند رؤيتي وتمنت لو لم آتِ منذ البداية. قد تكون صاحبة الليلة قليلة الذوق؛ لكن تظل الليلة ليلتها. ماذا أنتظر لأفهم الرسالة الواضحة؟

«انتي كويسة يا مي؟» سألتني إيناس بدافع الواجب حتمًا.

«آه تمام. انتي سايبة شنطتك فين؟» الرسالة واضحة تمامًا. الضيف الثقيل يعرف أن وجوده غير مرغوب فيه، ورغم ذلك يظل جالسًا دون أي علامة للرحيل في أي وقت قريب.

«هتلاقيها في الأوضة بتاعتنا» لم تهتم حتى لتسأل عن السبب. ما الجديد؟ أنا آخر اهتماماتهم جميعًا. لا، إيناس تحبني؛ إنها فقط في حالة مزرية. لن ينتبه أحد في موقفها لأي شيء.

بحثتُ في حقيبتها. ها هو مفتاح السيارة. لست ضيفة ثقيلة. سأرحل الآن. لا يمكنني الانتظار أكثر من ذلك. أريد الابتعاد عن هنا بأسرع ما يمكن دون أن أنظر خلفي. ارتديتُ ملابسي. تذكرتُ كيف أثناني جو عن قرار الرحيل في الصباح. ليتني رحلت! ما كان وصل بنا الحال إلى هذا. لم يفت أوان الرحيل بعد. يجب أن أتسلل كي لا يلاحظ أحد غيابي. بالكاد لاحظوا غيابي في المرة الأولى، من سيلاحظ غيابي الآن؟ لا أحد. لن يراني أو يهتم أحد حتى إن سرت أمامهم. أنا مطرودة من هذا المكان، أنا غريبة. الطيور على أشكالها تقع. يختلف لون ريشي عنهم، فلماذا أحاول الاندماج معهم؟ لا مجال لذلك بعد الآن. لم يتركوا لي الاختيار. ما طبيعة علاقة جو وإيناس؟ لا أريد أن أعرف. الجهل نعمة. ألم تقل لي من قبل إن اختلاف الدين لن يسمح أبدًا بقيام علاقة بيني

وبينه؟ أم كانت تلك طريقتها في إبعاد الشبهات؟ لا أتخيل أبدًا كيف تُفكر. أنا كتاب مفتوح بالنسبة لها، بينما أحتاج دروس محو أمية لأستطيع قراءتها. انطلقتُ بالسيارة. أول خطوات العلاج هي الابتعاد عن مكان وجودهم. شاهدت الفيلا تبتعد في مرآة السيارة. إلى أين أذهب الآن؟ في ظروف كهذه دائمًا ألجأ إلى.. إيناس. تبًّا! إلى أين أذهب؟ هل أستدير وأعود ثانيةً؟ بهذه السرعة شعرتُ بالخوف؟ ربما لهذا لا يأخذني أحد على محمل الجد. بالمناسبة، كيف ستعود إيناس إلى بيتها؟ لم يخطر هذا على بالي. كيف سأعيد السيارة إليها؟ لم أفكر بذلك أيضًا. معظم قراراتي مندفعة وغير محسوبة، وغالبًا ما تنتهي بالفشل الذريع. ربما إيناس محقة؛ لا أفكر أبدًا بغيري. ربما أنا أنانية. وما النتيجة؟ سأعود إلى بيتي وأنا أجر أذيال الخيبة. يمكنني إيجاد أي عذر أخبر به خالد. إنه خائن! لماذا أهتم لأمره؟! لا أتحمل العودة. لا أريد أن يراني أحد في حالتي هذه. لقد نامت البنات في كل الأحوال ولن يفتقدنني في أحلامهن. في هذه اللحظة أكتشف أنني قليلة الحيلة. لا أمتلك أصدقاء غيرهم؛ غير إيناس إن شئنا الدقة. أنا بائسة. انهمرت الدموع ثانيةً. تشوشت الرؤية قليلاً. مسحت عينيّ بكمي. نظرتُ في المرآة. عيناي محمرتان تمامًا، وكذلك أنفي. أبدو كالمدمنين. أنا فعلت هذا بنفسي. أستحق هذا الهراء! تبًّا! استسلمتُ لدموعي هذه المرة. أمثالي لا يستحقون الانتباه، بل أن يموتوا على جانب الطريق دون أن يلتفت أحد إليهم. أقصى انتباه يحصلون عليه هو تجمع المارة لمشاهدة مراسم نقل جثتهم. أمطار من الدموع تخفي رؤيتي. فجأة دوى صوت انفجار شديد. ما هذا؟ يا إلهي! فقدتُ التحكم في السيارة.

أحاول الإمساك بعجلة القيادة لكنني ضعيفة! يمينًا ويسارًا، يمينًا ويسارًا! لا أرى شيئًا. لا أعرف ما أفعل. اصطدمت السيارة بالرصيف

وطارت في الهواء.

لماذا يرى المرء شريط حياته كله أمام عينيه قبل أن يموت؟ تعددت النظريات بشأن هذا الأمر. كيف أعرف؟ امرأة ضائعة مثلي تجد وقتًا طويلاً لمشاهدة التلفاز. هناك من يقول إنه الأدرينالين، وهناك من قال إنها طريقة يخفف بها الإنسان على نفسه من هول الموقف، وأخيرًا، هناك من يقول إنه بسبب تزايد نسبة ثاني أكسيد الكربون في الدماء، وربما القليل من البوتاسيوم، لم أفهم جيدًا. تساءلت كثيرًا عن مدى صحة هذه التجربة. لطالما سألت نفسي هل يرى المرء حياته كلها بالفعل أمام عينيه قبل الوفاة؟ كيف يراها؟ هل يرى مقتطفات صامتة، أم يسمع أصواتًا؟ هل يرى جسده، أم يراها من خلال عينيه؟ أهو أشبه بالحلم حيث تشعر أنه طويل بينما في الواقع لم تمر ثوانٍ؟ أي أشياء تظهر، أهي الأحداث الفارقة أم قد يرى مشهدًا غير ضروري؟ هل العقل الباطن هو الذي يختار ما يرى؟ هل يتذكر أحداثًا من طفولته لم يظن أنه سيتذكرها أبدًا؟ ماذا إن كان الموت مفاجئًا، ألن يجد الوقت لمشاهدة شيء؛ يموت دون أن يحصل على أبسط حقوقه، وهو مراجعة شريط حياته؟ أسئلة كثيرة ولم أجد لها يومًا إجابة. لم أتوقع أن تأتي الفرصة لأشهد الواقعة بنفسي. لم أتخيلني سأموت عم قريب. ها قد أتت الفرصة أمام عينيّ، أقل ما يمكنني فعله هو الاستمتاع بها. لماذا لا أرى شيئًا؟ ألأنه لا يوجد ما يستحق رؤيته؟ لا، لا يسير الأمر هكذا. قطعًا لا! ألأنني لن أموت؟ وماذا أدراني؟ ربما لأنني متقبلة حقيقة الموت، وبالتالي لا يوجد توتر جسدي كافٍ؟ حياة مثل حياتي لا يوجد من يبكي عليها. الوداع أيتها الحياة. تمر الصور أمامي الآن بوضوح، بناتي.. إيناس.. جو.. جو؟!! ثانيةً؟ تبًا! آخر ما سمعت هو صوت ارتطام السيارة بالأرض.

* * *

فادي

هل أغضبها كلامي لهذه الدرجة؟ ماذا قلت؟ اللعنة! آخر ما أردت هو أن أنفّرها منّي. هل لأنني داعبتها بمزحة قذرة؟ لا أظن هذه المشكلة؛ فقد اعتادت ذلك. ماذا تغيّر إذن؟ لماذا هربت كأن هناك من يطاردها؟ الأمر مريب وليس له تفسير. أضعت الفرصة للتقرب منها أكثر. كانت الأمور تسير بشكل ممتاز. كانت مستمتعة بحديثنا ولغة جسدها أشارت بأنها تستلطفني إلى حد كبير. شعرتُ بحرارة جسدها، وبالذبذبات تنتقل منها إليّ بشكل واضح؛ أو هكذا ظننت. كل شخص في شأن مختلف عن غيره الآن؛ عمرو يبحث عن مكان ليختبئ فيه حتمًا بعد شجاره مع نور، نور تبكي باحثة عن حضن ترتمي به، إيناس تحاول احتواءها، جو يحاول البقاء في وعيه، مي تـ.. أين مي؟ ثانيةً، لن أطرح هذا السؤال، أمّا أنا فأقف لاعنًا حظي لرحيل خلود! لكل امرئ شأن يغنيه. ألم يحن الوقت الآن للرحيل، أو النوم على الأقل؟ ما الهدف مما نفعل إن لم نستمتع بوقتنا؟ كل شيء ينهار بأسرع مما نستوعب. لا نستطيع مواكبة إيقاع الأحداث. من الأفضل لنا جميعًا أن ننهي هذه الليلة قبل أن يتفاقم الوضع أكثر من ذلك. لا أظن الأمر سيزداد سوءًا عن ذلك. لماذا قلت هذا؟ الآن يجب أن يحدث ما هو أكثر سوءًا! يبدو أن إيناس شعرت باليأس من الاعتناء

بنور. عادت لتنام على الأرض ناظرة للسماء. يُفضَل الابتعاد عن نور في مثل هذه الحالة. ستنغمس في البؤس والشقاء. رغم ذلك، أرى أن أحاول تهدئتها قليلاً. ذهبتُ إليها وجلستُ بجوارها.

«اهدي شوية يا نور. مش ده اللي هيجيب نتيجة معاه» ربتّ على كتفها.

«أول ما جاتله الفرصة رماني يا فيلو! رماني» استمر النواح. أفكر جديًا في أن أتركها.

«عمرو بيحبك جدًا. هو متضايق عشان لقاكي زعلانة. أنا هكون صريح معاكي يا نور. الرجالة مابتحبش النكد. وانتي معظم الوقت نكدية» أعلم أن ما قلته سيودي بحياتي.

«طبعًا! مانت واقف معاه! مانتوا كلكوا زي بعض! كل الرجالة زي بعض! كلكوا..»

«ما تتهدي بقى شوية أمّا تفهمي اللي عاوز أقوله!» رفعتُ صوتي فسكتت من المفاجأة.

«أنا اللي نكدية يا فيلو؟ حرام عليك! مش قدامك هو اللي اتعصب عليا من غير ما أعملّه حاجة» بدأت تستعطفني وكأنني سأفيدها بشيء إن وقفت في صفها.

«بصي يا نور. هشرحلك الفرق بين اللي انتي بتعمليه، واللي عمرو بيعمله. أنا معاكي إن عمرو بيتعصب كتير، وبيقفش فجأة. بس فكري فيها كده؛ في أي حفلة بيبقى فيه دي جيه بيسخن الناس، وبعدين الدي جيه الرئيسي. عمرو بيكون الدي جيه اللي في الأول، وانتي الدي جيه

الرئيسي».

«انت بتهزر يا فيلو؟ طبعًا! مانت رايق! بتريق عليا! مانت مش فارق معاك حاجة» سأصفعها على وجهها.

«يعني من الآخر يا نور عمرو بيقفش لمدة دقيقة، وبعدين يرجع. انتي بقى بتكملي الحفلة كلها لحد تاني يوم الصبح! لازم تتعلمي فن تكبير الدماغ. لازم تقلبي في السريع زي عمرو. خليكي.. راجل» ابتسمتُ محاولاً التخفيف عنها؛ لكن على من؟! إنها نور.

«أخليني راجل؟ يعني أخليني زبالة وواطية ومايفرقش معايا مشاعر اللي حواليا؟»

«لأ يا نور. يعني ماتصعديش الأحداث وتديها فوق حجمها. إيه يعني اتعصب عليكي؟ هو غلطان طبعًا، بس بعد دقيقة بيفك وييجي يعتذرلك. في ايديكي انك تفوتي وتقضي الليلة، وفي ايديكي برضه إنك تنكدي على نفسك وعليه. لازم تفكي يا نور. وبعدين مش كلة شوية تقوليله عاوز تكمل ولا لأ مفيش واحدة بتعمل كده. الرجالة مابتحبش الزن. ليه دايمًا محسساه إنك مستخوناه؟»

«بحبه يا فيلو! بحبه ومش عاوزاه يضيع مني».

«مادام بتحبيه يبقى ليه تديله أسباب إنه يتخنق منك؟ مفيش راجل بيحب يحس الست واقفة فوق دماغه. لازم تديله الأمان. هو بيحبك، مش لازم يبقى حبك بالنسبة له مجهود. خليكي خفيفة. مايفرقش بقى مين اللي غلطان. الشاطرة هي اللي تلم الدور. بالذات مع عمرو ده. عمرو مابيحبش وجع الدماغ. بيحب ينبسط، يسهر، يرقص، يتخبط.

خليكي زيه، ماتعقديش كل حاجة. هتقعدي كل يوم تتوتري وتتخانقي معاه عشان حاسة إنه ممكن يسيبك في يوم من الأيام؟ نفترض يا ستي إنه سابك، استمتعي بكل الوقت ده لحد ما يسيبك. مش كده أحسن؟» بدأ وجهها يتحسن قليلاً. أظنها بدأت تقتنع بما أقول.

«بغير عليه قوي يا فيلو. أصل البنات كلها بتموت فيه، وخايفة واحدة تاخده مني. أنا عارفة أصلاً هو شايف فيا إيه. دانا حتى قد أمه» إنها محقة. كيف يتحمل عمرو هذا البؤس؟

«نور يا حبيبتي. انتي بتقولي كلام زي ده قدامه؟» سألتها في ترقب، أتمنى ألا تجيب بنعم.

«ساعات. مش كتير.. يعني» أجابت في خجل. تبًّا!

«يخرب بيتك. فيه واحدة تقول كده قدام صاحبها؟! انتي عاوزة تطفشيه رسمي! كأنك بالظبط بتحاولي تظهري عيوبك. الواحدة بتحاول تخبي عيوبها، مش تحسس اللي معاها إن كلها عيوب. كمان بتقوليله شايف فيا إيه؟ أكيد لازم هيقفل منك! لازم تحسسيه إنه في الجنة عشان معاكي، مش إنه منحوس ولازم يسيبك. احمدي ربنا إنه لسه معاكي أصلاً بالطريقة دي».

«لسه معايا؟ أديه مش عاوز يكمل أهه».

«انتي السبب بصراحة يا نور. اديله أسباب يفضل معاكي، مش انه يطلع يجري. متفكريش في المستقبل، فكري في دلوقتي. الحاجة مش بتبقى حلوة يا نور لو ماعشنهاش. ازاي هتبقي مبسوطة معاه وانتي دايمًا بتفكري في بكره؟ عندك أنا أهه. بعيش مع كل تراك لحد ما تخلص،

عارفة لو فكرت قوي في التراك اللي وراها ونسيت اللي أنا فيها؟ مش بستمتع بيها أبدًا. بانبثق نفسي مع التراك، لحد ما ييجي معاد اللي وراها، أبدأ أفكر في اللي وراها. ما هي كل تراك بتخلص يا نور، معقولة عشان هتخلص أنكد على نفسي وماحسش بيها؟ لأ لازم أديها حقها. ادي حياتك حقها. ادي كل لحظة حقها. التفكير في المستقبل كويس، بس مش دايمًا، مش لما يكون هو اللي شاغلك لدرجة إنك تنسي اليوم اللي انتي فيه. عيشي اللحظة يا نور. انسي بكره. انسيه! عاوز بمجرد ما أطرقع بصوابعي متفكريش غير في حاجة واحدة؛ دلوقتي!» فرقعت بأصابعي كما يفعل أخصائي التنويم المغناطيسي في الأفلام.

«تفتكر هيرضي يرجعلي؟» سألتني في رجاء.

«هو لحق يسيبك أصلاً؟ يلا ماتضيعيش وقت. روحي صالحي.. جوزك» ابتسمت متعاطفًا. احتضنتني في قوة.

بعض الأشياء مهما بدت بسيطة قد تسعدك، وتجعلك تنسى المجهود الذي بذلته؛ عناق أخوي، ابتسامة امتنان، قبلة محبة، وأحيانًا صمت يحمل رسالة أقوى من أي كلام. رأيتها تركض في لهفة لمصالحته. في هذه اللحظة لم أعد أريد أن أصفع نور؛ بل أردت أن أحيي حفل زفافها وأشاهدها ترقص بجنون كما رأيتها الليلة. نادرًا ما أسعد لسعادة أحد؛ لكنني أشعر بأنني أريدها سعيدة أكثر من أي شيء في هذا العالم الآن. في الواقع لم آتِ بهذه النصائح من وحي خيالي. أعرف عمرو جيدًا، وتحدثنا كثيرًا عن خلافاته مع نور. أخبرني مرات عديدة بهذه الأمور وحاولتُ تحذيرها كثيرًا بطرق غير مباشرة. الوضع تدهور الآن وتوجب عليّ إخبارها بشكل مباشر ما تحتاج لفعله. أحاول إنقاذ ما يمكن إنقاذه.

قد يرى البعض أن النصيب وحده هو من يتحكم بالعلاقات؛ لكنني أرفض الاعتراف بذلك. دائمًا ما يوجد لدينا الحلول لكننا نتكاسل عن تطبيقها معلّقين فشلنا على أسباب خارجية. على الورق امرأة مثل نور لا تتوافق مع رجل مثل عمرو؛ لكن مع التغيير في بعض المعادلات قد نصل للنتيجة المطلوبة. يمكن أن يكون لنا الفضل في إنجاح علاقة محكوم عليها بالفشل، أو إفشال علاقة قد تبدو ناجحة.. أنا أول من يجمع بين الرغبتين. إن لم أنجح في إفشال علاقة خلود بحسام فعلى الأقل أحاول مساعدة نور. مرت الدقائق. جوزيف يجلس وحده. أشعر بالأسف لأجله لكن ليس بيدي ما أفعله. هل نامت إيناس؟ نظرتُ حولي لأرى آثار المعركة؛ أطلال ليلة كانت تبدو واعدة. الحزن والكآبة في كل مكان، مع بصيص خافت من الأمل.

* * *

جوزيف

رأسي تؤلمني. جلستُ في هدوء محاولاً استعادة رباطة جأشي. لم أعد أحتاج لذلك كثيرًا. ألعق جراحي ككلب عجوز تخلى عنه أصحابه. كلب عجوز. أتخيل هذا المشهد أمامي الآن. إنه تأثير ما تعاطيتُ بالتأكيد. تشوش الحاجز بين الواقع والخيال. لا أريد أن أشعر بهذا. أعرف كيف أخرج نفسي من هذه الحال. سأبدأ بالتخلص من كل مخزون الفساد لدينا. إلى متى سأتحمل الإهانة؟ إلى متى سأسمح لضعفي بأن يسخر مني؟ إلى متى سأخفي وجهي وأترك كل ما حولي يحترق وينهار تمامًا؟ ليس بعد الآن! لقد وُلِدت من جديد. أنا سيد نفسي. أنا صاحب قراري. سأذهب لأدمر كل شيء. وقفتُ فجأة مستعدًا للمهمة المستحيلة. ركضتُ سريعًا قبل أن أتراجع في قراري. أتمنى ألا أجد عمرو في الغرفة. إن قابلته ربما يقنعني بتعاطي المزيد. لا! أنا أقوى من ذلك! الكثيرون يعتمدون عليّ! الكثيرون يتخذون مني مثلاً أعلى! لا أعرف من، لكن إيناس تؤكد لي هذا، وأنا أصدق إيناس. دخلتُ الغرفة، أمسكت بالشعلة وأحرقت المخزون بالكامل. أسمع الموسيقى التصويرية في أذني. أفرغتُ محتويات الأكياس في الحوض. أعرف أنه أقل إثارة من إحراق الغرفة لكنه يؤدي نفس الغرض. أسمع صياحًا في الغرفة المجاورة. لم أعد أميز الأصوات.

ماذا تبقى الآن؟ الأكياس أسفل سيارة عمرو. خرجت إلى الساحة أمام الفيلا. أين سيارة إيناس؟ ها أنا أهلوس ثانيةً. أين هي؟ تحسست الهواء بيدي ربما أرتطم بها دون فائدة. أحاول تجنب الحديث مع إيناس قدر الإمكان. هل أسألها؟ لا داعي. توجهتُ إلى سيارة عمرو. زحفت أرضًا محضرًا الأكياس. ها قد انتهيت من تدميرها جميعًا، وهذا هو المطلوب. عدتُ للداخل لأستلقي على الأرض متنفسًا الهواء من جديد. ملأت رئتيّ محاولاً تنقية دمائي من السموم. أصبحنا ثلاثة؛ فيلو، إيناس وأنا.

خرجت نور من الغرفة تصرخ والدموع تغمر وجهها. تبًّا! المزيد من الكآبة. أرى إيناس وفيلو يتحدثان إليها. نحيب.. نحيب.. نحيب. كفانا نحيبًا! دخل فيلو إلى الغرفة. سيحاول التحدث مع عمرو بالتأكيد. فيلو يحاول إنقاذ العالم؛ كلما حاول أكثر كلما سيخيب أمله، لأنه أمر مستحيل. يحاول الطيران إلى أن تضعه الجاذبية أرضًا ليعرف مكانه جيدًا. إنه عالم بارد.. مظلم.. مليء بالكراهية.. أحلامنا بعيدة، مكانها في الأحلام فقط.. أرى النار في السماء تستعد للانقضاض علينا. أوقاتًا نقاتل رغم علمنا أننا لن نصل لشيء في النهاية؛ ربما هذا ما يفعله فيلو. كيف يمتلك هذه الرغبة في الحياة؟ أشعر بأنني في الستين من عمري. أعجز عن الحركة تمامًا، ولا أقوى على القيام بشيء، بينما أراه يركض يمينًا ويسارًا بحثًا عن شيء لا وجود له. أين الأمل في هذا العالم البارد؟ نصرخ دون أن يسمعنا أحد لأن الكل مشغول بصراخه. أين الأمل في هذا العالم المظلم؟ في النهاية نزحف لنختبئ في جحورنا هربًا من كل شيء.. ولا يتبقى سوى الألم.. الألم فحسب.

«جو.. لو سمحت تعالى اتكلم معاه. ده مش عاوز يبص في وشها حتى» قالت إيناس. أحتاج لمن يساعدني، لا أن أساعد أحدًا. أنا الشخص

الخاطئ الآن؛ آخر من يمكن أن يمد يده لأحد.

«هنتحايل عليه؟ سيبوه» قلتُ في لا مبالاة.

«عشان خاطري يا جو» كلمة السر.

ستظل دائمًا تحمل مكانة مميزة في قلبي، وسأظل ضعيفًا أمامها. سرتُ معها لأشهد ما أعرفه مسبقًا. لن يعود إليها. أنا واثق من ذلك. كيف يعود إليها، كيف تنتهي الليلة بنهاية سعيدة؟ لا مجال للنهايات السعيدة. هكذا هي الأمور دائمًا. إنه ذلك المشهد بعد نهاية الفيلم. لو كانت الحياة فيلمًا سينمائيًا لانتهى بعد أن طلب عمرو يد نور للزواج. ماذا يحدث بعدها؟ هو أمر لا يخص المشاهدين، يعودون إلى بيوتهم سعداء بالنهاية المبهجة. إن جاءتهم الفرصة لمشاهدة ما بعد نهاية الفيلم سيرون أن النهاية هي مجرد بداية لحياة أخرى، تنتهي بالفشل! أيها السيدات والسادة، أهلاً بكم في فقرة ما بعد نهاية الفيلم. ماذا يحدث فيها؟ يتراجع البطل عن قرار زواجه بالبطلة ويحطم قلبها إلى أجزاء صغيرة لا يمكن رؤيتها بالعين المجردة، فلا يترك أثرًا واحدًا على وجوده.

«اعقل يا عمرو. انت بتحب نور. ماتخليش يوم واحد يبوظ كل حاجة» بدأ فيلو، محامي الدفاع، بالكلام.

«مش يوم واحد يا فيلو! دي أيام! أنا مش عاوز أعيش في نكد! دماغي وجعتني».

«أكيد هي كمان مش بتحب تعيش في نكد يا عمرو»

صاحت إيناس، «مفكرتش ممكن يجرالها إيه لو سبتها؟»

«المفروض إني أكمل معاها شفقة يا إيناس؟»

قال عمرو في لهجة حادة مستفزة. في الواقع، هو محق.

«عمرو! الخلافات دي عادية جدًّا. عمرها ما تبقى سبب إنك تسيبها. زي ما فيها حاجات انت بتستحملها هي بتستحمل فيك حاجات كتير» قال فيلو.

«مش عاوز واحدة تنكد عليا كل يوم يا فيلو! كل يوم! ولما أبص يمين أو شمال تغير وتخنقني! مابتقدرش تقعد دقيقة من غير نكد، ومن غير ما تفرك. بقيت عايش في توتر وقرف! استحملتها لحد ما جبت آخري. دي بتعاملني كأني ابنها. ماتعملش كذا يا عمرو، لأ اعمل كذا يا عمرو. أغسلك هدومك يا عمرو، لأ متاكلش دي يا عمرو عشان بطنك. إيه الهبل ده! الحاجات دي حلوة جدًّا بس لو أمي اللي بتقلهالي، مش واحدة المفروض إنها هتبقى مراتي! مش عيل صغير أنا عشان تتعامل معايا كده!» عقدة أوديب.

«يبقى انت بتتلكك يا عمرو زي ما هي بتقول. أنا صاحبك وعارفك كويس. انت ياما قلت إنك بتحب فيها إنها بتاخد بالها منك، وإنها على طبيعتها معاك. وكنت بتضايق لما ماتعبرش عن اللي جواها. إيه يعني لما تكون قلقانة وتفضفض معاك؟ انت لا عاوزها ساكتة ولا عاوزها بتتكلم؟» وجه فيلو ضربة جديدة. أقف كالمتفرج.

«لا يا فيلو. أنا مش عاوزها خالص. أنا مش عاوزها. ماتخنقونيش بقى. انتوا كلكوا معاها؟! خلاص وقفتوا في صف الغلبانة المضطهدة؟ ما تفوقوا بقى من الهبل ده! نور واحدة ماتتعاشرش! ماحدش فيكوا استحملها قدي! فالحين تتكلموا وبس! حد فيكوا جرّب يقعد معاها أكتر من ٢٤ ساعة؟ أراهن لو حد فيكوا هيستحملها! انتي نفسك يا

إيناس بتفرقعي لما تبات عندك يومين على بعض».

«أنا معاك إن نور صعبة. بس انت عمرك ما فكرت تسيبها عشان كده. بالعكس، انت كنت واخدها تحدي إنك ماتفقدش الأمل! انت نسيت يا عمرو؟ افتكر. انت مش في وعيك» تضرعت إليه إيناس.

«برضه مش سبب يا عمرو. مش سبب» حاول فيلو مساعدتها.

«هو أنا لازم أقول سبب؟ مش معقول! مفيش سبب! أنا مش عاوزها. خلاص؟»

«لأ يا عمرو. انت بتخرف» هز فيلو رأسه.

«نور ماتلزمنيش. دي واحدة كبيرة في السن وبصراحة أنا جربتها في السرير ولقيتها ماتنفعنيش. حد ينام مع واحدة ويتجوزها؟»

«يا حيوان!» بصقت عليه إيناس، وتقدم فيلو في سرعة ليحاول ضربه.

سؤال هام: لو وُضِع أمامي شيء أريده بشدة في غرفة مغلقة بثلاثة أبواب، كل باب يقف أمامه واحد من ثلاثة؛ حسام، عمرو وفيلو.. أي باب سأختار؟ سأتجنب حسام حتمًا. يتبقى الاختيار بين عمرو وفيلو. مقارنة جسدية سريعة ستعطي الأفضلية لعمرو. إذن في معركة بين عمرو وفيلو، سيبرحه عمرو ضربًا. لماذا لا يحسب فيلو هذه الأمور قبل أن يُقدم على أي فعل أحمق؟ من الواضح تمامًا أن عمرو غير مقتنع بما يقول. لماذا؟ لا أحد ينحدر إلى هذا المستوى إلا إن أراد إغضاب أو جرح من حوله عمدًا. إنه يبذل مجهودًا كبيرًا لإخفاء السبب الحقيقي. لم تعجبه في الفراش؟ سمعت صرخاتها مرارًا من خلف الباب. لست منحرفًا،

لكن أصواتهما أعلى من ألا تُسمَع، بجانب أن عمرو حرص على أن يحافظ على عذريتها، فأعلم جيدًا أنه لم يلتِقِ بها عظامًا. من الواضح أنه يتفوه بأي قاذورات ليريح رأسه. حالتي لا تسمح بالتفكير، لكن أي أحمق يرى الصورة واضحة تمامًا.. عمرو كاذب. ماذا أفعل الآن؟ أوفر على فيلو علقة ساخنة. لم يعد بإمكاني الاستمرار بالمشاهدة. للأسف، يتوجب عليّ التدخل. قفزت لأقف بينهما ودفعت فيلو للخلف.

«بس يا جماعة. مش عاوز حد يفتح بقه» هتفت لألفت انتباههم.

«انت مش هتنضف أبدًا يا عمرو» صاح فيلو في عصبية. متى ستتوقف الدراما؟ متى؟

«بلاش هري يا فيلو. اطلعي برة يا إيناس» أشرتُ إليها في صرامة. استجابت دون نقاش. لازلت أحتفظ بهيبتي.

«هتعملّي كبير يا جو؟» صاح عمرو في تحدٍ.

«بص يا عمرو. أنا عامةً مابحبش أتدخل في الهبل ده، وانت عارف إني مابحبش أوجع دماغي. بس عشان نلم الليلة دي أنا هجيبلك من الآخر انت بتتلكك يا عمرو. باين قوي إنك بتتلكك، وماتقولش لأ. أنا ماعنديش أي مشكلة لما راجل يتلكك عشان يسيب واحدة. عادي جدًا. كلنا بنحب نخلع. بس عندي سؤال.. انت أخدت قرار إنك تتجوز نور ده ازاي؟»

«انت هتضرب وتيجي تهيس على أبونا يا جو؟ يعني إيه ازاي؟» هتف في نفاد صبر.

«أنا عن نفسي لو هتجوز مثلاً يعني بعد الشر.. هاخد رأي أهلي

الأول.. مش كده؟» ضربت على الأوتار بهدوء.

«هو أنا عيل صغير؟ دي حاجة بتاعتي» بدا عليه الارتباك.

«كنت فين امبارح بالليل يا عمرو؟» اقتربت منه في هدوء. بدأ يتعد في تلقائية.

«كنت فين؟ إيه السؤال ده؟ كنت سهران مع أصحابي».

«غريبة. مع إن فيلو عنده رأي تاني. عمرو كان فين امبارح يا فيلو؟» التفتُّ لفيلو في ثقة. هذه ميزة القرب من إيناس. أعرف كل الأخبار جيدًا.

«كان عند أمه» أجاب فيلو عاقدًا حاجبيه. اقترب من الفهم هذا البائس.

«كنت بتعمل إيه مع الست الوالدة يا عمرو؟ قلتلها إنك هتتقدم لنور انهارده؟»

«بقولك إيه يا جو.. أنا مش فايقلك. أنا همشي يا جدعان» أصبتُ الهدف تمامًا، وإلا لماذا سيسارع بالهروب؟

«استنى هنا يا عمرو. انت قلت لأمك على نور؟» أمسكه فيلو من ذراعه.

«إيه القرف اللي انتوا بتقولوه ده!» صاح عمرو في عنف دفاعي واضح.

«بص يا عمرو. من الآخر كده، كل الفيلم اللي انت عامله ده عشان أمك مش موافقة إنك تتجوز نور. بس الجديد إنك لو راجل أصلاً

ماكنتش سبت أمك تتحكم في حياتك، أو ماكنتش علّقت البنت من الأول لما انت مش متأكد إنك هتبقى معاها. بس عادي جدًّا، احنا مش رجالة أصلاً. لا أنا ولا انت. أنا لو مكانك هعمل كده برضه. هخلع في السريع. ماقلتليش.. هو معاد الفرح إمتى؟» سألته مبتسمًا مشاهدًا العروق تنفر من رأسه.

«فرح إيه؟! ما قلتلك..»

«مش بتكلم على نور. بتكلم على فرحك انت وأمك.. مش انت هتتجوز أمك؟» لم أقاوم ضحكتي بينما تحفز فيلو في قلق متوقعًا فقرة من العنف.

«(---) يا جوا انبسطت لما اتشتمت؟! يا (---)» انفجر غاضبًا فكدت أختنق من الضحك.

«آه انبسطت جدًّا. يلا يا عمرو.. اخلع» أشرتُ إلى الباب في حركة مسرحية.

لا يعود فضل كشف هذه المعضلة إليّ وحدي. وصلني بعض الكلام من قبل أن عمرو قرر التحدث إلى والدته بخصوص علاقته مع نور. عندما تباطأ عمرو في إعطاء نتيجة المقابلة كان من السهل عليّ استنتاج أن الأمر لم يسر بالشكل المرجوّ. بعض العمليات الحسابية قادتني إلى الحل الواضح. لا أعرف كيف لم ينتبه أحد لهذه النقطة من قبل. ربما لازلت أتفوق على من حولي بذكائي؛ كوني في سن الستين يعطيني خبرة في مثل هذه الأمور. خرج فيلو خلفي. أراه يمط شفتيه في اشمئزاز. فيلو هو الآخر يبالغ في ردود أفعاله. لماذا نسعى خلف ما لا يمكننا الوصول إليه؟ نحاول.. ثم نفشل. فلنتوقف عند ذلك وندع المياه تسير في مجراها.

المكتوب هو المكتوب. الفشل هو الفشل. نور تنتظرنا في الخارج. كأننا سنأتيها بخبر سعيد. لا مجال للنهايات السعيدة. ذهب فيلو يحتضنها. انخرطت في بكاء عميق. دخلت إليه إيناس ثانيةً. لا تيأس أبدًا. يجب أن نعرف متى نتوقف. لا أحد يعرف هذا الفن؛ متى تتوقف عن المحاولة.. لا أحد يتوقف. ليس كل مجهود يُبذَل يأتي بنتيجة. كل شيء يحدث لسبب؟ إنها خرافة من خرافات الزمن. بعض الأمور تحدث دون أي سبب واضح على الإطلاق. فقط لتعميق الجروح وزيادة الألم.

«ماكانش المفروض تتكلموا معاه! كنتوا سبتوه! أديكوا طفشتوه خالص!» صاحت نور في يأس شديد. اليائس يقول أي شيء. أصبح البكاء بالنسبة لها أسلوب حياة.

«لسه يا نور؟ لسه برضه بتخافي على زعله؟ خلاص بقى! ماترخصيش نفسك أكتر من كده» احتضنها فيلو بقوة.

«ماحدش يتكلم معاه. سيبوه. محدش يحاول يصالحنا على بعض. هو مابيحبش كده. هو مابيحبش الزن. صح يا فيلو؟» نظرتْ إلى فيلو في تساؤل حزين.

«خلاص يا نور. كفاية. كفاية بقى. مالكيش دعوة بيحب إيه ومابيحبش إيه. لو هو عاوزك يبقى يجيلك. ماتعمليش في نفسك كده. انتي تستاهلي أحسن من كده» أخذ يطبطب على ظهرها كالأطفال.

«لا يا فيلو. أنا ماليش غيره. مش عاوزاه يسيبني. مش هانكد عليه تاني! أنا عاوزة أعتذرله» بدأ المخاط يسيل من أنفها من فرط البكاء بينما تبللت عينا فيلو. كم هو رومانسي! لم أعد أتأثر بهذه الأشياء. هل فقدتُ الإحساس؟ التقدم في السن له هذا التأثير.

«بس بقى يا نور! خلاص!» أمسكها فيلو من كتفيها وأخذ يهزها بقوة، «فوقي بقى! هو مش عاوزك خلاص! ماتذليش نفسك أكتر من كده. انتي مش أول واحدة حد يسيبها! حرام عليكي نفسك» أحسنت يا فيلو!

بعد قليل خرج عمرو في كامل ثيابه مستعدًا للرحيل. لم يقف ليلقي التحية على أحد فينا. توجه إلى باب الفيلا في رشاقة. هل تترك نور الوضع يمر هكذا؟ بالطبع لا

«يا واطي! يا قليل الأصل! ديل الكلب عمره ما هيتعدل! يا زبالة! يا حيوان!»

«خلاص يا نور! خلاص» هتف بها فيلو ثانيةً. لم يلتفت عمرو إليها.

«حرام عليك! ليه دمرت حياتي! ليه دُست عليا! مانا قلتلك! قلتلك بلاش تعمل فيها كده! قلتلي مش هتعمل فيا كده! ليه ظهرت في حياتي! ليييييييه» حاولت أن تركض تجاهه فقيّدها فيلو بذراعيه مانعًا إياها بالقوة.

«خلاص يا نور. خلاص.. خلاص» أخذ فيلو يهمس في أذنيها. اغرورقت عيناه بالدموع هو الآخر ظل العناق مستمرًا. لا أظن هناك ما يخفف عنها ولو استمر العناق لعام كامل. ها قد تركها. حقيقة واضحة. لا مجال للنهايات السعيدة.

الطريف أن الموسيقى لم تتوقف لثانية واحدة. إن كانت إيناس تبحث عن الجمال في أي شيء، فأنا أبحث عن الكوميديا في أي شيء؛ الكوميديا السوداء. بمناسبة الحديث عن إيناس. ها قد خرجت إلينا ثانيةً.

لماذا خرجتْ بعد عمرو؟ لماذا تأخرتْ؟ ربما هو أمر لا يخصني. بدا وجهها شاحبًا أكثر من ذي قبل.

«مالك؟ فيه حاجة؟» لم أستطع مقاومة السؤال.

«انت مش شايف يا جو.. هو فيه حاجة تفرح؟» سألتني بصوت مبحوح.

«من إمتى كان فيه؟» وافقتها في بؤس.

ظل فيلو يهمس في أذنيّ نور.

* * *

عمرو

أحيانًا ينتهي الوقود. بعض الأمور لا تستحق العناء. كنت لأتفهم لو سارت الأمور بيننا بسلاسة دائمة دون مشكلة واحدة في العلاقة. لماذا أبذل مجهودًا لأحافظ على علاقة محفوفة بالعيوب؟ لم أضع حسابًا لهذا الموقف أبدًا. من يفكر أصلاً في البداية؟ العقل دائمًا ما يبدأ في العمل بعد أن ينغمس المرء ويفوت أوان التراجع، أو يظن أن الأوان قد فات. لا يفوت الأوان أبدًا لأي شيء. لماذا أعصي والدتي إن كان الأمر لا يستحق العناء؟ هل تستحق نور ذلك؟ لا أحد يستحق. هل أشعر بالسعادة المطلقة لأضحي بوالدتي؟ بالطبع لا في البداية حاولت أن أنبه والدتي بشكل غير مباشر لوجود علاقة جديدة في حياتي. لم تهتم كثيرًا لأنه أمر طبيعي بالنسبة لي. تعرف والدتي أنني أجد متعتي في السهر والنساء، ولم تمانع ذلك أبدًا. بدأتُ أوضح لها أن الأمر جاد هذه المرة؛ عندها فقط بدأت تطرح الأسئلة.

«بقالك شهور معاها؟ جديدة دي يا عمرو. عرفتها فين؟»

«زميلتي في الشغل يا ماما. كانت شغالة مديرة شئون موظفين».

«مديرة وهي صغيرة كده؟» هنا تم وضع البذرة الأولى للمشكلة.

ذكرها لمسألة السن أقلقني.

«صغيرة إيه يا ماما.. لأ هي قدي تقريبًا» كذبتُ محاولاً تخفيف الأمر عليها.

«قدك؟ معقولة يا عمرو؟ تتجوز واحدة قدك؟ البنات بتكبر أسرع من الولاد بكتير. أنا عارفة دماغك، كلها حاجة بسيطة وهتشوف اللي بعدها».

«بس يا ماما أنا فعلاً حاسس الموضوع أكبر من كده. نور بنت جميلة ومحترمة».

«جميلة دلوقتي.. شوية وهتلاقيها عجزت. أنا عارفة كويس بقولك إيه» قالت في صرامة. تركتُ الأمر حتى تنساه، وكأن هذا سيحل المشكلة. أقنعتُ نفسي أنها سترى كم تعني لي نور لو طالت مدة العلاقة. زاد اقترابي من نور حتى أضحت جزءًا أساسيًا في حياتي. أصبحت أتنفسها. مع الوقت شعرتُ بضرورة إطلاع والدتي على المزيد من التفاصيل، خصوصًا بعد توتر علاقتي مع نور وكثرة تلميحاتها غير المباشرة أنها لا ترى مستقبلاً لعلاقتنا. تسرعت باللجوء إلى التفكير في الزواج. شجعتني إيناس على الاستمرار. قررتُ بالأمس أن أخبر والدتي بشكل حاسم ونهائي أنني سأتزوج بنور. في النهاية هي تنصحني وأنا أفعل ما أريد. لست طفلاً صغيرًا ليتحكم بي أحد.

«تتجوزها؟ بتتكلم بجد يا عمرو؟» صاحت في ذهول.

«أيوة يا ماما. أنا بحب نور وهتجوزها».

«يعني أخدت القرار من نفسك من غير ما ترجعلي؟ من غير ما

أشوفها حتى؟» هتفت في عتاب.

لا أطيق أبدًا أن تغضب مني فتراجعتُ قليلاً لإرضائها.

«طبعًا يا ماما هتشوفيها وهتقولي رأيك.. بس أكيد هتحبيها» قبلت وجنتيها فابتسمت وبدا لي أنها ستقتنع أخيرًا.

«انت قلتلي عندها كام سنة؟» عاد ذلك السؤال ليحوم فوقي كالشبح.

«هي أكبر مني بحاجة بسيطة» أنساني غبائي أنني كذبت عليها من قبل. بالفعل، لو أردت الكذب فعليك أن تمتلك ذاكرة قوية للغاية.

«أكبر منك؟ مش قلت قدك؟»

«أكبر مني يا ماما بـ.. » فكرت في أن أكذب؛ لكنني رأيت أنه في النهاية يجب أن تعرف الحقيقة، «ست سنين» قلتها وأشحت بوجهي منتظرًا العاصفة.

«انت اتجننت يا عمرو؟! ست سنين؟ دي في التلاتينات كمان؟ جايبلي واحدة دبلت خلاص وعاوز تتجوزها؟! يعني يوم ما قلت هتعقل تصدمني فيك كده؟! لا يا عمرو. أنا مش موافقة طبعًا. ماتبقاش عبيط، دي هي ما صدقت تلاقي شاب حلو وصغير زيك. انت كتير عليها. انت عاوز بنت صغيرة حلوة، مش واحدة تعجز قبلك. انت عارف دي ناقصلها كام سنة؟ بالكتير ست أو سبع سنين، بعدها هتبقى عجزت. اعقل يا حبيبي. قلتلك قبل كده البنات بتكبر أسرع من الولاد. لما يبقى عندك أربعين سنة هتبقى هي ماتت».

«خلّي بالك انتي بتتكلمي عليها ازاي» صحت في غضب.

«يا سلام؟ ماشي يا عمرو. طب روح واتجوزها. بس ماتجيش تدخل عندي البيت تاني. خلّي أمك غضبانة عليك بسبب واحدة لسه عارفها بقالك كام شهر. اتجوز واحدة بايرة واتحدى أمك».

«إيه يا ماما الكلام ده! انتي كبّرتي الموضوع قوي!»

لم يغضبني أكثر من أن كلامها نظريًا سليم مائة بالمائة. من يفكر بعقله في بداية العلاقة؟ لا أحد. قضيت ليلة أمس كلها أحاول إقناع نفسي بأنها على خطأ وأن أستمر بالمخطط. في النهاية توصلت إلى أنني أحب نور ولن أستطيع التخلي عنها. أعجبني هذا القرار وأتيت اليوم وكلي حماسة لأطلب يدها للزواج. أمّا الآن، فلم أعد أعرف. أنا أبعد ما يكون عن التدين؛ لكنني لا أغضب والدتي أبدًا. قرار زواجي بنور كان أول بادرة مني للسير عكس رغباتها. ماذا إن تزوجت بها ثم فشلت علاقتنا وتطلقنا في النهاية؟ ماذا كسبتُ عندها غير حزن والدتي؟ لأول مرة يتوجب عليّ ألا أعيش في اللحظة، بل أنتبه للمستقبل والصورة الكبيرة. إن وُضِعَت والدتي في كفة، وأي شخص آخر في الكفة الأخرى فحتمًا كفة والدتي هي الراجحة. لا أحد يستحق أكثر من ذلك بعد. محاولاتي المستميتة للإبقاء على العلاقة لن تفيدني. هذه هي الحقيقة مهما حاولت إقناع نفسي بغيرها من قبل. زواجي بنور لا يستحق هذا العناء. آخر ما أريد هو أن تعرف نور أنني تركتها لأجل والدتي. رغم أنه بالفعل هناك أسباب كثيرة تدفعني للابتعاد عنها غير ذلك! كل ما أخبرتهم به يضايقني بالفعل. كيف لا يرون كل هذه الأسباب مقنعة كي يهجر الرجل امرأة؟ أم لأنني تحملتها مرة أصبح عليّ تحملها إلى الأبد؟ ربما كنت لأتحملها لو حصلتُ على دعم من والدتي؛ لكن لماذا أتحمل كل هذا مادام لن يأتي إليّ سوى بالمزيد من المشاكل والسخافات؟ مهما كان الأمر ظالمًا لنور فهي ليست

ملاكًا! لم تقاتل للحفاظ عليّ! ستظل مميزة لدي دائمًا، وتركت علامة بداخلي.. لكن النساء في كل مكان. والدتي في مكان واحد فقط.

لم يعد الأمر قابلاً للمفاوضة.

بدأت أرتدي ملابسي. ربما لازال أمامي بعض الوقت لجرعة أخيرة لأجل الأيام القادمة. سأبتعد حتمًا عن أماكن سهري المعتادة لأتجنب نور، وقد تمر فترة طويلة قبل أن أجد فرصة لتعلية الدماغ. لديّ القليل في حقيبتي. أخرجت البودرة وبدأت أسحب الأنفاس. أحتاج إلى جرعة مكثّفة لأدخل في المزاج المطلوب. أشم رائحة نور، أشعر بوجودها. بدأت الدماء تندفع في جسدي. تبًّا، سأشتاق إلى نور. أشتاق إلى طعمها ورائحتها. أريدها ولو لمرة أخيرة. لا! لا يمكن ذلك. انتهى الأمر. لا ينبغي أن أراها ثانيةً، أو ألمسها ثانية. ألمسها.. أشعر بحرارة شديدة. أشتاق إلى جسدها.. أريدها مرة أخيرة.

«عمرو» جاء الصوت من خلفي.

«إيناس؟ عاوزة إيه؟» لازالت ترتدي ثوب السباحة. تبًّا! كم هي مثيرة! إنها ساخنة وجاهزة للتقديم.

«أنا كنت واقفة جنبك يا عمرو وأنت بتكلمها. سمعتك. الكلام ده مش ممكن يطلع من واحد مابيحبهاش. ماتخليش خلافات عبيطة تبوظ كل حاجة. دانت تعبت عشان توصل لقلبها. عمري ما شفتها مبسوطة بالشكل ده. انت رجعتلها حياتها تاني. عاوز تاخدها منها؟» هذا لا يشغلني الآن. حدثيني عن جسدك الأبيض الناعم.

«لا خالص. الراجل ممكن يقول أي حاجة عشان الواحدة تسلمه

نفسها. مانتي عارفة يا إيناس» أجبتها ضاحكًا في شهوة عاتية.

«مش مقتنعة يا عمرو! لأ يا عمرو! انت بتحبها» أمسكتْ بوجهي. يا للهول! درجة حرارتي وصلت إلى مائة درجة! لمستها ساخنة للغاية! دفعت الدماء في كل عروقي! أشعر بحركة مريبة في نصفي السفلي.

«بقولك إيه. انتي مزة كده من إمتى؟» لم أستطع مقاومة الرغبة التي اجتاحتني.

«انت بتهزر يا عمرو؟ إيه الروقان ده؟ ماتعملش كده فيها!» اقتربت مني أكثر. تبًّا!

«بتكلم بجد. انتي مزة كده ليه يا بت؟! يخرب بيتك!» عيناي لا تفارق صدرها. انتبهتْ لذلك فارتبكت قليلاً وحاولتْ الابتعاد.. فات الأوان.

انقضضت عليها كي لا أترك لها المجال. بدأت تصرخ وحاولت أن تدفعني. إنها امرأة قوية وممشوقة القوام! تعجبني المقاومة! تثيرني أكثر! أجد شهوة غريبة في محاولة قهرها! صاحت بي محاولة التملص لكنني أفوقها قوة! نعم، أنا رجل! أنا قوي! سأخضعها! التهمت شفتيها في نهم واعتصرت صدرها بيدي بينما امتدت الأخرى لمؤخرتها. كيف لم أفعل هذا من قبل؟! إنها مثيرة لأقصى الحدود. أطفأت شهوتي أخيرًا! خارت قواي فتركتها. ركضتْ خارج الغرفة باكية. اعتدلتُ في جلستي. ما هذا الذي فعلت؟ تبًّا! يجب أن أغادر حالاً ارتديت ملابسي بسرعة وجمعت كل حاجياتي. خرجت من الباب. سأهرول قبل أن يستوقفني أحد. أسمع صراخًا وشتائم من شفتي نور. لن أحاول أن أرد عليها. لا أستحق أن أتفوه بكلمة.

* * *

طريق
العودة..
طويل دائمًا

مي

لم يعد أحد أبدًا من الموت ليتحدث عن التجربة. نبكي كل من رحل عن هذه الدنيا دون أن نعرف بالضبط لماذا نبكيه. لماذا نتخيل أن الأمر يستحق البكاء مادمنا لم نجربه بأنفسنا؟ قد يكون الميت في طريقه لما هو أفضل بكثير. الموت راحة؛ هكذا سمعنا دائمًا. ينطبق هذا في كل الحالات وليس في حالة المرض فقط. إنه رخصة للهروب من كل المشاكل التي تواجهنا. المحظوظ هو من يموت في الوقت المناسب. ربما لهذا يلجأ الكثيرون إلى الانتحار، حيث يتحكمون في موعد رحيلهم. أمّا عني أنا فلم أختر أي شيء. لم أختر أن ينفجر إطار السيارة، ولم أختر أن تنقلب بي، ولم أختر أن أستيقظ لأكتشف أنني أجلس في فراش بإحدى المستشفيات. بعدما تقبلت حقيقة أنني سأفارق الحياة أتفاجأ بأنني لن أفارقها في الوقت الحالي. أيمكن اعتبار هذا سوء حظ؟ أنني لم أمت؟

كيف كان ليبدو العزاء؟ مكتظًا بالبشر؟ عندما يموت الشخص يتحول فجأة إلى بطل. جزء كبير من هذا يعود إلى أن الكل يعرف أنهم لن يروه ثانيةً، والجزء الآخر يعود إلى طبيعة الناس بتذكر محاسن موتاهم. هذا يقودنا للسؤال التالي.. ما هي محاسني؟ ماذا فعلت ليتذكرني الناس بالخير؟ أي بصمة تركتُ خلفي؟ هل كان ليشعر أحد بغيابي الأبدي؟

هل كنت لأترك فراغًا كبيرًا ليشعروا بقيمتي؟ ما هي قيمتي أساسًا؟ ليس لدي إجابة عن هذه الأسئلة. إذن فنجاتي من الموت ليس أمرًا سيئًا كما ظننت. ربما في مستقبل بعيد أكون قد حققت شيئًا لأشعر بالرضا عن رحيلي. أمّا الآن فليس أمامي سوى أن أفعل ما لا أستطيع القيام بسواه.. إقلاق راحة غيري. ربما موتي ليس ببعيد، لأن إيناس ستقتلني بمجرد أن تعرف ما حدث لسيارتها. هل سيشفع لي أنني كنت على شفا حفرة من الموت؟ ربما عليّ أن أكتشف بنفسي. ناديتُ الممرضة وطلبتُ منها أن تتصل لي بإيناس من هاتفي المحمول. من المضحك أنني أُصبت ببعض الكدمات بينما لم يحدث شيء للهاتف. إنه أكثر حظًا منّي! طلبت من الممرضة أن تتصل بها وتحاول تهويل الأمر قدر الإمكان. بهذا الشكل تنشغل إيناس عن خطئي بأن تحمد الله على نجاتي. عادت الممرضة بعد قليل. «قالتلك إيه؟» سألتها في ترقب.

«يا ريتني ما سمعت كلامك. دي قلبها كان هيقف» أجابت في ضيق.

«لأ ماتقلقيش. إيناس جامدة. مفيش حاجة بتكسرها».

أعرف أنني أهون الأمر على نفسي كي لا أشعر بالذنب. إن كنت أرى إيناس غير قابلة للكسر، فإن سيارتها لا تحمل نفس الخواص الخارقة. لا أعرف إن كان لديّ ما يكفي لتعويضها. لا أظنها ستطلب تعويضًا. أنا عالة على من حولي. لا أستطيع القيام بأي تصرف دون عواقب. لا أستطيع النفاذ بفعلتي أبدًا. ستأتي إيناس في أي لحظة لتخرجني من هذه الورطة كما تفعل دائمًا. هذا الحادث هو أفضل ما حدث لي الليلة. لا أحد يلوم ضحايا الحوادث. ربما أكون قد أخفقت تمامًا، لكن ربما ولأول مرة.. أنجو بفعلتي.

* * *

خلود

لم نتبادل الحديث منذ تحركنا من الفيلا. ما الحاجة للكلام؟ الصمت هو الطريقة الوحيدة لئلا ألجأ إلى الانتحار. سأنام وأستيقظ غدًا لأجد كل شيء قد عاد إلى سابق عهده؛ كأن شيئًا لم يكن. لماذا أقول هذا وكأنه أمر جيد؟ إلى أي حال ستعود الأمور؟ هل أحببت سابق العهد كي أتمنى عودته؟ ما هذا الهراء؟ كيف أصدق نفسي؟ ماذا سيتغير الليلة عن الغد؟ لا شيء. عندما ينتبه الإنسان إلى شيء يصعب أن يتجاهله ثانيةً. لطالما شعرتُ بذلك لكن خدعت نفسي، أو تظاهرت بأنني لا أنتبه إليه. إذًا فلا يوجد ما تعود إليه الأمور. ألا يوجد هواء لأتنفسه في هذه السيارة؟ أشعر بحبل يلتف حول رقبتي. أريد أن أصل إلى البيت بأسرع ما يمكن. لن أتخذ أي قرار الآن أندم عليه. يجب أن أتروى جيدًا قبل التوصل لشيء. النوم هو الحل. بمجرد أن أتناول الدواء ستنهار كل حواسي وأغط في غيبوبة. بعدما أستيقظ منها، بعد سنوات طويلة، ربما أفكر وقتها. لا أقوى على التفكير الآن. لا أريد أن أستعمل عقلي. فتشتُ في حقيبتي عن الدواء. لا أجده. تذكرتْ! لقد وضعه لي حسام في المشروب.

«هو الدوا معاك؟»

«يا نهار أبيض! نسيته في الفيلا! نرجع نجيبه» صاح في توتر شديد.

«أو نقف نجيبه من أي صيدلية أسهل؟» احمر وجهه خجلاً بعد أن سخرت منه. لا أحتاج إلى رجل ذكي بأي حال. اعتدت غباءه.

وقفنا عند الاستراحة ودخلتُ أشتري الدواء. ذهب ليشتري لنا القهوة وبعض المأكولات الباردة. سأتناول آخر وجبة قبل السم الذي سيفقدني الرغبة في الحياة إلى أجل غير مسمى. ما هذه الإعلانات الجريئة؟ لماذا تتباهى الصيدليات بأدوية العجز الجنسي؟ إن كان كل الرجال مصابين بالضعف الجنسي فربما النساء هن من يبالغن في توقعاتهن. هذه هي قدرات الرجل يا امرأة، لماذا تتخيلين ما هو أكثر؟! أمر مضحك. إن استثنينا الليلة، لطالما كان حسام متوحشًا في الفراش. استمتاعي من عدمه لا يتعلق بقدراته بل بحسن توظيفه لها. ببعض الإرشادات والمحاولات يمكننا اعتباره عاشقًا بارعًا. وجدتُ ميزة لحسام! أشعر بالإعياء كأنني بحثت عنها وسط كومة من العيوب القاتلة. خرجتُ من الصيدلية لأجده في انتظاري أمام السيارة.

«اتأخرت عليك؟»

«لا يا حبيبتي. انتي براحتك» أجابني مبتسمًا في حنان. ابتسمتُ بدوري.

ها قد هدأتُ قليلاً. هذه ميزة التروي. القلوب تتغير في ثوانٍ معدودة. كلما انتظرنا كلما تغيرت مشاعرنا حيال الشخص. قد تكره شخصًا بشدة ولا تتخيل أبدًا أن تتقرب منه، وفي النهاية يصبح شخصًا لا يمكن الاستغناء عنه. قد تحب أحدًا بشدة لتجد في النهاية أنك لا تطيق رؤيته. القلوب تتقلب من حين لآخر. لهذا تنهار علاقات وتنشأ أخرى مكانها طوال الوقت. وإلا لظل كل شيء على حاله، وما تغيرت النفوس، وباتت

الحياة مستقرة. الطريق لا ينتهي.. متى نصل إلى البيت؟ طريق العودة.. طويل دائمًا. الرغبة الشديدة في الوصول لا تفيد بشيء، بل تزيده طولاً. بدأنا نسمع أصواتًا مريبة. تشنجت يد حسام على عجلة القيادة. هل قلت أنني أريد العودة للبيت بسرعة؟

«في إيه يا حسام؟»

«الكاوتش شكله نام».

كيف يحق لإطار السيارة أن ينام وأنا لا؟ توقف حسام ونزل على الفور ليتفحص الوضع. هرش في رأسه مما أثار توتري. هل سنبات في الطريق؟

«ما تنطق يا حسام!» هتفت في نفاد صبر.

«الكاوتش شكله اتخرم. هنضطر نركّب الاستبن».

«نركّب؟ لأ مابركّبش» هتفت في استنكار.

«أنا يا حبيبتي اللي هركبه. انتي تقعدي برنسيسة في العربية لحد ما أخلص يا مزة».

«هتغير الكاوتش وأنا في العربية؟» سألته في سخرية فضحك هذه المرة. «لأ ممكن تنزلي جنبي وتقفي زي البرنسيسة برضه».

خلع قميصه وتأهب للعملية الجراحية. نزلتُ من السيارة ووقفتُ بجواره. في أوقات كهذه أتأمل حسام وأتذكر تمامًا لماذا نحن معًا. ها هو يحسن التصرف بأعلى درجة من الكفاءة. الرجل المناسب في المكان المناسب. لطالما كان هكذا. منذ قابلته إلى يومنا هذا يحاول إثبات ذلك،

وأظنه نجح. عندما يراودني الشك بشأنه يأتي موقف كهذا ليؤكد لي أنه يبذل مجهودًا جبارًا ليحاول الاعتناء بي. ربما عليّ أن أدع له المجال ليفعل ذلك قليلاً؛ أغمض عيني لأرتاح وأدعه يتولى الدفة. بدأت أشاهده وهو يخلع الإطار الأول. أستمتع برؤية عضلاته تنقبض وتنبسط. كم هو مفتول العضلات! تراودني ذكريات لقائنا الأول فتتسع ابتسامتي. ها هو الرجل الذي وقعتُ في حبه، أو «أوقعني» في حبه رغمًا عني. تذكرت كل أسباب إعجابي به؛ خفيف الدم، قوي، وسيم، مثير بجسده مفتول العضلات، يتمنى إرضائي بأي شكل، يخرج بي من المواقف الصعبة، ويعاملني كأميرة في مملكته. إن كنت أشعر تجاهه بشيء الآن، فهو الرغبة في تقبيله بشدة واحتضان جسده القوي. عضضت ظفري في خبث وهتفتُ في دلال.

«بقولك إيه يا حسام.. عاوزاك ثانية» نظر إليّ في تساؤل. ابتسم عندما رآني أعض أصابعي في شهوة. تصلب كل جسده وسار تجاهي في خطوات بطيئة. «محتاجة إيه يا برنسيس؟» أحب عندما يناديني بهذه الكلمة. أشعر بأنني أملك هذا العالم، أو عالمه على الأقل.

«شوف انت كده» أسندت ظهري على السيارة وأشرت إليه بإصبعي.

لا أصدق أننا نفعل ذلك في الشارع المظلم. قد يأتي أحد ليقتلنا. بالطبع لا! سيقتله حسام! إنه قوي ولا يقدر أحد عليه. ألا ترون عضلاته المفتولة؟ هذه القبلة! يا إلهي! أتذكرها جيدًا! إنها تلك القبلة التي أبحث عنها منذ زمن! ألتهم شفتيه في جنون. تعلقت برقبته وقفزت في الهواء معلقة ساقيّ حول وسطه. كم أشعر بالحرارة الآن! الوخز ينتشر في جسدي كله. أشعر بأنني أحلق في السماء! بدأ يُقبل رقبتي.

أرقدني على مقدمة السيارة وبدأ ينزل برأسه شيئًا فشيئًا غامرًا جسدي بالقبلات. فعل فاضح في الطريق العام! أحب ذلك. يعرف حسام كيف يمتعني بكل سهولة. تأوهت في سعادة وشعرتُ بانقباض عضلاته. كم أحبك يا حسام! أعطني أكثر. أريد أكثر. صرختُ أخيرًا في نشوة فابتسم واحتضنني بقوة.

تركني وعاد للعمل ثانيةً فوقفت بجواره أدلّك له رقبته وأقبل أذنه. ما هذا الشعور الغريب بالسعادة الذي يراودني الآن؟ إنها السعادة التي أبحث عنها دائمًا. ها هي تأتي في آخر وقت توقعته. خرجتُ من أسوأ الحالات إلى أكثر أوقاتي متعة. أنا سعيدة لأنني لم أتخذ أي قرارات. شيء ما بداخلي يمنعني دائمًا من التسرع، كم أعشقه! جلستُ على الأرض وأسندت رأسي على ظهره. لو استندت على فيلو سيسقط بي أرضًا، لهذا يحظى الرجال مثل حسام بالفتيات أمثالي. أخرجت هاتفي المحمول لألعب به قليلاً إلى أن ينتهي. هناك رسالة جديدة من رقم غريب. فتحتها لأقرأها.. «انتي عارفة حسام بيعمل إيه من وراكي؟». ما هذا؟ هناك من يعبث معي حتمًا. لن ألتفت إليه. وضعتُ الهاتف على الأرض ونظرت للسماء. بدأ لونها يفتح قليلاً. إنه ذلك التوقيت الرائع للاستمتاع بالمنظر الجميل. لست رومانسية بشكل مبالغ فيه، لكن في مثل هذه اللحظات أجد متعة كبيرة في إطلاق العنان للجانب الرومانسي بداخلي. أتتني رسالة أخرى. تبًا لهذه السخافة. «عارفة إنك مش هتصدقيني. بس أكيد هتصدقي موبايله». من هذه التي تتلاعب برأسي؟ لماذا أبالغ في التفكير؟ إن كنت أثق فيه فلماذا لا أؤكد لنفسي أن هذه مجرد خزعبلات؟ هل أثق فيه فعلاً؟

«حسام. ممكن موبايلك ثواني» حاولتُ الحفاظ على لهجتي مرحة

لأخفي الغصة في حلقي.

«آه يا حبيبتي. خديه من جيبي عشان ايدي مش نضيفة» قال في براءة.

هو بريء إذن؟ لو لم يكن بريئًا ما تركه بهذه السهولة.

ليس بالضرورة. إنه أغبى مجرم رأيته. ينسى دائمًا إخفاء آثاره. أو ربما أخفى آثاره بالفعل ولذلك لا يشعر بالقلق؟ سأتأكد بنفسي. فتحتُ برنامج المحادثات باحثة بعيني عن أي اسم مثير للريبة. إيناس.. محمد.. كريم.. عمرو.. مي.. مي؟! مي؟! لماذا يوجد محادثات بينه وبين مي؟ ألم آمره من قبل أن يقطع الاتصال بها؟! هل أفتح الرسائل؟ لا أقدر. أخشى مما سأرى. ربما يطمئن عليها بعد الليلة فحسب. لماذا؟ لماذا يهتم أصلاً؟ لماذا لا يزال رقمها على هاتفه؟ هذا هو السؤال الأهم. اتخذت قرارًا علمت أنني سأندم عليه وفتحتُ الرسائل. قرأتُ بعيني سريعًا.. يا إلهي! أشعر بالغثيان.. وضعتُ يدي تأهبًا لما سيخرج من أمعائي. ابتلعت ريقي بصعوبة.

«حسام» ناديته بصوت متحشرجٍ.. فالتفت إليّ، «انت آخر مرة اتكلمت مع مي إمتى؟» سألته صراحةً. «مي؟ مابتكلمش معاها خالص. بقولك إيه.. هاتي التليفون كده لحظة أشوف حاجة» بدا الاضطراب على وجهه. «ايدك مش نضيفة» ظل صوتي متقطعًا. مسح جبينه بذراعه في توتر.

«أنا حرانة.. حرانة من إيه؟ مش عارفة.. ما تيجي تهويلي شوية.. من عنيا يا بايبي، طب ما تقلعي شوية.. أقلع؟ مانا مش قاعدة غير بتي شيرت ومش لابسة تحتيها حاجة، أقلع إيه أكتر من كده..» استمررت بالقراءة وأنا أشعر بالدموع الساخنة على وجهي.

«خلود.. أنا..»

«أنا تعبانة قوي.. تعبانة ليه؟ مش عارفة، ما تيجي تشوف يمكن أرتاح.. لأ مانا لو جيت هتتعبي أكتر، مش هتستحملي.. يا واد يا جامد، طب ما تيجي توريني» ارتعش صوتي وأنا أستمر بالقراءة في شرود كإنسان آلي. لم يعد بإمكاني ابتلاع ريقي. أشعر بتورم في حلقي ووجهي كله.

«خلود.. أنا مش قصدي.. ده هزار.. مش قصدي بيه حاجة» امتقع وجهه، وأتخيل أن وجهي يبدو أكثر شحوبًا منه.

«مش قصدك إيه؟ انت يا أخي مش هتبطل وساخة؟ هتفضل طول عمرك وسخ؟ مفيش فايدة فيك؟!»

«خلود.. «ماذا يحاول أن يقول؟ لا يوجد ما يقوله.

«مش كفاية مستحملاك بقرفك وغباوتك. يا أخي ده مفيش حد إلا ما بيسألني أنا شايفة فيك إيه ولا معاك ليه. أنا أصلاً أستاهل واحد أنضف منك مية مرة من غير أي حاجة، كمان وسخ؟! مش كفاية بيئان وكل أصحابك معفنين ودايمًا بتعرني وتفضحني في كل حتة. كمان بتسوق فيها؟» أظنني أصبت بانهيار عصبي، لم أعد أتحكم فيما أقول.

«يا خلود ده هزار. انتي عارفة إني بعشقك انتي. ده لعب عيال كده. تسلية» يا لجرأته!

«تسلية؟ يعني لو شفتني بكلم حد كده هتسيبه؟ دانت حتى مش عارف تقول حاجة تخش الدماغ! هتفضل طول عمرك بهيم ومتخلف وشرقان.. يا معفن! يا وسخ!» ضربته بقبضتي في صدره. أشعر كأن

يدي تحطمت. أمسكت بها وتأوهت في ألم.

«مالك يا حبيبتي.. مالك؟»

«حبيبتك؟!» صفعته على وجهه، «دانت معرفة وسخة.. مش عاوزة أشوف خلقتك تاني».

«يا خلود لازم تسامحيني. أنا بحبك.. ماقدرش أعيش من غيرك» بكى متضرعًا.

«لأ عيش من غيري.. هتلاقي كذا واحدة عشان تسليك.. يابني انت تحت الأرض، وأنا فوق قوي. فووووق! انت نسيت نفسك! يا معفن! مش عاوزة أشوف وشك تاني!» صفعته ثانيةً على وجهه.

ركبت السيارة ثانيةً في انتظار أن ينتهي مما يفعل. لا أصدق أنني لوهلة تخيلتنا سنستمر معًا. كم هو حقير! هذا الوغد! أستحق من هو أفضل منه. إنه لا يليق بي! إنه متسول! أحد كلاب الشوارع! لا يضيف لي سوى آلام الرأس والمعدة. كيف فكرتُ ولو لثوانٍ أنني أحبه؟ لا أطيق رائحته. لم يحلم يومًا بأن يصاحب فتاة مثلي.. حان الوقت لأوقظه من حلمه القذر! ركب السيارة بجواري واقترب منّي محاولاً احتضاني.

«ابعد عني بعرقك وقذارتك دي! روّحني دلوقتي حالاً!»

«يا خلود..»

«بقولك روّحني!»

* * *

جوزيف

استسلمت نور لكرسي الاسترخاء. انهارت تمامًا. على الجانب المشرق لم يعد هناك ما يزعجنا. حتى الموسيقى توقفت! جلس فيلو صامتًا وغمس قدميه في حمام السباحة، يركل المياه كالأطفال. إن أطفأ فيلو الموسيقى فهذا يعني أن يوم الحساب قد اقترب. لماذا تبدو إيناس مريبة؟ ربما هو تأثير المشهد الدرامي عليها. ما هذا؟ هناك آثار دماء على رقبتها. هل تعرضت لأذى؟ دنوت منها في سلاسة وجلستُ جوارها.

«انتي اتعورتي ولا إيه؟»

«آه. عورت نفسي» اكتفت بهذه الإجابة فلم أحاول أن أضغط عليها. لا أريد أن أبدو متلهفًا عليها بأي حال.

«أنا رميت كل حاجة. كلها» لماذا أقول لها هذا؟ كأنني أنتظر منها ابتسامة استحسان أو مكافأة. لازلت أتمنى رضاها. رغم كل شيء، أريد سماع ما يثبت أنها تسامحني.

«كويس. ربنا يهديك. ربنا يهدينا كلنا».

«إيه يا ست الحاجة» جاءت ابتسامتها شاحبة تمامًا، «كنت بتقولي إيه لعمرو؟» جفلتُ فجأة عند سماع اسمه.

«ولا حاجة.. أديه راح لحاله» تتحدث كامرأة تنتظر حتفها. ما هذه الانهزامية؟ لم أعهدها هكذا أبدًا.

رن جرس هاتفها المحمول. لم تحاول أن تقوم لترد عليه. لهذه الدرجة؟

«مش هتردي يا إيناس؟»

«سيبه يرن. مين هيكلمني يعني في التوقيت ده» بدأت تقطع الحشائش من الأرض بيدها.

«ما هي دي الفكرة. كملي السؤال.. مين هيكلمك في التوقيت ده.. إلا لو مصيبة؟» نظرتُ في عينيها لأرى ألمًا لم أفهم أسبابه. لطالما ظننت أن هناك تواصلاً بيننا حتى في لحظات الصمت. لماذا لا أقرأها جيدًا هذه المرة؟

«معاك حق. هقوم أرد».

سمعناها تتحدث في توتر شديد على الهاتف وبصوت عالٍ. قمت أنا وفيلو وهرعنا إليها. أمن الممكن أن يزداد وجهها شحوبًا أكثر من ذلك؟ هربت الدماء من جسدها كله.

«إيه يا إيناس؟» سألتها في قلق.

«مي في المستشفى! العربية اتقلبت بيها!» صاحت في فزع.

«عربية إيه؟ هي مشيت من الفيلا إمتى؟» سأل فيلو في دهشة.

«ماعرفش يا فيلو! ماعرفش! أنا مش مصدقة! إيه اللي بيحصل ده! مي! مي هتروح منّي! لحسن تكون ماتت يا جو! لحسن تكون ماتت! قالوا إن حالتها صعبة قوي!» انهارت تمامًا وأمسكت برأسها كالمجنونة.

«لأ ماتخافيش عليها. اللي زي دي بسبع أرواح. صدقيني» حاولت أن أمزح لتهدئتها فنظر إليّ فيلو في اشمئزاز. أحيانًا لا أنتقي الوقت المناسب للمزاح.. ربما دائمًا.

«احنا لازم نروحلها حالاً» قالت إيناس في إلحاح.

«لأ روحوا انتوا» قال فيلو، «مش هسيب نور لوحدها».

«طيب خليك انت مع نور واحنا هنروحلها».

أخذت تركض إلى السيارة. حاولتُ اللحاق بها. وصلنا إلى الساحة لنجد سيارة واحدة. لا أظنني أهلوس ثانيةً. سيارة فيلو فقط هي الموجودة. تبًّا! هل..؟

«هي مي مش كانت جاية معانا الصبح؟ أخدت أنهي عربية أصلاً؟» تبادلنا نظرات التساؤل.

«عربيتي.. لا حول ولا قوة إلا بالله!» لم أفهم إن انزعجت لتحطم سيارتها أم لأجل مي، أم لأجل السببين معًا، «وبعدين؟»

«مفيش بقى غير كابتن فيلو» ما هذه الصحة المفاجئة التي دبت فيها. كانت كالجثة الهامدة منذ دقائق.

عدنا إلى فيلو ثانيةً لنجده يجلس على السماعات الكبيرة. قفز عند رؤيتنا ثانيةً.

«إيه؟ حصل حاجة؟» سأل في لهفة.

«هات مفتاح عربيتك» مددت يدي إليه.

«ليه إن شاء الله؟ انت فاكرني هسيبك تسوقها؟»

«مش ناقصاك يابني انت» تركته وذهبت لأحضر المفاتيح. فجأة وجدته يقف أمامي حاجزًا الطريق. ما هذه السرعة؟

«قلتلك مش هسيبك تسوقها بمنظرك ده. مش كفاية اللي كان هيحصلنا بسببك».

«بيتكلم عن إيه يا جو؟» سألت إيناس. تبًّا له هذا البائس!

«ولا حاجة يا إيناس. ولا حاجة. طيب يا فيلو. تعالى انت وسوق عربيتك بنفسك».

«ماينفعش أمشي وأسيب العدة. لازم أستنى الناس تيجي تلمها وأحاسبهم، وإلا هيحسبوها علينا يوم كمان».

«انت بتتكلم بجد يا فيلو؟ انت ماعندكش دم؟» صاحت إيناس في غيظ. «أيوة طبعًا. انتي عارفة العدة البيونير دي بكام؟ مش أقل من مية ألف جنيه» أجابها في حنق.

«معلش يا فيلو. عليا أنا إيجار اليوم التاني ده. خليهم يسيبوها انهارده وتعالى دلوقتي معانا» إنه عنيد ولا يوجد حل سوى مجاراته.

«طيب ونور؟» أجابنا بعد تفكير عميق.

«يا نور!» صحتُ بصوت عالٍ لإيقاظها، «يلا عندك مدرسة».

«فيه إيه؟» انتفضت نور مكانها. نظرت يمينًا ويسارًا لتستوعب المشهد، «كان حلم.. طبعًا» أطرقت برأسها في بؤس.

«معلش يا نور. احنا لازم نتحرك دلوقتي عشان نلحق مي» قالت إيناس.

«مي؟ مش عاوزة أسمع سيرتها تاني».

«مي في المستشفى يا نور! مش وقت الحاجات دي!» فقدت إيناس أعصابها.

«أنا مش هروح معاكوا في حتة. عاوزين تمشوا امشوا» قالت في عناد.

«يا نور. مش عاوزين نسيبك لوحدك» حاولت إيناس إقناعها.

«خلاص. مش عاوزين تسيبوني لوحدي. خليكوا قاعدين».

«ونسيب البنت مرمية في المستشفى يا نور؟» سألتها في ذهول.

«احنا مالنا. حد قالها تمشي من غير ما تقول لحد؟ هنقعد نلم وراها لحد إمتى؟ مش هاجي معاكوا».

«طب بلاش تيجي معانا. نوصلك في طريقنا وبعدين نروحلها احنا» اقترح فيلو. لا أصدق أننا نضيع الوقت مع هذه المجنونة.

«وتسيبوني لوحدي؟ عشان مين؟ عشان مي؟ خلاص مي بقت صاحبتكوا دلوقتي أكتر منّي؟»

«نور يا حبيبتي. مش صاحبتنا أكتر منك، بس هي دلوقتي في مشكلة ومحتاجالنا. مش معناه إننا بنحبها أكتر منك» ما هذا الصبر الذي تتحلى به إيناس؟

«بتقولي إيه يا إيناس؟ يلا بينا. دي مجنونة» أشرتُ إليها في صرامة.

«طبعًا! مانا مش فارقة معاكوا. كل واحد بيفكر في نفسه وبس. كلكم عايشين حياتكم. هتسيبوني عشان واحدة واطية زي مي. هتسيبوني في المشكلة اللي أنا فيها. محدش حاسس بيا» صاحت في هستيريا.

«خلاص يا نور. أنا هوديهم وأرجعلك تاني» حاول فيلو تهدئتها.

«ماشي يا إيناس. روحيلها. سيبيني لوحدي كده. كلكوا سبتوني. محدش باقي عليا. امشي يا إيناس».

«يا نور.. لآخر مرة بقولك مش لازم حد ييجي على حساب حد! بطلي عِند بقى!» صاحت إيناس.

«انتي على طول كده، بتنقلي من صاحب للتاني! خليها بقى تنفعك! انبسطي انتي وهي. خلاص أنا مكانش ليا غير عمرو، وأهو سابني» هتفت نور. أرى الدخان يتصاعد من رأس إيناس.

«نورهااااان!» صاحت في جنون، «لو مش عاوزة تيجي.. براحتك! بس دي آخر مرة أسمحلك تتكلمي معايا بالطريقة دي! انتي فاهمة! مش عاوزة أسمع حاجة لا عنك.. ولا عن الخنزير بتاعك!»

«طبعًا، مانتي..»

«انتي فاهمة ولا لأ!» احمر جسدها كله من فرط الغضب. تسمرت نور مكانها دون أن تنطق بكلمة.

اندفعت إيناس في طريقها إلى خارج الفيلا. تعقبناها أنا وفيلو في صمت.

* * *

مي

دوى طرق على الباب. دخلت بعدها إيناس. تبدو كأنها صدمتها حافلة. ماذا حدث لها؟ جلستْ على المقعد المجاور لي في صمت وتحسست شعري بيدها. كم هي حنونة! عرفتُ أنها لن تستطيع أن تغضب مني. ابتسمتُ ولم أحاول التفوه بكلمة كي لا أفسد اللحظة. هكذا أفضل.

«انتي كويسة؟» سألتني بصوت خافت.

«آه. الحمد لله» أجبتها ببراءة. لا أريدها أن تغضب مني.

«عارفة أنا بعتلّك فيلو يدخل الأول ليه؟ كنت خايفة قوي أشوفك. تخيلت إن حصلّك حاجة. أصلهم قالولي كلام صعب في التليفون» لم تختفِ ابتسامتها.

«انتي عارفة ساعات بيبالغوا» ابتسمتُ في ارتباك.

«مجاليش الجرأة إني أدخل إلا لما حلف مليون مرة إنك كويسة وزي الفل. فكرة إنك رحتي مني.. إني كان ممكن أخسرك..» اقشعر بدنها بقوة فزاد شعوري بالذنب.

«الحمد لله يا إيناس. ربنا ستر عليا. بس العربية..»

«مش مهم العربية يا مي. حياتك تمنها أغلى من مليون عربية. بناتك وجوزك هيعيشوا من غيرك ازاي. دول مالهمش غيرك. وانتي مالكيش غيرهم» تبدل وجهها فجأة وانطفأ النور في عينيها.

«ليه يا إيناس؟ انتي موجودة أهه. مفيش حد في الدنيا عندي أغلى منك» همستُ في حذر.

«انتي ليه مشيتي من غير ما تقولي لحد؟» وقت الأسئلة الصعبة.

«ماقدرتش أستحمل إني أقعد في نفس المكان معاكوا. كانت أعصابي تعبانة» تظاهرت بالسعال كي تقلق عليّ. «كان ممكن تيجي تقوليلي إنك عاوزة تمشي. ماكنتش هتأخر عنك» للأسف، هي محقة.

«ماكنتش عاوزة أوجعلك دماغك يا إيناس».

«ده على أساس إننا فين دلوقتي؟» ابتسمتْ في سخرية. تبًّا! لا يبدو أنني سأنجو بفعلتي. أريد أن أسألها عن جو. لم يدخل للاطمئنان عليّ ولو للحظة. ألا يطيق رؤيتي لهذه الدرجة؟

«انتي جيتي مع فيلو بس؟ فين الباقي؟» أفضل طريقة لأعرف شيئًا عنه.

«خلود وحسام روّحوا من بدري. وعمرو ونور اتخانقوا وسابوا بعض» قالت في هدوء. حقًا؟ غير معقول. ماذا عن جو؟ لماذا لا تقول شيئًا عن جو؟

«سابوا بعض؟ مش كانوا لسه بيقولوا هيتجوزوا؟ سابوا بعض ازاي؟»

«هو سابها. عشان واطي» قالت بلهجة خاوية.

«واطي؟ أول مرة أسمعك بتقولي عنه كده. دانتي مهما حصل مشاكل بينهم عمرك ما رضيتي تقفي مع نور ضده. إيه اللي اتغير؟» سألتها في دهشة.

«فيه حاجات كتير بتتغير يا مي» لا أعرف لماذا تخيفني طريقتها في الكلام.

«أهي تستاهل! هاهاها! هي كمان واطية! مش ده عمرو اللي كانت بتقرفنا بيه وبتتخانق معانا عشانه؟ أهو رماها زي الكلبة! ده يعلمها إنها ماتجيش علينا تاني عشان خاطر راجل! دي حتى الواطية مهانش عليها تيجي تطمن عليا وأنا في المستشفى» ضحكتُ في انتصار. ها هي تتلقى عقابها. هذه الحاقدة!

«هتيجي تشوفك ليه؟ هي شايفة إنك أنانية ومش بتفكري غير في نفسك، وإني بديكي اهتمام أكتر منها عشان بتعملي مشاكل كتير وبتوجعي دماغ الناس كلها. وإنك بتحاولي تجذبي اهتمام كل اللي حواليكي عشان حاسة بالنقص، وإنك لازم تدفعي تمن غلطتك لوحدك» قالت بلهجة مضطربة، كأنها تشعر بالاشمئزاز.

«دي زبالة، وحاقدة! مش عاوزة تشوف حد مبسوط غيرها. بتغير من صحوبيتنا. نفسها توقع بينا. لسانها طويل وعاوزة ضرب الشبشب. وبيّاعة! دي باعتني في ثانية! وهتبيعك انتي كمان في ثانية لو جيتي عليها!»

«معاكي حق..» بدت لي وكأنها في عالم آخر. رائع! ها هي توافقني!

«أيوة طبعًا يا إيناس. لازم تصدقيني. لازم نقف مع بعض ضدها.

لحد ما تيجي زي الكلبة تحت رجلينا وتقول حقي برقبتي» هتفتُ في حماسة.

«بس عارفة.. هي كمان معاها حق» نظرتُ إليها في دهشة. لم أفهم ما تقصد.

«قصدك إيه يا إيناس؟» سألتها في قلق. وقفت مكانها.

«يعني انتي كمان مبتفكريش في حد غير نفسك. أنا لما جالي تليفون إنك في المستشفى كانت روحي هتطلع. مابقتش قادرة يا مي خلاص. هلاقيها منك ولا من نور ولا من مين. مابقتش مستحملة. أعصابي مابقتش مستحملة، قلبي بيوجعني. أنا بقيت حاسة إن كل أصحابي واقفين عليا بخسارة. مفيش صاحب واحد بيفكر فيا قبل ما يعمل أي قرار، مع إني عمري ما عملت حاجة عشان أضايق حد أو أجرحه. اشمعنى أنا اللي براعي كل واحد فيكوا! محدش فيكوا عنده دم ولا إحساس! وانتي أولهم يا مي! أنانية! سبتي كل الناس ورايحة تحبي في جو! مع إنك عارفة كويس قوي إن اللي بيني وبين جو حاجة كبيرة قوي. هل ده يفرق معاكي في حاجة؟ لأ طبعًا!»

«معرفش إن فيه حاجة بينك وبين جو يا مي.. ماكنتش أعرف» أنا أكذب بالتأكيد. منذ البداية أعرف بوجود شيء مريب بينها وبين جو. لم يوقفني هذا من محاولة التقرب إليه. لم أفكر سوى في أنني أريده لنفسي. لم أفكر أبدًا بما قد تشعر به. بالضبط كما لم أفكر فيما قد يحدث لسيارتها عندما أخذتها ليلاً، بالضبط كما.. أشياء كثيرة.

«لأ عارفة يا مي. وأما دخلت عليكي قبل ما تسيبي الفيلا أول مرة قعدتي تقولي فيه شعر! بدون أي مراعاة لمشاعري».

«ماكنتش في وعيي يا إيناس» لا أتذكر هذه الواقعة جيدًا.

«نور كان ممكن أستنى منها أي حاجة. لكن انتي يا مي؟ رغم كل اللي بعمله عشانك؟ لازم أتصدم في كل الناس؟! نفسي يبقى عندي أصحاب طبيعيين. ناس أنبسط معاهم فعلاً ويريحوني. مش ناس بحاول أريحهم وكل اللي فارق معاهم إنهم يدوسوا عليا وبعدين يعتذروا. مش قادرة يا مي.. مش قادرة» انهمرت الدموع من عينيها وأدارت وجهها بعيدًا عني.

«حقك عليا يا إيناس» نهضت من الفراش لأتحدث إليها، «والله مابيكونش قصدي أعمل كده. حقك عليا. سامحيني يا إيناس» قبلت كتفها ورأسها في محاولات مستميتة لإرضائها.

«مسامحاكي يا مي» قالت في هدوء. ابتسمتُ في ارتياح، «بس لازم تبقي عارفة. هتقعدي فترة ماتشوفينيش» صدمني قولها وسقط قلبي بين قدمي.

«إيه؟! ليه؟»

«محتاجة أرتاح يا مي. مش عاوزة أشوف حد ولا أتكلم مع حد خلاص. محتاجة أفكر في نفسي شوية. تعبت من إني أدادي في ده وأطبطب على ده. أنا محتاجة أطبطب على نفسي» أشعر بالهواء يهرب من رئتيّ!

«خلاص يا إيناس براحتك. بس هترجعي إمتى؟» أحاول إرضائها بأي شكل ممكن كي لا أخسرها.

«ماعرفش يا مي. يمكن يوم، اتنين، أسبوع. وممكن ماتشوفينيش تاني خالص».

«أرجوكي يا إيناس. عشان خاطري».

«مش قادرة يا مي» قالت في صوت متحشرج. يبدو عليها الإعياء الشديد. لم أجد ما أقول.

أغلقتْ الباب خلفها. وقفتُ وحدي في الغرفة. لقد رحلتْ. لازالت الصدمة تشلني. إيناس هي أقوى من عرفت. كيف وصلتْ لهذه الحال؟ كيف تخلت عني بهذا الشكل؟ لا بد أنني طعنتها بقوة. تخلت عني لأجل جو؟ لا ليس الأمر هكذا. ولى زمن إلقاء اللوم على غيري. أنا أبعدتها عني. أنا جعلتها تكرهني. لمرة واحدة عليّ أن أتحمل نتيجة فعلتي. أنا السبب فيما حدث. ظللت أنظر إلى الباب على أمل أن تظهر خلفه ثانية. لا أظن هذا سيحدث. جلستُ على حافة الفراش. نجوت بجسدي، لكن تحطم قلبي. ليتني مت قبل أن أصل بإيناس لهذه الدرجة. انفتح الباب فجأة. نظرتُ في لهفة. إنه فيلو. يا لخيبة الأمل! جلس بجواري على الفراش وضمني إليه. بكيتُ على كتفه. ربّت على ظهري في حنان. أحتاج إلى وجوده معي الآن. لم أتخيل أن يأتي يوم يكون فيه فيلو هو كل من تبقى لديّ.

«إيناس مش عاوزة تكلمني تاني» همستُ بصوت واهن. كم يبدو صوتي كالأطفال.

«سيبيها شوية. تلاقيها بس تعبانة ومحتاجة ترتاح. كلنا تعبانين» أجابني بصوت خافت كأنه يدللني. أحتاج لمعاملة أطفال بالفعل.

«طب ماينفعش ترجعهالي؟» قلتُ بلهجة طفولية كأنني أتحدث عن لعبة.

«لأ انتي فاهماني غلط خالص. أنا مش ساحر، ولا سوبرمان اللي هييجي ينقذ الموقف ويقضي على الأعداء.

أنا واحد عادي خالص. آخري أقعد أعيط جنبك وأطبطب عليكي. ده اللي بعرف أعمله. إنما أرجع اللي راح؟ ده مش تخصصي خالص» خرجت منّي ضحكة مكتومة. رفعتُ رأسي ونظرت إليه لأجده مبتسمًا. إنه إنسان جميل ونقي من الداخل.

«محدش بيرجع اللي راح يا فيلو» أومأ برأسه موافقًا.

«موبايلك ده اللي على الأرض؟» انحنى فجأة ليحضر شيئًا من على الأرض.

«آه فعلاً. إيه اللي جابه هنا؟» تساءلت في دهشة.

«فيه حاجات بعرف أعملها برضه غير إني أطبطب وأعيط» ضحكنا معًا وعدت لأستند على كتفه ثانيةً.

ظللنا لفترة من الزمن. ربّت على رأسي فنهضت لأعرف ما يريد. قام وتوجه إلى الباب.

«رايح فين؟» سألته في خيبة أمل.

«هجيبلنا حاجة نشربها».

عاد بعد قليل وأعطاني كوبًا من العصير وجلس على المقعد المجاور.

«اوعى تكون حاططلي حاجة في العصير» حاولت مداعبته.

«لأ ماتقلقيش. هو ده آخري. عصير».

شرب رشفة من العصير. ظل ناظرًا إليّ كأنه يخشى أن أغيب عن نظره ولو للحظة. لو لم أعرف صفاء نيته لتخيلته يشتهيني. لا أحد يشتهيني. لا أحد يريدني. لا أعرف ما هذا الهدوء الذي يحيط بي. تخيلت أنني سأموت

بعدما أخبرتني إيناس بأنها ستختفي من حياتي. ربما أنا في مرحلة الإنكار. لا أصدق بعد ما حدث. قد أبدأ باستيعاب الأمر غدًا أو بعد غد. أشعر بالإعياء الشديد ولا أمتلك الطاقة حتى لأحزن أو أشعر بالبؤس. أنا في مرحلة اللاوعي، عدم الاتزان، الذهول. على الجانب الآخر من العملة لازلت لم أخسر كل شيء. لازال لدي زوجي وبناتي. لازال عندي ما يكفي من الوقت لأعوض سلسلة الإخفاقات التي مررت بها طوال حياتي. ربما لست منبوذة إلى هذه الدرجة أيضًا. وإلا لماذا سيظل فيلو بجانبي رغم كل ما حدث؟ ربما هناك من يمكنه تحملي على علتي. لماذا حاولتُ الاندماج مع من لا يناسبني، بينما يسهل الاندماج مع شخص من مثل طينتي.. أو نفس ريشي؟ ربما سأقابل أناسًا كثيرين مثله؛ أناسًا يظلون بجانبي مهما حدث. كفاني بحثًا عن رداء لا يناسبني. سأستعيد هويتي التي فقدتها في محاولة أن أكون شخصًا آخر. أنا هكذا.. و لن أحاول أن أكون غير هكذا. كلما آمنت بهذه الحقيقة كلما قلت المشاكل التي أسببها لمن حولي. لن أكون عبئًا على أحد بعد الآن. لن أكون ضيفة ثقيلة. تعلمتُ هذا الدرس بالطريقة الصعبة. من يدري؟ ربما لم يفت الأوان بعد. رأيت فيلو يبتسم وهو ينظر إلى هاتفه المحمول.

«بتضحك ليه؟» سألته في فضول.

«لأ. ولا حاجة. قريت نكتة ضحكتني».

بدا وجهه مشرقًا. أظن في الأمر ما هو أكثر من مجرد مزحة. لا يهم. المهم هو أنه لايزال جالسًا بجواري.

* * *

عمرو

تمت عملية التدمير الذاتي. ها قد أضعت أي فرصة لي لأعود إلى نور. لم أخسر نور فقط، بل كل من حولها أيضًا. لم أؤذِ نور وحدها، بل كل من حولها. إلى الآن لا أصدق ما فعلت. كيف تهجمت على امرأة تعطيني الأمان؟ إيناس من أعز صديقاتي ولطالما دخلتُ بيتها وتناولت الطعام معها على سفرة واحدة. لم أكن لأكره نفسي هكذا لو اعتديت على ساقطة أو فتاة رأيتها في الشارع. لكن إيناس؟ كيف فعلتُ هذا بها؟ إنه التدمير الذاتي. دمرتُ الأيام الجميلة التي مررت بها الفترة الماضية في لمح البصر رحلتُ من بينهم دون أن أترك ذكرى جميلة. لم أخسرهم فحسب بل شوّهت صورتي تمامًا أمامهم. أصبحتُ بالنسبة لهم ماضيًا أليمًا يريدون نسيانه بأسرع ما يمكن. هذا هو الشكل الذي توجب أن تسير عليه الأمور. كان عليّ أن أقطع صلتي بها تمامًا. لم أقصد أن يسير الأمر بهذا الشكل المخزي لكنه حدث. الآن ستعرف نور حتمًا ما حدث وتكرهني تمامًا. بالنسبة إليها أنا حقير ولا ينبغي أن تتحدث إليّ ثانيةً. هذا يسهل الأمر عليّ. مع الوقت سأنساها. الزمن دائمًا ما ينجح في مسح ذاكرتنا وبالتالي نستطيع المضي قدمًا في حياتنا. لولا نعمة النسيان لفقدنا عقلنا. نور لم تكن تناسبني بأي حال من الأحوال. كثرت خلافاتنا وأضحى

فراقنا أمرًا حتميًا. ما فعلته هو مجرد تسريع للإيقاع كي نصل إلى النهاية مبكرًا. أحسنتُ صنعًا.

وصلتُ إلى بيتي. ركنت سيارتي أمام المبنى وأرحت رأسي على المقعد. أمسكتُ بهاتفي. مئات المكالمات من نور. ألازالت تحاول مكالمتي؟ أمر غريب. الكثيرمن الرسائل. بدأتُ بالقراءة. كما توقعت. الرسالة الأولى.. شتائم. الرسالة الثانية.. شتائم. الرسالة الثالثة.. لومٍ وعتاب. الرسالة الرابعة.. حنين للماضي. الرسالة الخامسة.. شتائم ثانيةً. معها لا أستطيع توقع أي شيء. الرسالة السادسة.. تضرع. حقًا؟ الرسالة الثامنة.. استوقفتني الرسالة الثامنة.. «أنا ماليش غيرك يا عمرو. كلهم سابوني. حتى إيناس باعتني. ارجعلي يا عمرو. عمري ما هزعلّك تاني». لم تخبرها إيناس بأي شيء إذن! ربما خسرتُ إيناس، لكن لم أخسر نور بعد! لا أصدق إيناس. رغم ما فعلته بها لم تمتلك القدرة لتخبرها بأي شيء. إنها تضحي لكي تترك المجال لعودتنا. لم ينهر كل شيء بعد. ستظل إيناس تُشعرني دائمًا بضآلتي. كان بإمكانها إغلاق الباب بكل سهولة لكنها رفضت. هذا يجعلها أفضل مني مائة مرة. إنها أكثر شجاعة مني. أهذه علامة؟ أيتوجب عليّ القيام بشيء؟ أمسكت بهاتفي وأرسلت لها. «نور.. حبيبتي.. أنا مش عاوز الأمور تبقى كده بينا». ضغطتُ زر الإرسال.

أيجب عليّ أن أتحرك؟ كلما تذكرتُ وجه جو الساخر وهو يتحدث إليّ أشعر بالغيظ. كيف يراني الآن؟ كيف يراني الجميع؟ هل أخبر جو أحدًا؟ لا أظن، وإلا ما كان طرد إيناس من الغرفة. كما لو أنه يحفر لي النفق للهروب من السجن. إنه سجن حتمًا؛ لكنه سجن أحبه. مهما رأيتُ من نور فيمكن أن أتحملها. أليس كذلك؟ تحديت نفسي من البداية ألا أتركها أبدًا، وأن أتحمل كل عيوبها. أخبرتني منذ البداية أنها لن تتحمل

جرحًا آخر. وعدتها ألا أفعل. مادام قلبي ينبض لن أجرحها. لم أقل هذا لأغويها بل لأنني كنت أعنيه فعلاً. كيف أصبحتُ بهذا الضعف؟ لم أكن يومًا بهذا الجبن. لن أدع جو ينظر إليّ باحتقار. لن أمسح كل الذكريات الجميلة فقط لأن والدتي ترغب في ذلك. أنا رجل. أنا صاحب قراري. أعرف ما ينبغي عليّ فعله. أدرت محرك السيارة ثانيةً وتوجهتُ إلى بيت والدتي. طوال الطريق تبادلت الرسائل مع نور. إنها تتمنى عودتي. عليّ أن أحسم الأمر مع والدتي. إنها المواجهة الأخيرة. ليس الاختيار بيدها. ستوافق على الوضع رغم أنفها. ركنت السيارة وصعدت درجات السلم مسرعًا. أسمع أذان الفجر. إنه التوقيت المناسب. والدتي تستيقظ دائمًا لأداء الصلاة. نظرتُ إلى الهاتف. نور وحيدة وتحتاجني بجوارها. أسمع نحيبها، أرى دموعها، أشعر بضربات قلبها المكسور. سأصلح كل شيء. سأستعيدها، وأطلب من إيناس أن تغفر لي. فتحتُ الباب بقوة وصفقته خلفي.

«مين اللي جه؟» سمعت والدتي تهتف في ذعر.

«أنا يا ماما. أنا عمرو» قلت بصوت هادئ لأطمئنها.

«موري. تعالى يا حبيبي، أنا في الحمام بتوضى» لم أنتبه يومًا أنها تناديني بهذا الاسم.

«أخبارك إيه؟»

«أنا كويسة يا حبيبي. لسة حاطالك هدومك في الغسيل. اتعشيت؟» قبلتني في حنان.

«آه يا حبيبتي. أكلت».

«أكلت من الشارع طبعًا. بعد كده بيجيلك إسهال وتيجي تعيطلي. معرفش ليه حاسة إني دايخة. ابقى وديني بكرة للدكتور يا حبيبي» قالت في تعب واضح.

«حاضر يا حبيبتي» قبلتُ يدها.

«إيه اللي جايبك وش الفجر يا موري؟» من أيضًا يناديني بهذا الاسم؟ نور.. والدتي. نور.. والدتي.. نور.. والدتي. نور.. والدتي.

«لا يا حبيبتي. جيت أطمن عليكي بس» احتضنتها وقبلتُ رأسها.

نظرتُ إلى هاتفي. رسالة جديدة من نور. أغلقتُ الهاتف وألقيت به في سلة القمامة.

* * *

خلود

جلستُ في فراشي أهتز كالممسوسة. أعرف أن حسام لا يزال يقف في انتظاري أسفل البيت. ليتني تركته على الطريق. حاول التظاهر بالرجولة وأصر على ألا أوصله إلى بيته. تبًّا له! مهما فعل فلن يصلح هذا من أي شيء. لم يتوقف عن إمطاري بالرسائل. مكالمات هاتفية كثيرة! لن أرد عليه. ماذا ينتظر منّي؟ أن أغفر له؟ اتصلتُ بإيناس لأرى كيف ستدافع عنه هذه المرة. سأنفجر بها لو فعلتْ.

«شفتي يا إيناس عمل إيه؟»

«عرفت. كلمني. ده قاعد منهار وبيعيط».

«هو اللي منهار يا إيناس؟ فعلاً؟» صرختُ بها في جنون.

«صدقيني هو مظلوم برضه. أي واحد في مكانه ممكن يضعف لما..»

«مش عاوزة أسمع حاجة عنه يا إيناس. مش عاوزة».

«يا عبيطة ده..»

«عارفة لو قلتيها هعمل فيكي إيه؟!»

«خلاص يا خلود. اللي يريحك. عمومًا هو مش هيتحرك إلا لما

تتكلمي معاه. مش محتاجة أعرفك كده طبعًا».

أنهيت المكالمة وجلستُ أفكر. إنها محقة. هذه طبيعته. لن يبرح مكانه قبل أن يصل إلى ما يريد. الحل هو أن أتركه فربما يفقد الأمل ويرحل. لو أجبت أيًا من مكالماته فسيعطيه هذا إيحاء بوجود فرصة. لا أريد ذلك. أريده أن يرحل ولا يعود إلى حياتي. جعلت هاتفي في وضع «صامت» وأغمضتُ عينيّ. فجأة اقتحم أحد الغرفة وأنار المصباح فانتفضت في الفراش. إنها والدتي! ماذا تريد؟

«حد يدخل كده؟ فيه إيه؟» عماني الضوء فأغمضت عينيّ وصحت في ألم.

«إيه الكلام ده؟» وضعت هاتفها أمام عينيّ. لا أرى شيئًا بالطبع. فقدتُ بصري!

«مش شايفة. استني كده» دعكتُ عينيّ وبدأت الرؤية تتضح.

«إيه الكلام ده يا خلود؟!» تبدو غاضبة.

إنها رسالة.. من حسام! نصها «أنا حسام يا طنط. عندي خبر وحش. أنا وخلود غلطنا مع بعض. وأنا مستعد أصلح الغلطة دي بأي شكل يرضيكي» اتسعت عيناي في دهشة. يا إلهي! هذا الوغد! هذا الحقير! وصل لمستوى من الانحدار لم أتخيله في حياتي. فغرت فاهي أمام الهاتف. سيطر الذهول عليّ. لا أجد ما أقول.

«صح الكلام ده يا خلود؟» صاحت والدتي في غضب. لا يمكن أن أطيل الصمت.

«إيه الكلام الفارغ ده!» هتفتُ في غضب مُفتَعَل.

«يعني هو هيتبلى عليكي؟» صاحت في استنكار.

«ده إنسان واطي وزبالة. حاول يتهجم عليّ وأنا حطيته عند حده. أنا قطعت علاقتي بيه تمامًا. أكيد بيعمل كده عشان ينتقم منّي. الحيوان! المهزأ!» ضربت الحائط بقبضتي في غضب شديد، وحقيقي هذه المرة. لا أصدق أنه فعل ذلك. يفضحني أمام والدتي! المنحط!

«اتهجم عليكي؟ طب انتي كويسة؟!» ظهر القلق على وجهها.

«ماتقلقيش يا ماما. أنا كويسة! مش مصدقة إنه عمل كده! ومش مصدقة كمان إنك تشكي فيا! تشكي في بنتك يا ماما؟ بعد كل السنين دي تيجي تتهميني بحاجة زي دي!» هل ستقتنع بهذا؟

«أنا آسفة» قالت في خجل، «أنا لما شفت الرسالة دي دمي فار. ماتزعليش مني» احتضنتني وهي تشعر بالذنب. كم أنا رخيصة! أهاجمها بهذه الطريقة لأبرئ نفسي من تهمة صحيحة. لكن ماذا بيدي لأفعله؟ إنها الطريقة الوحيدة للخروج من المأزق الذي وضعني به هذا الحقير.

خرجت والدتي من الغرفة. ظللت محدقة في الحائط. لقد فضحني أمام والدتي. لماذا فعلها؟ أهذه طريقته في الانتقام مني؟ أن يشهر بي وبسمعتي؟ أيلجأ لهذه الحلول الرخيصة؟ انتبهت فقط الآن أن قبضتي تؤلمني. رن جرس هاتفي ثانيةً. إنها إيناس.

«إيه اللي حصل؟ حسام كلمني وقالّي على عملته السودا. قوليلي إيه اللي حصل!»

«الواطي! الزبالة! الحيوان! عاوز ينتقم منّي ويدمرلي حياتي عشان سبته. الوسخ. حطني في موقف زي الزفت مع ماما. خلاني أكذب عليها»

لقد قتلني مرتين الليلة. خانني مرتين؛ خيانة للثقة، وخيانة للأمانة.

«وصدقتك؟» سألتني في قلق.

«آه. الحمد لله. بعد ما استأمنته على نفسي يعمل فيا كده؟! الحيوان! لسه هتدافعي عنه؟» لم أستطع مقاومة دموعي. أشعر بأنني رخيصة، بأنني مستهلكة الآن. أيتاجر بي ويسمعتي؟ أصبحت له مجرد سلعة لأجل المتعة، بمجرد أن خسرها يريد إفسادها لكي لا يحصل عليها غيره. يريد أن يعيبني كي لا يشتريني أحد.

«أنا بهدلته! أدافع عنه إيه؟ أنا فاهمة هو عمل كده ليه. بس مفيش أي مبرر في الدنيا يخليه يعمله»

«عمل كده ليه؟» هذا هو السؤال.

«عشان ترجعيله غصب عنك. لما مامتك تعرف، هو كده فاكر إنها هتجبرك تتجوزيه عشان تصلحي غلطتك».

من الحب ما قتل. سمعت هذه الجملة كثيرًا دون أن أتخيل إلى أي مدى قد يتمادى الإنسان لتنفيذها. لأنه يحبني يدمرني كي لا يصبح لدي بديل آخر عنه؟ كم هو أحمق! كم هو رخيص! إن كان هناك أي احتمال أن أعود إليه منذ قليل فقد زال تمامًا الآن. لن ينجح في أن يعيدني إليه هذه المرة. انتهى الأمر، بشكل حاسم. تناولتُ الدواء وجلستُ أنتظر الغيبوبة. قمت بتشغيل الموسيقى فربما تلهيني عن الألم الذي يسيطر عليّ. أغمضتُ عينيّ في استسلام. أشعر بصخرة تجثم على صدري. يا إلهي! يسيطر عليّ شعور رهيب بالغثيان. اعتدلتُ وتماسكتُ بصعوبة.

إن تقيأت فكأنني لم آخذ الدواء. عليّ أن أتحمل قليلاً. رأسي تدور.

أردت أن أغلق النور. قمتُ أتطوح يمينًا ويسارًا. أسندتُ يدي على الحائط لأتمالك نفسي. هذا الدواء يمتص الحياة منّي. انتبهت للموسيقى فجأة. تعجبني هذه النغمة. لم أسمع هذه التراك من قبل. كم هي جميلة! تجعلني أريد أن أترك كل ما أفعل وأرقص. بدأت أتمايل مع أنغامها ودقاتها القوية. ها هي التراك تهدأ قليلاً.. أنغام رائعة هادئة.. أشعر وكأنني أتنفس هواءً جديدًا رغم أن النافذة مغلقة. ماذا كان يضايقني منذ دقائق؟ لا أتذكر. صوت أنثوي ناعم ورائع. احتدت النغمة فجأة فدبت القشعريرة في جسدي، يا لروعتها.. تسارعت الضربات الآن و.. قفزتُ لأعلى مع عودة الدقات، مع الإيقاع السريع للتراك. يا له من شعور! ها قد انتهت التراك وبدأتْ غيرها. تأملتُ نفسي في المرآة. نظرتُ إلى ذراعي لأرى القشعريرة واضحة عليه. أشعر بتصلب في صدري. ابتسمتُ متذكرة هذه اللحظة من قبل. جلستُ على حافة الفراش. أتيت بهاتفي المحمول. يجب أن أخبر فيلو بهذه اللحظة. «سمعت تراك جامدة قوي وقشعرت. فافتكرتك». أرسلتها له. وضعتُ الهاتف على الطاولة وعدتُ إلى الفراش ثانيةً. نظرتُ إلى سقف الغرفة. ماذا كنت أفعل منذ قليل؟ أشعر بتقلب في معدتي! تبًّا! تذكرت! إنه هذا الدواء اللعين. سأسقط في غيبوبتي في أي لحظة الآن. لا أعرف متى سأستيقظ منها.

* * *

جوزيف

خرجتْ إيناس من الغرفة. لازالت شاحبة. يراودني شعور بأن لونها لن يعود أبدًا. ليلة واحدة فعلت هذا بها. إلى أين تذهب؟ ربما إلى الحمام. سأظل واقفًا مكاني. تجنبت مقابلة مي. لا مجال لوجود أي شيء بيننا. هكذا أفضل. إن كنت أخطأت من قبل وأعطيتها الشعور بوجود احتمال لأي شيء فسأقضي على هذا تمامًا الآن. عدم زيارتي لها رسالة واضحة على أنني لا أريدها في حياتي. أي شخص مكانها سيكرهني لأنني لم أحاول الاطمئنان عليه حتى. انتظرتُ إيناس عند درجات السلم. عادت بعد قليل وذهبت مباشرةً إلى فيلو. فيم يتحدثان؟ لن أظهر لها أنني أهتم. انتظرت حتى توقفا عن الحديث فتوجهت إليهما.

«كله تمام؟» سألتهما في لامبالاة مفتعلة.

«آه. هتروّحوا ازاي؟» سأل فيلو.

«انت مش هتروّحنا يا ندل ولا إيه؟» سألته ضاحكًا.

«أنا مش هروّح. هستنى معاها. هوصلها البيت، وبعدين أروح أجيب العدة، وأجيب نور عشان أروّحها، فماتتوقعش منّي إني أروّحك أو حتى أسيبلك العربية» أشار بإصبعه محذرًا. كم هو مضحك!

«راجل ياض يا فيلو» ربتّ على كتفه ضاحكًا.

«اتريق براحتك يا جو. بس برضه لأ» قال في عناد.

«مش بتريق على فكرة. انت فعلاً راجل. أرجل واحد فينا» ابتسمتُ، وأومأت برأسي مؤكدًا ما أقول. ابتسم هو الآخر متفاجئًا بهذه المبادرة.

«لا يا جو. متقولش كده على نفسك» قال في سخرية. هذا أفضل من أن تستمر اللحظة الدرامية. لم أكن لأعانقه بالتأكيد.

«خلاص احنا هنتصرف ونتشعلق في أي حاجة. خلّي بالك على نفسك، وعلى مي. ماتنساش إنها أختي» غمزتُ له فابتسم في بهجة.

«ماتقلقش. أختك في عيني».

«سلام يا فيلو. ابقى خلينا نشوفك يا بايظ» صافحته في حرارة حقيقية. إنه فتى صالح.

«سلام يا جو. سلام يا إيناس».

خرجنا من المستشفى وركبنا إحدى سيارات الأجرة التي تنتظر أمامها. لم أتحدث إليها طوال الطريق. وصلنا إلى بيتها. نزلنا من السيارة ووقفنا أمام مدخل العمارة. تبادلنا النظرات دون أن نجرؤ على الحديث. لا أظنها تطيق الانتظار لتقفز في فراشها لتمحي هذه الليلة من ذاكرتها إلى الأبد. ما بدأ كحفل عيد ميلاد انتهى بنهاية مأساوية لم يتخيلها أحد منا. تنحنحت إيناس فانتبهت إليها. إنها تريد الصعود إلى بيتها حتمًا. ابتسمتُ وفتحتُ لها الباب. بدا التردد على وجهها.

«أنا آسفة» لا أصدق أنها تكلمت. أخيرًا.

«أنا كمان آسف» كفانا دراما. علمنا أنه لا يمكن أن نترك الأمور عالقة هكذا.

«آسفة يا جو إني قلتلك الكلام ده. ماكانش قصدي» احتضنتني في قوة لأشعر بترياق يسري في جسدي كله. إنه أفضل شعور راودني الليلة؛ أكثر من السم الذي كاد يفتك بي.

«أنا اللي آسف يا إيناس. انتي عمرك ما اتخليتي عني. وأنا جرحتك» كم أكره اللحظات الدرامية!

«وأنا عمري ما هلاقي أب لولادي أحسن منك.. يعني.. انت فاهم قصدي إيه» ابتسمتْ في حرج عندما انتبهت لما يمكن أن يشير إليه كلامها، فتراجعتْ.

«فاهم يا إيناس. هتلاقي.. بس مش أحسن مني. صح كده؟» ضحكتْ في حرج ثانيةً فاحتضنتها بقوة. كم أحب هذه المرأة! إنها أغلى ما عندي في هذه الدنيا! فكرة الابتعاد عنها تعتصر قلبي.

«بحبك يا جو» همست في حنان جارف.

«أنا بعشقك يا إيناس» قبلت وجنتها وأخذت أربت على رأسها.

أريد أن أنام هكذا. أتشمم شعرها في هدوء ليخدر جسدي ويجعلني سكيرًا. «كلميني عنه» همستُ في أذنها.

«اتعرفت عليه في عيد ميلاد رشا صاحبتي. ساعة مانت ماعرفتش تيجي وكان عندك شغل».

«يااااه. يا ريتني كنت جيت» تنهدت في حسرة فابتسمتْ في أسى.

«هي الدنيا كده يا جو. انت عارف كويس إنناماينفعش نكمل».

«عارف يا إيناس. عارف. بس انتي كمان لازم تبقي عارفة إني مش هستحمل أشوفك مع واحد تاني» لا أصدق أنني أطعن نفسي بيدي.

«فاهمة يا جو» تبللت عيناها بالدموع. تعرف حتمًا ما على وشك أن أقول.

«اديني كده عشر سنين وهبقى كويس» أجهشتْ بالبكاء فاحتضنتها في قوة وقاومتُ دموعي أنا الآخر. لا أريد أن تكون آخر صورة تراني عليها وأنا أبكي. يجب أن أكون أقوى منها ولو لمرة واحدة. سأظل قويًا، «بتعيطي ليه يا إيناس؟ ماتعيطيش. مفيش حاجة في الدنيا تستاهل. مفيش حد يستاهل» رفعتْ رأسها ونظرت إليّ في وهن.

«ماتقولش كده يا جو. لو فيه حد في الدنيا يستاهل أي حاجة فهو انت. أنا عمري ما حبيت ولا هحب حد غيرك».

«بلاش تقولي كده يا إيناس. قولي كلام بايخ. قوليلي إني شمّام ومايشرفكيش إني أبقى أبو ولادك. كلام من اللي يرفه عن الواحد ده. أرجوكي» بدأت شفتاي ترتعشان. حاولت التحكم بهما. سأظل قويًا. لن أبكي. ليتني كنت مكانه. ليتني كنت مكانه. ألا يوجد أي طريقة لآخذ مكانه؟

«بحبك يا جو» أشعر بضغط قوي على عينيّ. تريدان أن تنفجرا بالدموع. لن أفعل.

«قوليلي انت أناني ومابتفكرش غير في نفسك. واحدة عشان الذكرى بس».

«بموت فيك يا جو» طبعتْ قبلة على شفتيّ. أغمضتُ عيني وكتمت أنفاسي لتنتبه كل حواسي إلى القبلة. إنها القبلة الأخيرة. لا يجب أن أفوّت منها أي جزء. يجب أن أتذوقها جيدًا وأتشبع بها. شعرت بدموعها على وجهي. تلذذت بكل ثانية، بكل نفس، بكل مذاق. لا أريد أن أفكر في اللحظة القادمة. الآن فحسب. لمدة ثانية إيناس ملك لي. إلى أن تفارق شفتانا بعضهما البعض نحن عاشقان حميمان. انتهتْ القبلة. ومعها انتهت رغبتي في الحياة.

«لو عملّك أي حاجة. انتي عارفة هتلاقيني فين» تعرف أنني أكذب.

«هلاقيك فين يا جو؟» تبًّا! ماذا أقول لها؟ الحقيقة.

«هسافر عند أهلي» ظل وجهها كما هو، بائسًا، «خلاص مابقاش ليا مكان في البلد دي. أنا كنت قاعد هنا عشان حاجة واحدة بس. ماظنش فيه سبب تاني يخليني أقعد في المخروبة دي».

انخرطتْ في بكاء عميق. فحاولت تهدئتها.

«هو أنا أبقى أنانية لو كنت عايزاك جنبي؟» سألتني بصوت مبحوح.

«تبقي واطية قوي لو طلبتي منّي كده يا إيناس. لأنك عارفة إني هعمل كده لو طلبتي. عاوزاني أعمل كده؟» ظلت صامتة وكأنها تفكر في الإجابة.

«لأ يا جو. مش عاوزاك تقعد جنبي. عاوزاك ترجع في الوقت اللي يناسبك» قالت في حسم وهي تمسح دموعها.

شيء ما بداخلي أرادها أن تطلب مني ذلك. لطالما أحببت الشعور بالألم بدلاً من أن أفقد الشعور. كم ينطبق ذلك على هذا الموقف.

أعطتني الإذن بالرحيل أخيرًا. أطلقت سراحي. لم أعد أتحمل هذا الوضع. سأسافر إلى أهلي. ربما أنساها. الزمن لا يداوي الجروح، وبعد المسافات لا يقلل من الشعور بالألم؛ لكن، أهناك حل آخر؟ لا أظن.

«لسه عندك أصحابك اللي بتحبيهم» داعبتها محاولاً تغيير الموضوع.

«آه. لأ أنا واخدة منهم أجازة معرفش هتخلص إمتى. رصيدهم عندي خلص. حتى خلود مابقتش فاهماها. بقت سرحانة على طول وفي كون تاني غيرنا».

«كل واحد بينام على الجنب اللي يريحه يا إيناس. لازم انتي كمان تعملي كده».

«حاضر يا جو. اوعدني تخلي بالك من نفسك. وافتكر دايمًا. انت أقوى من أي حد، وكل الناس بتاخدك مثل أعلى ليها. زي ما الناس بتقدرك.. لازم تقدر نفسك» قالتها وعادت لدموعها. ظلت جميلة رغم انتفاخ عينيها. بدأتُ أخاف على حالتها الصحية، سيصيبها الجفاف وفقر الدم من فرط الدموع. لازلت عند وعدي. لن أبكي. ستراني قويًا لآخر مرة.

«يلا اطلعي عشان شكلنا مريب قوي. يلا يا بت» قلتها فابتسمت رغم دموعها. التفتّ سريعًا لأسير مبتعدًا. أكره لحظات الوداع. وأي لحظة وداع هذه؟ لا أريد أن أراها وهي تودعني. أريد أن أجعل آخر مشهد أراه لها وهي تبتسم.

«جو!» نادتني من بعيد.

«مفيش حد بالاسم ده» رفعتُ ذراعي لأعلى ملوحًا لها دون أن أقوى

على الاستدارة.

لا يمكنني أن أراها. ساقاي بالكاد تحملاني. الشارع طويل. سأسير كثيرًا قبل أن أجد ركوبة إلى البيت. أي بيت؟ ها قد تركته منذ ثوانٍ معدودة. لم يعد لي بيت في هذه البلاد. سأسافر إلى الجانب الآخر من الكرة الأرضية باحثًا عن حياة أخرى تعوضني عما تركت، ولن أنجح. محاولات كثيرة ستنتهي بالفشل حتمًا. لم يعد بيدي ما أفعل. هذه هي النهاية. لا مجال للنهايات السعيدة. حانت ساعة الرحيل. في فيلم آخر يستدير البطل ويعود ليجدها تقف خلفه؛ لكن ليس هنا وليس الآن، وليس معي. أنا ملك النهايات البائسة. سأتصل بوالدتي لأخبرها بأنني قادم. لا بد أنهم يشاهدون التلفاز الآن. وضعتُ يدي في جيبي لأخرج هاتفي المحمول. ما هذا الذي في جيبي؟ أخرجته وتفحصته بعينيّ في الظلام. كأنني لا أعرف ما هذا! كأنني أحتاج إلى ضوء لأراه. نعم.. إنه كيس من المسحوق الأبيض. لن أراها ثانيةً. انتهتْ رغبتي في الحياة. ابتسمتُ متفحصًا الكيس ووضعته ثانيةً في جيبي.

* * *

فادي

وصلنا إلى المستشفى. يبدو التوتر الشديد على إيناس. توترتْ بما يكفيها لعام كامل. وقفنا أمام باب الغرفة. ظلت تنظر إلينا وهي ترتعش.

«مش هتدخلي؟» سألتها في دهشة.

«مش عارفة. ما تدخل انت يا جو» ابتسمت في اضطراب.

«أدخل فين؟ ماليش دعوة. لحسن فيلو يزعل».

«أنا مش قادرة أشوفها في الحالة دي» أغمت عينيها بيدها.

«خلاص هدخل أنا أشوفها. ماتقلقيش. إن شاء الله هتبقى كويسة».

ابتعدا عن الباب فدفعته ودخلتُ في حذر. إنها راقدة في الفراش. تبدو لي بحال جيدة؛ نائمة فقط.

«مي؟» ناديتها بصوت خافت. فتحتْ عينيها وانتصبت في الفراش.

«فيلو؟ أنا افتكرتك إيناس».

«هو إيناس لازم تشوفك نايمة يعني؟ مش فاهم» ضحكتُ في استنكار.

«تقريبًا. أصل عربيتها اتدغدغت. هتقتلني. فلازم أتمسكن. اوعى تقولها إني قلتلك كده» ابتسمتْ في خجل.

«لأ متخافيش. سرك في بير» كم تبدو جميلة بوجهها الطفولي. يصعب كراهيتها مهما ارتكبت من أخطاء.

«أمال هي فين؟» سألتني في توتر.

«هي برّه. أناديهالك؟»

«على حسب..» اقتربت بوجهها مني وكأنها ستخبرني بسر عظيم، «نور معاها؟»

«لأ ماتخافيش. نور ماجاتش» ضحكتُ متفهمًا.

«أكيد طبعًا. زبالة» لا أحد يحب أحدًا الليلة.

«مش الفكرة. طب ما خلود كمان ماجاتش» لم أود إخبارها بما حدث مع عمرو. لديها ما يكفيها من المشاكل.

«لأ فيه فرق. على الأقل خلود ليها سبب قوي إنها ماتجيش» ضحكتْ ببساطة لم أفهمها.

«إيه هو؟» لديّ رغبة دائمة في معرفة أي شيء يخص خلود.

«يعني.. مابتطيقنيش»

«ليه برضه؟» ابتسمتُ في سماجة. يجب أن أعرف الآن.

«بلاش إحراج بقى» أشاحت بوجهها في خجل.

«خلاص لو مش عاوزة تقولي بلاش» يجب أن تقول! الآن!

«مع إنك لو كنت ضغطت عليا كان ممكن أقول» ابتسمتْ في خبث مفاجئ. تريد أن تزيح حملاً عن صدرها حتمًا.

«طب والنبي قولي لحسن هموت» قلتُ ضاحكًا.

«أصلي اتشاقيت قبل كده مع حسام. بس ده بيني وبينك» عضت شفتها وتخضب وجهها بحمرة الخجل.

«فعلاً؟ إمتى وفين؟» صحت في ذهول حقيقي. لم أتوقع هذا أبدًا. أيمكن أن يصدر تصرف كهذا من مي؟ هذه القصيرة المكيرة؟!

«مش شقاوة زي مانت فاهم. كنا بنبعت لبعض على الموبايل رسايل قبيحة شوية. كنت زهقانة وباتسلى. كانت فترة بايخة قوي في حياتي، وكنت لسه مكتشفة إن جوزي بيخونّي» أمطرتني بسيل من المفاجآت. أنا لا أعرف شيئًا عن أي منهم إذن.

«فقلتي تخونيه انتي كمان» هتفتُ في استنكار، «دانا كنت بدافع عنك. يطلع منك كل ده!»

«أنا غلطانة إني حكيتلك» مطت شفتيها في ازدراء.

«مش قصدي. معلش هو بس..» توقفتُ عن الكلام فجأة.

«إيه؟» سألتني في حيرة.

«لأ عادي. مفيش حاجة. أنا هقوم أناديلك إيناس بقى. دي هتتجنن عليكي» قفزتُ من مكاني وهرعت خارج الغرفة.

ركضتْ إيناس تجاهي في قلق وتبعها جوزيف.

«جرالها إيه؟ قولّي وخلاص».

«دي زي الفل يا إيناس. مش هتصدقي. أحسن ما كانت قبل الحادثة» ضحكتُ لها، فزفرتْ في ارتياح.

«الحمد لله. اتأخرت جوه ليه يا أخي! خضتني!» لكمتني في كتفي.

«هو تحقيق يا إيناس؟ بقولك والله زي الفل!»

تركتها وبحثتُ عن الممرضة. وجدتها تتحدث في الهاتف وتمضغ اللبان بشكل مقزز.

«بقولك إيه. هو تليفون الأستاذة مي فين؟»

«أستاذة مي مين؟» سألت في بلاهة. يبدو عليها الانزعاج أن قاطعت مكالمتها.

«العيانة اللي في أودة ١٦ ب. تليفونها فين؟» سألتها في لهفة.

«احم. طب هكلمك تاني يا فايزة. اتفضل يا أستاذ» ناولتني الهاتف مبتسمة في ارتباك. ظللت محدقًا بها لثوانٍ محاولاً استيعاب الموقف.

«هو ده التليفون؟» سألتها في استهجان.

«كنت بتأكد بس إنه..

«ما علينا. متشكرين يا ستي» لا أصدق جرأتها.

يا لها من صدفة! هذه الحكاية هي مفتاحي لتنفيذ مخططي الشرير الأبدي لتدمير علاقة خلود بحسام. بعدما يئست تأتيني هذه الفرصة على طبق من ذهب. حان وقت المرح. بحثت عن اسم حسام في القائمة. ها هو. أتمنى أن يستجيب بسهولة. من كان يتخيل أن مي تفعل ذلك؟ بالفعل، يمكن لأي شخص القيام بأي شيء لو وُضِع في الظروف المناسبة.

أرسلتُ له وجلست أنتظر. تسارعتْ ضربات قلبي. هيا يا حسام! أطلق الوحش الهائج بداخلك! رد على الرسالة. ممتاز! ها قد فعلها. تستمر فقرة المرح والبذاءة مع فيلو وحسام. سينفجر رأسه لو عرف أنه يتحدث إلى رجل. ها قد انتهت المهمة بنجاح. يا له من أحمق. إنه يستحق ما أفعل به. لو لم يستحق ما استجاب لي من الأساس. سر مستقيًا ليحتار بك عدوك. أمّا ما يفعله فيسهل المهمة تمامًا على عدوه. أعطاني الوصفة الممتازة لأدمره. الفضل يعود إلى مي بالتأكيد. عدتُ مسرعًا إلى الممر أمام باب الغرفة وأخفيتُ الهاتف في جيبي. خرجتْ إيناس من الغرفة. ممتاز! لم تلحظ غيابي. لن يعرف أحد.

«خلاص؟»

«آه. هروح أسألهم عن العربية بس» هتفتْ وهي تشق طريقها إلى آخر الممر.

إنها الفرصة الآن كي أجد طريقة أخبر بها خلود. كيف أفعلها؟ كيف؟ نعم! سأراسلها من هاتفي الآخر الذي أستخدمه لتلقي عروض الحفلات. لا تمتلك هذا الرقم. ماذا أقول لها؟ يجب أن تكون الرسالة غامضة ومثيرة للفضول في نفس الوقت. ماذا أكتب.. نعم.. «انتي عارفة حسام بيعمل إيه من وراكي؟» أرسلتها وعضضت شفتيّ في توتر. هيا يا خلود! استجيبي للرسالة. مرت دقيقة دون رد. هل أتصل بها؟ بالطبع لا! ما هذه الحماقة. لا أطيق الانتظار. كيف سأعرف إن قرأتها أم لا؟ لا يوجد وسيلة سوى إرسال واحدة أخرى تقودها مباشرةً إلى حل اللغز. إنها الطريقة الوحيدة لإنجاز الأمور. يجب أن أضللها كي لا تعرف هويتي. أبسط وسائل التنكر؛ التظاهر بانني امرأة. يا لذكائي!

أمر يفتقر إليه حبيبها الأحمق. «عارفة إنك مش هتصدقيني. بس أكيد هتصدقي موبايله» ضغطتُ زر الإرسال. الآن تمت العملية بنجاح. قد تستغرق بعض الوقت لتكتشف الأمر لكنها ستعرفه في النهاية بكل تأكيد. أعدتُ الهاتف لجيبي وأخذت أدندن في هدوء.

عادت إيناس وبدت متأهبة للرحيل. يقف جوزيف منتظرًا إياها بعيدًا. لا يريد أن تراه مي بالطبع. يعرف أنني سأقتله لو فعل. إن صدقنا القول، أشعر بأنني ظلمته. مي ليست بريئة كما يبدو عليها.

«بقولك إيه يا فيلو» نادتني إيناس.

«إيه؟»

«حسام كلمني. بيقولّي إنه اتخانق مع خلود» بهذه السرعة؟ رائع!

«ليه كده؟ خير؟» حاولت التظاهر بالانزعاج. من أحاول أن أخدع؟ الكل يعرف ما أريد من خلود.

«بيقولّي إن مي كانت بتعاكسه على التليفون وهو اتجاوب معاها شوية. غريبة، مع إني رحت سألت الممرضة وقالتلي إن التليفون مادخلش أوضة مي من ساعة ما جت المستشفى. غريبة دي.. مش كده؟»

تفحصتني بنظراتها. انكشف أمري بالتأكيد. لا يعني ذلك أنني سأعترف.

«غريبة فعلاً» عقدتُ حاجبي في دهشة مفتعلة، وغير مقنعة.

تجنبت النظر إليها ورحت أدندن ثانيةً. جاء جوزيف لينضم إلينا. حاولت تضليله عن حديثنا وأظنني نجحت. لازال أمامي مشوار طويل

لأعود إلى الشروق وأحضر العدة ونور. أشعر بالتعب من الآن. لا يساعدني سوى لياقتي المكتسبة من ساعات قفزي أمام المعدات والرقص مع الموسيقى الصاخبة.

«راجل ياض يا فيلو» قال جوزيف ساخرًا.

«اتريق براحتك يا جو. بس برضه لأ».

«مش بتريق على فكرة. انت فعلاً راجل. أرجل واحد فينا» لم أتوقع هذا منه. شعرتُ بالخجل. في الواقع، إنها شهادة أعتز بها. لا أعرف لماذا شعرتُ بالسعادة، وكأن وصف جوزيف لي بالرجل يعني أن الكل سيراني هكذا، أو أنني رجل بالفعل، ختم النسر!

تبادلنا كلمات الوداع ورأيت في عينيّ إيناس تلك النظرة.. كأنها تقول لي بأنها آخر مرة سنلتقي فيها. لا أعرف كيف أصفها لكنني شعرت بأن إيناس لن تكرر سهرة كهذه عن قريب، ولا يوجد أي سبب آخر يجمعني بها. ودعتني في صمت. جوزيف أيضًا يتظاهر بوجود احتمال بأن نلتقي مرة أخرى. كل هذا مستحيل. هذه الليلة جمعتنا نحن الثمانية لآخر مرة. ليلة كانت بمثابة اختبار للصداقة، وفشل فيه الجميع. يشفع لي أنني لست صديقهم تمامًا، وبالتالي أنا الأقل فشلاً. دخلتُ لأطمئن على مي. إنها تؤكد كلامي بأن إيناس قررت الابتعاد عنها، وهي صديقتها، فما بالكم بدي جيه مسكين! قمتُ بخدعة بسيطة متظاهرًا بأنني وجدت هاتفها على الأرض. لا تعرف شيئًا ولذلك صدقتني بسهولة. ذهبتُ أحضر لنا العصير وعدتُ إليها ثانيةً. أتتني رسالة على هاتفي. أخرجته لأقرأها. إنها من خلود! دق قلبي بسرعة صاروخية. قرأتها لأبتسم في سعادة طاغية. ها قد أثّر كلامي عليها. تذكرتْني!

«بتضحك ليه؟» سألت مي لتعيدني إلى الواقع.

«لأ ولا حاجة. قريت نكتة ضحكتني».

بل قرأت ما هو أجمل من ألف نكتة. إنها النهاية السعيدة لمخطط شرير بدأ منذ فترة طويلة. صاحب النفس الأطول هو من ينتصر دائمًا في النهاية. لياقتي تؤكد أنني صاحب النفس الأطول. هل أشعر بالفخر أن أفسدت علاقتها به؟ لا نعرف بعد إن كانت ستعود إليه ثانيةً أم لا؛ لكن لو افترضنا أن علاقتهما قد انقطعت تمامًا فالإجابة هي نعم! أنا فخور بنفسي! نجحتُ في حمايتها من أحمق يضرها أكثر مما يفيدها. ماذا الآن؟ هل أحاول توطيد علاقتي بها؟ ليس هذا هو المهم! فلندع الخطوة القادمة للغد! المهم الآن أنها قد قطعت علاقتها به. أتمنى ألا يستعيدها غدًا وإلا سأقفز من فوق مبنى المستشفى. انتهيتُ من العصير. لماذا نجلس في هذا المكان السخيف؟

«مش عاوزة تمشي من هنا؟» سألتها في ملل.

«يا ريت. لو ينفع» أجابت في تلقائية وكأنها تنتظر السؤال.

«طب يلا. قومي. انتي زي الفل».

«هنروح فين؟» سألتْ في سعادة طفولية.

«هيكون فين؟ هوصلك البيت».

«ماشي» أجابت في خيبة أمل. ألازالت تريد الخروج؟ لا أصدق.

كيف لم يعترضنا أحد أثناء الخروج؟ لا يهم. المهم أننا خرجنا بسلام. توجهنا إلى سيارتي. ركبتْ بجواري وأنزلت ظهر المقعد للخلف.

«ساكنة فين؟»

«في النزهة الجديدة» أغمضتْ عينيها في طريقها إلى النوم.

هذا أفضل. أحب الاستماع إلى الموسيقى على التحدث إلى الناس. ليست انطوائية بقدر ما هي مسألة اختيار وتفضيل. لماذا أسمع أصواتًا مزعجة تملأ رأسي بالأفكار بدلاً من الاستماع إلى أنغام عذبة تثير القشعريرة في جسدي؟ يمكننا استثناء خلود من هذه القاعدة لأن صوتها أجمل من أي أنغام. بمناسبة الأنغام، لديّ اعتراف آخر. التراك التي أعجبتها لم تكن حقًا هي التراك التي صنعتها لأجلها. إنها تراك أخرى لأحد المنتجين المشهورين. أخجل من نفسي قليلاً. فقد خشيت ألا تعجبها واضطررت للكذب بعدما رأيت سعادتها الشديدة بها. النتيجة في النهاية واحدة؛ أنها تحبني أكثر من ذي قبل. ها أنا أسمع التراك السحرية الآن.

«بقولك يا فيلو..» حاولتْ مي التحدث. لا يا مي. اتركيني أستمع لهذه التراك. أريد الاندماج معها، أريد رؤية خلود ترقص على أنغامها. لم أرد عليها كي لا تخرجني عن تركيزي.

«........»

«فيلوووو. مش بترد عليا ليه؟»

«......» رفعت صوت التراك أكثر كي تفهم الرسالة وتكف عن الكلام.

«يا فيلو!» توقفت التراك فجأة. لقد أطفأتْ المذياع.

«يا ربي ع الفصلان! نعم يا مي! نعم! انتي ازي فصلتيني كده! لما يبقى حد بيسمع أغاني ومعلّي الكاسيت مش المفروض إنك تتكلمي

معاه. سيبيه في حاله» هتفتُ في عصبية فابتسمتْ في خجل.

«مش قصدي» ابتسمتُ رغمًا عني. تعرف كيف تتصنع البراءة.

«عاوزة إيه؟»

«ادخل الشارع الجاي يمين»

«ماشي. لو كده يبقى انتي براءة فعلاً. بس آخر مرة تلمسي الكاسيت بتاعي. هقطعلك ايدك. حسك عينك توطي الكاسيت حتى بعد كده!» أومأت برأسها في خوف.

«خلاص. اقف على جنب. العمارة أهيه».

ها هي المحطة الأخيرة. ليلة طويلة جدًّا. اعتدت السهر لكن دائمًا ما توجد الموسيقى لتشغلني. أمّا الليلة فقد أنهكني كل شيء. لم يسر شيء كما هو مخطط له؛ حتى ضربتي الأخيرة لحسام لم يكن مخططًا لها. يا لها من ليلة! أنا سعيد بأنها انتهت أخيرًا. ركنتُ السيارة وانتظرت نزولها. لم تتحرك.

«مش هتنزلي؟»

«انت عاوزني أطلع البيت بعد الفجر؟! مش ممكن طبعًا» ضحكتْ في استهجان.

«طب وبعدين؟»

«ولا حاجة. أدينا قاعدين لحد ما النور يطلع».

«دانا لسة هرجع الشروق تاني أجيب نور. إيه الفرهضة دي» هتفتُ في انزعاج.

«خلاص. أنا ممكن أنزل وأقف في الشارع» قالتها دون أن تحاول بذل مجهود لإقناعي. واضح جدًّا أنها لن تفعل ذلك فعلاً.

«مش شايفك بتنزلي يعني» رمقتها بنظرة سخرية.

«يا سلام؟ أنزل أروح فين يعني. انت ما صدقت!» ابتسمتُ مستسلمًا للأمر الواقع.

الكثير يمكن أن يحدث في ليلة؛ تنقطع روابط، تنهار صداقات، تُقال الأكاذيب، تنكشف حقائق، تُبذل محاولات لإيقاف التغيير؛ لكن كيف يمكن منع ما هو محتوم؟ ها أنا أجلس مع آخر شخص تخيلتُ أن تنتهي الليلة معه، ولأول مرة منذ فترة طويلة أشعر بأنني قريب من خلود، وشهدتُ بعيني نهاية علاقة عمرو بنور، أحمل احترامًا غريبًا لجوزيف بعد أن كنت أحتقره منذ ساعات؛ كل هذا قد حدث وأعيش لأحكيه لغيري. لكن السؤال هو؛ كيف حدث؟ كيف كانت البداية؟ أمر محير للغاية. يقولون إن ليلة واحدة قد تغير حياة شخص، أو مجموعة من الأشخاص؛ لكن هذا غير صحيح على الإطلاق. الحقيقة هي أنه لا تغيير يحدث بين ليلة وضحاها. لا يوجد ما يسمى بالتغيير المفاجئ. هناك فارق كبير بين الأسباب المؤدية للتغيير، والعوامل المحركة للأسباب. بذور هذا التغيير دائمًا ما تكون موجودة، وتنمو يومًا بعد يوم. قد نلاحظها أو لا، أو ربما نختار ألا نلاحظها؛ فتأتي هذه الليلة لتكتب الفصل الأخير من تفاعل متسلسل بدأ منذ زمن بعيد. أقل شيء قد يُشعل الفتيل، وفي النهاية لا يتذكر أحد كيف كانت بداية السقوط. لا يمكن أن نعرف البداية أبدًا.

«عارف يا فيلو» قالت هامسة.

«إيه؟»

«انت انهارده عملت حاجة كنت متخيل نفسك مش هتعرف تعملها أبدًا».

«إيه هي؟» سألتها في تعجب.

«انت أنقذت الموقف وقضيت على الأعداء. انت سوبرمان يا فيلو. مش واحد عادي» ابتسمتْ في إعجاب أثار خجلي.

«يا سلام؟ اشمعنى؟»

«مش عارفة. أهو كده وخلاص. هو سوبرمان دوره إيه في الحياة؟ مش إنه ينقذ الناس ويخليهم مبسوطين؟»

«آه. دي حقيقة» أجبتها ضاحكًا.

«طيب. أنا كويسة وأهه وباضحك. شفت؟ يبقى انت نجحت في المهمة».

«الموضوع بالسهولة دي؟» سألتها ضاحكًا.

«بالسهولة دي» ابتسمتْ ثانيةً في هدوء شديد وأغمضت عينيها.

لا أعرف إن كنت سأرى أيًا منهم ثانيةً بعد هذه الليلة. أظنني بشكل ما سأفتقدهم جميعًا لأسباب مختلفة. سأفتقد مرح عمرو، عقل جوزيف، حماسة نور، طيبة مي، حماقة حسام، إخلاص إيناس، والأهم من كل ذلك.. جمال وروعة خلود. ماذا إن انتهت التراك؟ لا يهم. ستأتي غيرها. أيعني هذا أنني لم أستمتع بكل لحظة فيها؟ بالطبع لا هذه التراك، رغم أنها كانت مليئة بالاضطرابات والمشاكل، هي في النهاية تمثل جزءًا كبيرًا من حياتي، أو مجموعتي الموسيقية إن جاز التعبير. لن أحاول مسحها من

ذاكرتي فقط لأنها لم تسر بالشكل الذي تخيلته. أحيانًا يكمن جمال التراك في كونها غير متوقعة؛ قد تنتظر نغمة معينة لتجدها تعطيك خط بيس يخترق أذنيك. لو كان من السهل توقع أي تراك ما وجدنا أي متعة في الاستماع إليها. المتعة ليست في معرفة كيف تسير التراك؛ على العكس، بل في ترقبها دون تخيل ما يمكن أن يحدث. لست ممن يحبون اليوم السابق للأجازة، بل أحب يوم الأجازة نفسه لأنني أعرف كيف أعيشه دون أن أنتبه للغد. فلندع الغد للغد.

«عاوزة أنام قوي» همستْ ثانيةً. يبدو أن النعاس سيتغلب عليها.

«كلنا عاوزين ننام يا مي.. كلنا» داعبت شعرها في هدوء إلى أن انتظمت أنفاسها. كم تبدو بريئة هكذا!

ماذا ينتظرني بعد هذه الليلة الطويلة؟ يوم طويل، وتتلوه سهرة أخرى طويلة. لا أظنني سأحصل على قسط من النوم قريبًا. هذه ضريبة أن تكون أفضل دي جيه في الوجود. ربما عليّ استغلال الوقت المتبقي في الاسترخاء. أغمضتُ عينيّ. ماذا الآن؟ أهي النهاية؟ جائز. أو ربما هي البداية؛ بداية لقصص لحكاية أخرى نحكيها فيما بعد. أمّا عن الليلة.. فليس أمامنا سوى الانتظار.. إلى أن تُشرق الشمس.

تمت بحمد الله

أوفردوز

ماذا يرى المرء شريط حياته كله أمام عينيه قبل أن يموت؟ تعددت النظريات بشأن هذا الأمر. تساءلت كثيرًا عن مدى صحة هذه التجربة. لطالما سألت نفسي هل يرى المرء حياته كلها بالفعل أمام عينيه قبل الوفاة؟ كيف يراها؟ هل يرى مقتطفات صامتة، أم يسمع أصواتًا؟ هل يرى جسده، أم يراها من خلال عينيه؟ أهو أشبه بالحلم حيث تشعر أنه طويل بينما في الواقع لم تمر ثوانٍ؟ أي أشياء تظهر، أهي الأحداث الفارقة أم قد يرى مشهدًا غير ضروري؟ هل العقل الباطن هو الذي يختار ما يرى؟ هل يتذكر أحداثًا من طفولته لم يظن أنه سيتذكرها أبدًا؟ أسئلة كثيرة ولم أجد لها يومًا إجابة. لم أتوقع أن تأتي الفرصة لأشهد الواقعة بنفسي. لم أتخيلني سأموت عم قريب. ها قد أتت الفرصة أمام عينيّ.